المحجَّةُ البيضاء

في

صِحةِ نعْتِ الجموع بِفَعْلاء

للشيخ أمين ظاهر خيرالله الشويري

« قال أبو إسحاق الزجّاج ، كل جمع لغير الناس سواء كان واحدُهُ مذكراً أو مؤنثاً كالإبل والأرحُل والبِغال فانَّه مؤنث . وكل ما جُمع على التكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيرهُ وتأنيثهُ مثل الرجال والملوك والقضاة والملائكة » ذيل معجم المصباح المنير للفيومي

الطبعة الاولى بمطبعة الترقي في دمشق الشام سنة ١٣٥٦ هـ و ١٩٣٧ م

توطئة

ما من خلاف بين أقطاب اللغة في أن الجمع المنعوت يأتي نعتهُ مثله جمعاً فيقالُ العلماء الأوائل والأُوَل والسالفون والسالفة والسلَف والأخلاق الحُسْنَى والحِسان والحسنة · والدورُ الرِحاب والرَّحبة والرماح اللُدْنُ واللِدان والمُثقَّفة والطويلة · والأدلَّة الصِحاح والصحائح والصحيحة والثبتة · ولكنَ الخلافَ في هل يُقال الأخلاقُ الحسناء والدورُ القَوْراء والرِماح السمْراء والأدلّة الغرّاء · فمانعٌ ومُجيز · وحجّةُ المانع أنَ فعلاء صفة خاصة للمفرد المؤنَّث فلا تتجاوز ذلك الشأن · ولم أقِفْ لمانعٍ علَى حجة غير هذهِ · وأما المجيزون فيقولون : الفصحاء الموثوق بصحة ألسنَتِهم يُحتَجُّ بأقوالهم وتؤخَذُ أمثلة يُنسج علَى منوالِها وتُنظَم عقوداً يُضاف إلى أسلاكِها وليس من معاب علَى من احتذى حذْوَهم وجاء قولُه علَى قولهم · وفي كلامهم الكثيرُ من ذلك الأسلوب الذي يحجبهُ المانعون · وهاأناذا أجيءُ ببعضه علَى قدرما انتهى إليهِ علمي ولعلَّ عند بعض البُحّاث مزيداً عليها

الدعوى

التأنيث بالتاء المربوطة والألف الممدودة سواء

جاء في أصل اللغة التأنيث بالتاء المربوطة وبالألف الممدودة للدلالة علَى التأنيث والإفراد معاً ويقول قائلون أن التاء احتفظت

بالتأنيث وخرجت عن الإفراد فجاءت للجمع كَكَمأةٍ في كمءٍ[1] وهندِيَّةٍ في هندي ومهاجِرَةٍ في مُهاجِرٍ ومُسَوَّمة في مُسَوَّمٍ ومَركوزةٍ في مركوز ومارَّةٍ في مارٍ وعَسَّالة في عَسَّال . ومِلْحَة في مِلح[2] وأقول أن الألف الممدودة أختُ التاء في ذلك الشأن وهي أقوى دلالة منها على التأنيث[3] بدليل أنها تمنع من الصرف مع العَلَمية والوصفية . والتاء لاتمنع مع الوصفية مثلاً يقال هدية حَسَنةٌ وجميلة . ولا يقال حسناءُ بالصرف بل حَسْناءُ وقدرتُها على منع الصرف دليل قوَّتها او أَصالتُها في التأنيث والأَصيل أحقُّ بالتصرُّف . فالهمزة أولى من التاء بالخروج من الإفراد الى الجمع . فلا يصحُّ أن تكون التاء أضعفَ من الألف الممدودة ثم تُعْطى حكماً يدلُّ على القوَّة يُمنَع عن تلك الألِف . ومن دلائل قوَّتها أَنها تتبع التاء في أوزانها

(١) في التاج « وقال منتجع كَمءٌ للواحد وكَمأة للجمع . فمرَّ رؤبة فسأَلاهُ فقالَ كَمءٌ للواحد وكَمأة للجمع كما قال منتجع ومثله منقول عن ابي الهيثم» (مادة كمء)

(٢) في القاموس المِلح ضد العَذب من الماء وأملح الرجل ورَدَّهُ ج مِلحة ومِلاح وأملاح ومِلَح بكسر ففتح . فمِلْحَة جمع مِلح للماء غير العذب . ومِلَح جمع مِلحَة لاجمع مِلح كما هي في سياق الجموع في القاموس ولم ينبه على ذلك . وتجمع مِلح على مِلحَةٍ كنِسْوٍ على نِسْوةٍ اذن مِلَح جمع جمع

(٣) عدم الصرف فرع الصرف والتأنيث فرع التذكير ، فالاصيل في التذكير يجب صرفه كزيد وخالد والمعدول عنه كعُمَر وأُخَر لاينصرف ، وبناء على ذلك يكون الاصيل في التأنيث الذي لاينصرف كسلمى وحسناء وغير الاصيل في التأنيث الذي ينصرف كهندٍ وقائمة

كلّها ففي جرْعة جرْعاء وفي شُجاعة شَجْعاء وفي جَميلة جَملاء وفي رَمدة رَمْداء وفي مَحلوفة محلوفاء وكما تأتي التاء للجمع تأتي الألف للجمع فمَعْكاء جمع مَعكاء ومَعْكى جمع مَعكى إلى غير ذلك . فلا وجه لتفرّد التاء عن الألف الممدودة فيقال العيون الرَّمِدة ولا يُقالُ العيون الرمداء .

(الحجَّـةُ الأُولىٰ)

الحُمُرُ الخَشْباء

ذكر صاحب معجم البلدان في مادة القرين ما يأتي «القرين ... موضع ذكَرهُ ذو الرُّمَّةِ قال :

يردّفن خَشْباءَ القرين وقد بدا ... لهنَّ إلى أرْضِ الستار زيالهُـا

أي ركبنَ الحُمُرَ الخشباءَ وهي القطعة من الأرْضِ كأنها جبَل»

فكلمة حمر هنا صيغة جمع والمُفرَد حِمار أو حِمارة وقد جاءت خشباء صفةً لها . فنعْتُ الجمع أتى على صيغة فَعْلاء

(الحجة الثانية)

كَلِمٌ عوراء وكَلِم عُوران(١)

(١) في المعاجم كَلِمة وكِلْمة وكَلْمة بمعنى واحد وجمع كَلِمة كَلِم وجمع كِلْمة كِلَم مثل سِيرة وسِيَر وقِيمة وقِيم ، وجمع كَلْمة كلم مثل ألْة (الحَرْبة) وألَل وجَرْعة وجَرَع . في كَلِم قولان الأول وهو الأشهر انها جمع والثاني أنها اسم جنس . ولا خلاف في أن كَلِمًا وكِلَمًا صيغتا جمع . وليس لدينا دليل على أن الشاعرة قالت . الكَلِم فيجوز أن تكون قالت الكَلْم أو الكِلَم وحينئذ لا خلاف في أن العوراء جاءت نعتاً لصيغة جمع مسلم بصحتها

جاءَت كَلِمٌ عَوْراءُ في قول أُميَّةَ ابنة ضِرار (ديوان حماسة ٱلبحتري فصل ١٧٤) قالت:

ما باتَ من ليلةٍ مذ شدَّ مئزرَهُ قَبِيصةُ ابنُ ضِرارٍ وَهْوَ موتورُ
لا تعرِفُ ٱلكَلِمُ العوراءُ مجلسهُ ولا يذوق طعاماً وهوَ مستورُ

وجاءَت كَلِمٌ عوران في قول كعب ابن سعد ٱلغنويّ (ديوان الحماسة المذكور فصل ١٠٨) قال:

وَعوراءَ قد قيلت فلم استمِعْ لها وَما ٱلكَلِمُ ٱلعورانُ لي بقبولِ

فقد جاءَ في وصف كلمة عوراء وعوران . فما بناءُ كلمة كَلِم يا تُرى ؟

في هذا ٱلبحث نعود إلى المعاجم فنجد في معيار اللغة للشيخ محمد علي ٱلشيرازي المطبوع سنة ١٣١٤ ما يأتي:

«ٱلكلمة بكسر ٱللام اللفظة ج كَلِم بلا هاء كالكِلْمة (بكسر فسكون) ج كِلَم (ٱلصواب كِلَم) كسِدْرَة وسِدَر . وٱلكَلْمة بالفتح ج بالألف وٱلتاء (وقوله بالألف و ٱلتاء يتحمَّل أن يكون الجمع كَلْمات بسكون ٱللام و كَلَمات كسَجْدة وسَجَدات) وأنكر آخر عليه وقال: ان جمعها كَلْم باسقاط الهاء كتَمْرَة و تَمْر . وٱلكلم عَلَى الأصحّ اسم جنس جمعي . وذلك لأن الجنس إمّا يدلُّ عَلَى نفس الماهيَّة من حيث هي كالذئب فينطلق على الواحد والكثير . وإما يدلُّ على الماهيَّة في ٱلأفراد فلا يُطلَق عَلَى الواحد . مثل ٱلكَلِم فهو ليس بجمع محض لارجاع ٱلضميرِ ٱلمفرد إليه ولتوصيفه بمفرد

نحو إليهِ ٱلكَلِمُ ٱلطَّيِّب وليس بجنس محض لعدم صدقه على فرد . فاضطررنا بأن نقول أنه إسم جنس جمعي » اه

وجاء في ٱلتاج (وقوله جاء عَلَى ما في ٱلقاموس ومزيد عليه) « وقال الجوهري : ٱلكَلَامُ اسم جنسٍ يقعُ عَلَى ٱلقليل وٱلكثير . وٱلكَلِم لا يكون أقلَّ من ثلاثِ كَلِمَات لأنه جمع كَلِمة مثل نَبِقة ونَبِق » . إلى أن يقول « ٱلكَلِمة بفتح فكسر اللفظة الواحدة حجازية . وفي اصطلاح ٱلنحويين لَفظٌ وُضِعَ لمعنىً مفرد ج كَلِم بحذف الهاء تُذكَّر وتؤنث . يقال هو ٱلكَلِمُ وهِيَ ٱلكَلِم . كالكِلْمة بالكسر (فالسكون) في لغة بني تميم نقلهُ الجوهريُّ وجمعها كِلْم بالكسر (فالسكون) أيضاً ولم يقولوا كَلِم (كذا) عَلَى اطِّراد فعِلَ في جمع فعِلة . وأما ابن جنّي فقال : بنو تميم يقولون في جمع كِلْمة كِلَم كَكِسَرٍ وكِسْرة . وأنشدَ الأزهريُّ لرؤبة لا يسمع ٱلرَّكبُ به رَجْعَ ٱلكِلَمْ . وٱلكَلْمة بالفتح مع سكون ٱللام وهذهِ لغةٌ ثالثة حكاها ٱلفرَّاء وقال مثل كَبِد وكِبْد وكَبْد . و (ج) هذهِ كلمات بالتاء . آه

وجاء في محيط المحيط للمرحوم المعلم بطرس البستاني « الكَلِمَةُ اللفظةُ وكلُّ ما ينطق به الإنسان مفرداً كان أو مركَّباً ج كَلِمات . والكِلْمة الكَلْمة ج كِلَم . والكَلِمة ٱلكَلْمة أيضاً ج كَلِم وكَلِمات . فهذهِ ثلاث لُغاتٍ الأولى والثانية لغة بني تميم والثالثة لغةُ أهلِ الحجاز » اه

وجاء في كتاب امتحان الأذكياء للمحقق البركوي طبع الأستانة ١٢٧١ ص ٢٦ وما يليها «الكلمة لامها للجنس والحقيقة من حيث هي هي ولا مساغ للعهد للزوم كونه حصة من الجنس وههنا ليس كذلك[1] وتاؤها للوحدة الشخصية الكلية اللازمة لحقيقة الكلمة. ولا تنافي بينها وبين الجنس لا من حيث هو هو ولا من حيث وجوده في ضمن البعض والكل. وإنما التنافي بينها وبين الركب وبين الوحدة الشخصية الجزئية والجنس. وأما الوحدة النوعية أو الجنسية فليست من معنى التاء في مثلها بل الأولى إحدى معنييها في نحو دحرجة واستخراجة. ومعنى صيغة فِعلة بكسر. وقولهم التاء في مثل تمرة للفرق بين الجنس والواحد لا يقتضي التنافي بل الاختلاف وكم بينهما. نعم فُرِقَ بين كلِمة وكلِم ونحو تَمْرَة وتَمْر. بأن الوحدة مأخوذة في حقيقة الأولى دون الثانيـة. ثم الكلمة والكلام مأخوذاً من الكَلْم بسكون اللام بمعنى الجرح للتأثير في القلوب ما أي شيء إذ لا ضرورة إلى التخصيص باللفظ» آه

وجاء في الشرح للفاضل الأطوى ما يأتي «اعلم أن الفرق بين كلِمة وكلِم وتَمْرَة وتمر ولَبِنَة ولَبِن ان الوحدة مُعتَبَرَة في حقيقة الكلِمة ذاتية مأخوذة فيها بخلاف التَمْرة واللَّبنة. فإن الوحدة فيها عارضيَّة لا ذاتيَّة مأخوذة في حقيقتها. لأن الكلِم جنس لكنهُ لا يقع إلاَّ على الثلث (الثلاث) فصاعداً بخلاف اللَبِن والتَمْر فإنهما يقعان على

(١) يتضمن هذا القول الفرق بين اللام حرف جنس وحرف عهدٍ

الواحد والإثنين والثلاث فصاعداً» اه ثم يقول: «لأن الكَلِم اسم جنس فيه إشارة إلى أنه ليس بجمع ولا اسم جمع مع أن عدم وقوعه إلاّ على الثلاث فصاعداً يستدعي كونه أحدهما · وجه الأوّل: عدمُ ثبوت فَعِل (بفتح فكسر) في صِيغ الجموع · وإرجاع الضمير المفرد إليه (كالكَلِم المُحكَم) وجعله مصغراً ومنسوباً بلا ردّ إلى واحدِهِ · ولو كان جمعاً لم يجُزْ واحد مما ذُكِر · ووجه الثاني مجيء واحدِهِ بالتاء وهو لم يوجد في اسم جمع»

وملخَّص كل تلك النصوص أن في حقيقة الكلم ثلاثة مذاهب الأوّل: أنه جمع كلمة · والثاني: أنه اسم جمع · والثالث: انه اسم جنس ·

المذهب الأول: أنه جمع كلمة

ردّ هذا المذهب الأطوي وأسند ردَّهُ إلى أدلّة ثلاثة هي هذهِ

الأوّل: لم يأتِ بِناء جَمعٍ على صيغة فَعِل (بفتح فكسر) فإن لبِنًا ونَبِقًا وأمثالها من أسماء الأجناس لا من الجموع · وإذا كانت المعاجم لا تفرق بين أسماء الأجناس والجموع فإن عدم الضبط لا يُؤخذ حجّةً بل يُبيَّن ما فيه من الخَلَل وما بُنِيَ على الخَلَل لا عبرةَ به عند التحقيق ·

الثاني: رجوع الضمير لمفرد إليه والضمير المفرد لا يعود إلى جمع وإنما يعود إليه ضمير الجماعة ولذلك روي للزمخشري قوله

إن قوماً تَجَمَّعوا وبِنقضي تَحَدَّثوا

لا أُبالي بجمعهم كلُّ جمعٍ موءَنثُ[١]

الثالث: أنه يُصغَّر ويُنسَب دون ردِّه إلى واحده

واسقاط قول الأطوي ينبغي له تزييف الأدلّة الثلاثة لا تزييف دليلٍ أو دليلَين فقط لأنه متى ثبت أحد الأدلّة ثبت المدَّعى. فإنه يُستطاع أنْ يُردَّ الدليل الثاني بأن الجمع الذي يُوازِنُ بناءَ المُفْرد يعاد إليه ضمير المفرد ومن ذلك أن فِراخاً جمع فرْخ (أو فرْخةٍ) أُعيد إليه ضمير المفرد ففي معجَم المِصباح عن الفرّاء شاهد هو «مثل الفِراخ نُتِفت حواصِلُهْ» والضمير في حواصله راجع إلى فِراخ. ومن جموع خَشَب خُشْب مثل أسَدٍ وأُسْد وقد جاءَ في شعر مالك ابن نويرة (مخطط في معجم البلدان).

فأقررتُ عيني يوم ظلُّوا كأنهم ببطنِ الغبيط خُشْبُ أثْلٍ مُسنَّدُ

وحاجٌّ يُجمَع على حجيج مثل قاطن وقَطين. قد جاءَ في قول ساعدة ابن جُوَيَّة الهذليّ هكذا: (الأصاغي في معجم البلدان)

لهنَّ بما بين الأصاغي ومنصحٍ تعاوٍ كما عجَّ الحجيج المُلَبِّدُ

وجيران جمع جارٍ كسيقان جمع ساقٍ وجاءَ لحضرمي ابن عامر الأسدي قولُهُ

ليالِيَ إذ قلبي بمَيَّة مُوزَعٌ وإذ نحنُ جِيرانٌ لها متلابِسُ[٢]

---

(١) ص ١١٨ من كتاب فروق حقي طبع دار الطباعة العامرة في القسطنطينية سنة ١٢٩١

(٢) جاءَ في معيار اللغة: هي نائح ومن جموعها نُوح كبازل وبُزْل — ونَوْح

وأقدم من ذلك وأشهر في مجامع اللغة قول زُهَير في معلقته المشهورة

فأصبح يُهْدَى فيهم من تِلادكم مغانمُ شتّىً من إفالِ تُرَنَّمِ

وإفال جمع أفيل فكل هذهِ الصيغ وازنتِ المفردَ فأُعيد إليها ضميرُ المُفرد .

المذهب الثاني : إنه اسم جمع

فهو مثل إبِل وفَيْلَق ونَعَم ومعشر . وقد ردَّهُ الأُطوي بقوله ان اسم الجمع لا يقبل التاء للأفراد فلا يُقال إبِلة وفَيلَقة ونَعَمة ومَعْشَرة . وقد جاءَ في كَلِم كلمة للأفراد . ولا يصحُّ مع وجود فارقٍ قياسٌ

المَذهَب الثالث : انه اسم جنس

فهو كَلَبن في لَبَنة وتَمْر في تَمْرَة وثَمَر في ثَمَرَة . وهذا يردُّهُ انه يقال لَبِن لما هو مثنى ولا يقال للمُثَنَّى كَلِم والقياس مع وجود الفارق لايصحُّ . وقد تصدَّى الاطوي لهذا الاعتراض فردَّهُ بقولِهِ « ان الرضيُّ ومن تَبِعهُ جعلوا كَلِمة و كَلِماً مثل تَمْرةٍ وتَمْر بلا فرق . وان عدَم وقوع كَلِم على الاثنين والواحد انما هو من قبيل الاستعمال لا من قبيل الوضع » وهذا القول يتضمن « أنَّ الاستعمال يعرض على الوضع فيُخرِجه من شأن إلى شأن » وهذا تعليل أفضل من تعليل

كصاحب وَصحْب . فكلٌّ من نُوح ونَوح صيغة جمع وجاءَ في شعرعنترة نوح مُسلَّب قال (مادة أقرُن في منجم العمران)

وقد كُنتُ أخشى انْ أموتَ ولم تقم مراتبُ عمرٍو بين نوحٍ مُسلَّبِ

فنوح صيغة جمع وقد نعتها بمُسَلَّب لأنها على وزن المفرد

معيار اللغة في قسمته اسم الجنس إلى جمعي وغير جمعي ·

ويبقى للاعتراض على ماذهب اليه الأطوي ما يأتي :

أولاً – جاء في كُتب اللغة « باقر اسم جمع للبقر » وجاءت الباقرة فيه · وقالوا أيضاً « الباقور وجاءت الباقورة فيه » · وروى الجوهري في صحاحِهِ « ان أهل اليمن يُسمُّون البقرة باقورة » فكيف يقول الاطوي « اسم الجمع لاتدخل عليه التاء » ·

والجواب : ان اسم الجمع يُشتَرَط فيه أن يكون لاصلة له بصيغة جمع · وفاعل احدى صيغ الجمع فيجيءُ لِفعَل ومن ذلك جامل جمع جَمَل [١] ولفَعْل كـكالِب جمع كَلْب [٢] ولفاعلٍ ومن ذلك حاجٌ في حاجٍ وداج في داجٌ وقدجاءَ في شعرجرير (ديوانه طبع مصر) قولُه :

اعياكَ والدُكَ الأدنون فالتمسَن هل في شفاعة ذو الاهدام مفتَخَرُ

فالأدنون جمع أدنى فوالِدُك هنا بمعنى آبائك لابمعنى أبيك فوالد جمع والِد · وجاءَ في تاج العروس في مادة (ملح) الغسّان السليطي قولُهُ :

و بيضٍ غذاهنَّ الحليبُ ولم يكن غذاهنَّ نِينانٌ من البحر مالحُ

(١) ذكر ذلك القاموس وأيده التاج واستشهد لهُ بأقوال لطرفة وللنابغة الذبياني حيث قال :

ولا اعرفنّي بعدما قد نَهَبتُكُمْ أُجادلُ يوماً في شُويٍّ وجاملِ

وشُويٌّ جمع شاه فجامل جمع جَمَل · وأورد السيوطي في مزهره جاملاً في جموع جَمَل وعد معيار اللغة جاملاً في جموع جمل ·

(٢) عد القاموس كَلِيباً وكالباً في جموع كلب ولم يتعرض التاج لردّ ذلك بل اثبت ذلك في مادة جمل فقال الجامل القطيع من الإبل برعاته وأربابه كالباقر والكالب ·

أَحَبُّ اليناـا من أُناس بقَريةٍ يموجون موجَ البحرِ والبحرُ جامحُ

ونينان جمع نُونٍ لحيتان جمع حُوت وعيدان جمع عُود. فمالح صيغة جمع لمالح لان نعت الجمع جمع وجاء في الجامع الصغير للامام السيوطي حديث عددُهُ ٦٤٦٧ هو هذا «الكوثرُ نهرٌ اعطانيه الله في الجنة ترابهُ مسك أبيض من اللبن[١] وأحلى من العسل تردُهُ طائر أعناقها مثل اعناق الجُزُر (جمع جزُور) آكلها أنعم منها» فطائر هنا جمع طائر لذلك قال ترده واعناقها ولو كان طائر صيغة إفراد لقال عنقُها[٢].

ففاعِلٌ صيغة جمع من جموع القبيل جاءت (لفَعْل وفَعَل وفاعِل) والتاء في باقرة ليست للإفراد وانما هي لتأكيد الجمع كالتاء في حِجارة جمع حَجَر وبيُوتة جمع بيْت وجِمالة جمع جَمَل فلا يستفادُ من باقرة الإفراد. والباقور من اسماء الجموع لا من الجموع فانه لم يرد فاعول صيغة جمع والباقورة في الباقور كالباقرة في الباقر فلا تفيد الإفراد لذلك لاتُفسِد على الاطويّ قولَهُ. وأما اطلاق باقورة على البقرة من قِبَل أهل اليمن فمِن الاصطلاح لا من الوَضع اللغوي. والاصطلاح

(١) أنكر فريق من النحاة الشاهد الآتي :

جاريةٌ في درعها الفضفاضِ أبيضُ من أُختِ بني اباضِ

وهذا الحديث ينقض إنكارهم.

(٢) وأنشد أبوزيد لحيان ابن جبلة المحاربي (جاهلي) مادة اغي من معجم العمران

ألا ان جيراني العشيَّةَ رائحٌ دعتهم دواعٍ من هوى ومنازِحُ

فرائح هنا صيغة جمع لا صيغة مفرد.

ينقل الجمع إلى المفرَد في صِيَغٍ عديدة . منها جُنُب جمع جنيب كقُلُب جمع قليب فانها صيغة جمع لاريب فيها وقد جاءت في شعر الحُطَيئة العبسيّ للإفراد قال:

واللهِ مامعشرٌ لاموا امرأً جُنُباً في آل لأي ابن شَمّاسٍ بأكياسِ

ومنها تسمية الشَّقيق شقائق وتسمية الواحد من غمار الشعب سُوقةً وهو سُويقٌ أي مَسُوق من باب فعيل بمعنى مفعُول وبحثُنا في الوضع لا في الاصطلاح الذي اخرج الوَضْع عن شأنِهِ

ويتَّجهُ على المذهب الثالث ان اسم الجنس يكون مما جاء وضعاً لا مِمَّا جيءَ بهِ أخذاً عن صيغة اشتقاق والكَلِم مِمَّا أُخذ بدليل قول البركوي « ثم الكلمة والكلام مأخوذاً من الكَلْم بسكون اللام بمعنى الجَرْح » فلا يكون كَلِمٌ من باب لَبِن ونَبِق . فاللبنة اسم جنس ولا صلة لها لفظاً ولا معنىً بما جاء من مادَّة لَبَنَ الرجلُ أي أكل كثيراً ولا لَبَنَهُ أي سقاهُ لبناً ولا لَبِنَ الرجلُ اذا عراهُ وَجَعٌ في عنُقِهِ من الوَسادة . فبين لَبِن ولَبِنة و كَلِم و كَلِمة فارق . ولَبِن اسم جنس فلا يكون كَلِمٌ اسمَ جنسٍ (١) .

---

(١) اسم الجنس ضربانِ . أولها جاء في وَضع اللغة من باب الارتجال كالقمح والشعير والعدس وهو المُعوَّل عليه والثاني جاء أخذاً عن مُشْتَقٍ وهو من باب نقل الصفة إلى العَلَم ومن ذلك النَّجْم للكوكب عامة ثم للثريا خاصة وللنبت الذي لا ساق لهُ . والثَّمر فهو من ثَمَرَ المالُ يثْمرُ ثَمراً أي كثر وثمير ككثير بمعنى الثامر وجمع ثمير ثُمُر فنقل ثُمُر إلى اسم الجنس . ولا ريب في أن الثامر اسم جنس للوبياء من باب الأخذ عن المشتقِ .

واسم الجنس لاتأتي فيه لغات يَقضي الاشتقاقُ أن يكون بعضها متفرِّعاً عن بعضٍ فاذا وقع ذلك وجب أن يقال ان أحد تلك الحروف أصل وان بقيَّة الحروف مشتقة منه وجاء الاصطلاح فجعلها صِنواناً لاصلها فهي في الاصطلاح لُغات في معنى واحد وفي الوضع فروع عن أصل وسترى ذلك في بحث توريب والمشتقَّات منه واللغات الواردة فيه . وكَلِمةُ الحجازية وكِلْمةُ وكَلْمةُ التميميَّتان بينها تفرُّع فان كَلِمَة وكَلْمة وكِلمة . على مثال طَلِبة وطَلْبة وطِلْبة . وهذه الحروف أصلاً من المُشتَقَّات لا من اسماء الاجناس الجامدة . ولا يخفى ان الاسم المشتق يُنقَل إلى الأسماء الجامدة بجعلِه اسم جنس ومن ذلك المشموم في اطلاقِه على المِسك والنّام في إطلاقه على اللوبياء والطحين في اطلاقِه على القمح بعد طحنه والدقيق في تسمية تلك المادة عينها والطحينة في تسمية طحين السمسم خاصة والنظائر كثير فاذا أردنا أن نَعرِف حقيقة كَلِمة وجب أن نبحث عن حقيقة نظائرها مما هي أظهر منها اشتقاقاً كطَلِبة وجرِمة فان الوصول إلى حقيقة الجليّ توطئة للوصول إلى حقيقة الخفيّ فلدى بحث طَلِبة نجد الطِلاب والطِلابة والطَلِبة والطِلْبة والطَّلْبة بمعنى واحد . أي الشيء المطلوب .

فالطِلاب إمّا صيغةُ إفراد بمعنى مطلوب مثل كِتاب وبِساط وغِراس والمعنى مكتوب ومبسوط ومغروس . وإمّا صيغةُ جمع لطَليب ككريم وكِرام وصحيح وصحاح . ثم نُقِل طِلاب من الجمعية إلى الإفراد من باب نقل الجمع إلى المفرد وقد تقدم بسط

الكلام فيه · والطِلابة من باب ادخال التاء على الجمع بعد ما تحوّل من الجمعية الى الافراد كمجيء النُثارة في النِثار · والطِلبة بمعناها ، فماذا تكون هذه الصيغة التي لم تورد المعاجم عنها بياناً فانها من المشتقّات ولا بُدَّ من الاجتهاد في الرجوع بها إلى بِنائها الأوّل فأقول ما من خلافٍ في ان كلَّ كلمة كثر استعمالها أتى التخفيف في بنائها · وهذا التخفيف يكون في بدء الكلمة أو في وسطها أو في آخرها أو في مَوضعَين منها ، ففي موضعين مثل وأيمِ الله فان أصلها وأيمُنِ الله وأيمُنُ جمع يَمين كأطْرُق جمع طريق · فقد حُذِفت النون من الذيل وأُبدلت همزة القطع بهمزة وصل ، ومن التخفيف في الاول إسْم عند من يقول ان اصله وِسم فأُبدِلت الواو بهمزة قطع لأنها اخفُّ منها ثم تحوّلت في وسط الكلام الى همزة وصل وبقيت همزة قطع في بدء الكلام تقول إسمُ الله اشرفُ الاسماء وباُسم الله يُفتَتح الكلام · ومن التخفيف في الذيل قلب الحرف الصحيح حرف علة كتظنَّى في تَظَنَّنَ وأحاظٍ في أحاظّ من الحَظّ (جمع حَظّ على أَحُظٍّ ككَفّ على أكُفٍّ وجمع أُحظّ على احاظّ مثل أضلُع على اضالع) او حذف الحرف جملة كحِرفي حِرْح · ومن التخفيف في الوسط مجيء حاجة في حائجة [1] وعادة في عائدة ويرَى في

---

(١) في التاج اسماء الأيمة الذين قالوا ان حاجة عن حائجة وان لجمعها على حوائج وجوهاً الاول ان حائجة أصل لجُمِعت حاجة على حوائج من باب ردِّ الفرع الى اصلهِ وجمع الأصل ثم أعطيت صيغة الجمع لفرعه والثاني ان حوجاء بمعنى حاجة —

يرأي وَميت في ميّت وصيف في صيّف ومن هذا مجيء طَلَبة في طَلِيبة وجَرِمة في جريمة · وقد تدخل التاء على فعيل وفعول لانتقال الصفة الى الاسمية كالرَّمِيَّة والنَّطِيحة والذَّبيحة في فعيل والرَّكُوبة والحَلُوبة والعَلُوفة في فعول ·

فطليب وطَلِيبة واحد وجمع طَلِيب طِلْبَة وطَلْبَة وطُلْبَة كصبي وصِبْيَة وصَبية وصُبْية وقد أُهمِلت طُلْبَة إمَّا من قِبَل اصحاب المعاجم واما من عدم الاستعمال لانه ليس كُلُّ ماجاء القياسُ بهِ تداولتهُ الألسنة · فالطِلْبَةُ والطَّلْبَةُ صِيغتا جمع نُقِلتا الى الإفراد كما نُقِل غُرُب وسُوقة وخُلَّة من الجمع الى المفرد ·

وقد جاء في طَلَبة وطَلْبة وطِلْبة طَلَبات وطَلَبات وطِلْبات وطِلَب ويصحُّ ان يأتي عن طَلْبة طِلاب كخَطوة وخِطاء ومرَّة ومِرار ·

وهكذا جاء في كَلِمة وكَلْمة وكِلْمة كَلِمات وكَلْمات وكَلِم وجاء كَلِم واعيد اليه ضمير المفرد وضمير الجماعة فقيل الكَلِم الطيِّب والكَلِم العوراء والكَلِم العُوران وقد جمع بين اللغتين القول المنسوب

— وجمع حوجاء حواجيُّ مثل صحراء وصحاريُّ ثم قُلِبت حواجيء كما قُلِبت اوائل فكما جاء فيها اوالي جاء في حواجيُّ حوائج فهي صيغة جمع لحوجاء لا لحاجة وبقي للتخريج وجه ثالث هو حائجة على حِواج من باب دارة ودِيار وحَجَلة وحِجال وأَكَمة وإكام لان دارة اصلها دَوَرة ثم يُجمع فِعال على فعائل في الجموع كثير منه جمع حرَّة على حِرار ففي التاج في مادة حرَّة قال ثعلب قال أعرابي ليس لها اعراق في حِرار ولكنَّ أعراقها في الإماء — وحِرار هنا ازاء إماء فالمفرد حُرَّة ازاء أَمة وجمع حِرار حرائر فجمع حواج حوائج ·

(في كتاب السيرة لابن ابي اسحاق) الى الامام عليّ وهو :

عرفتُ ومن يعتدِلْ يعرفِ وأيقنتُ حقاً ولم أصدفِ
عن الكَلِمِ المُحْكَمِ اللاء[1] من لدى الله ذي الرأفة الأرأف

أمّا اعادة ضمير الإفراد الى كَلِمٍ فلأن كَلِماً في أصلهِ كليم بناء مفرد واما اعادة ضمير الجمع إليه فلأن فعيلاً جيء بهِ للجمع ايضاً ومن ذلك قول السموأل :

تعيرنا انا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها إنّ الكِرامَ قليلُ

وقول يزيد ابن الطثرية (من حماسة حبيب)

فديتك اعدائي كثيرٌ وشُقّتي بعيدٌ واشياعي لديكِ قليلُ

وسواءٌ أكان الكَلِم جمعاً او اسم جنس او مخففاً من كليم الذي هو بناءٌ قد جاء للمفرد والجمع فانه نُعِت بعقلاء لما تضمّنه من معنى الجمع لا لما تضمنه من معنى الإفراد .

وبقي ان البحث يتطلَّبُ بيانَ مجيء كليم وكَلِمة وكلام من

(١) اللاء لغة في اللائي من باب التخفيف والأصل اثبات الياء قال الشاعر (من شواهد النحاة)

هُمُ اللائي أُصيبوا يوم فَلْجٍ بداهية تميدُ لها الجبالُ

وقد اختلف في قول النابغة الذبياني :

واحكم كحُكْمِ فتاةِ الحيِّ اذ نظرَتْ الى حمامٍ شِراعٍ واردِ الثمَد

فان شِراعاً جمع شارعة فجاء نعتاً لحَمام لانه اسم جنس تقول حمام صوادح وصادحة وأما وارد فمن قائل أنه جمع وارد كما مرَّ معنا في ماح ومن قائل انه مفرد لأن حَماماً يحمل معنى الإفراد تقول حمام صادِح .

مادة (ك ل م) من باب الاشتقاق والنقل كما قال البركويُّ وليس هنا موضعه فاكتفي بالاشارة اليهِ والتنويه بان المعاجم أغفلته وهو من المباحث الدقيقة فاذا كانت المعاجم لاتورِدُهُ فأين يرد . بل عدم وروده في المعاجم دليل على قصورها في خدمة اللغة خدمةً يجب عليها النهوض بها .

الحجَّة الثالثة

الشيعة الشنعاء (١)

روى معجم البلدان في ذروة قول الصليحي

وطالعت ذروةً منهنَّ عاديةٌ وانصاعتِ الشيعةُ الشنعاء شُرَّادا .

فجاءت شنعاء صفة لِشيعة فما هذهِ الصيغة يا ترى :

جاء في التاج شرحاً للقاموس « شيعة الرجل اتباعهُ وأنصارُهُ وكلُّ قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة .

وقال الأزهري معنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً وليس كلُّهم متفقين . وفي الحديث : اَلقَدَرِيَّةُ شيعة الدَّجَّال أي أولياؤُه . وأصلُ الشيعة الفِرقةُ من الناس على حِدَةٍ وكلُّ من عاون إنساناً وتحزَّب لَهُ فهو لهِ شيعة قال الكُمَيت:

ومالِيَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالِيَ إلا مشعبَ الحقِّ مَشْعَبُ

---

(١) على الناقل ان يكون اميناً في النقل فيورد القول كما جاء وهو ليس شريك القائل في قولِهِ . لذلك نقلتُ هذهِ الكلمة كما جاءت للاستشهاد اللغوي ولستُ ارى هذهِ الصفة صادقة

ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكَّر والمؤنث بلفظ واحدٍ ومعنى واحد . وقد غلب هذا الاسمُ على كل من يتولى علياً وأهل بيتِهِ رضي الله عنهم أجمعين حتى صار اسماً لهم خاصة . وأصل ذلك من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة . وقيل عين الشيعة واو من شوَّع قومَه إذا جمعهم وقد تقدَّمت الإشارة إليه قريباً [(١)] ج أشياع وشِيَع كعِنَب قال الله تعالى « كما فعل بأشياعهم » وقوله تعالى ولقد أهلكنا أشياعهم .. وقال تعالى « الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شِيَعاً أي فِرَقاً مختلفين . والشاعة الزوجة لمشايعتها الزوج » اه

وجاء في معيار اللغة ومؤلفه شيعيٌّ ما يأتي : « وشيعةُ عليٍّ وأولادِهِ الطيِّبينَ هم الذين والوْهُ ... تقع على الواحدوالإثنين والجمع والمذكَّر والمؤنث والنسبة شيعيٌّ . ومن الرجل أتباعهوأنصارُهُ ج شِيَع كصيغة وصِيَغ . جج أشياع كعِنَب وأعناب . والشيعة أيضاً الفرقة . وكل فِرْقة اختلفوا في مذهب وطريقة . وكل قوم اجتمعوا على أمرٍ واحد قيل أصلها من المشايعة بمعنى المتابعة . وفي الحديث أنما سمِّيت الشيعةُ شيعةً لأنهم خُلِقوا من شُعاع نورِنا وهو من الاشتقاق الكبير [(٢)] .. والشاعة الزوجة لمشايعتها الزوج » اه

---

(١) اورد التاج في مستدركه على القاموس في مادة شوَّع ما يأتي « شوَّع القومَ تشويعاً جمعهم وبه فسِّر قول الاعشى « أُشَوِّع عوناً ونجتابُها » ويقال منه شيعة الرجل . والاكثر ان يكون عين الشيعة ياء لقولهم أشياع إلاَّ أن يكون من باب اعياد أو يكون شوع على المعاقبة »

(٢) لم يذكر هذا الاشتقاق الكبير صراحاً ولا تلميحاً فهذاالغموض لا يوائم

والمعاجم تبدأ في بحث شيعة منها ما عدا معيار اللغة الذي ذكر أنها من شُعاع ولم يكشف نقاب الغموض عن محياها وقد سألتُ عالماً شيعياً ثقة عند قومه عن صيغة شيعة فقال هي اسم جنس · فسألته عن دليلهِ · فقال: لأنها تُطلق على الفرد والجماعة · فاعترضتُ عليه اعتراضين الأول أنه يقال في شعيرة شعير وفي حمامة حمام ولا يقال في شِيعة شِيع[1] فهذا فارق أول · والثاني أن اطلاق الحرف على المفرد والجمع لا يختص باسم الجنس ومن ذلك السَلَف والرصد · للواحد والجمع والأصل سالف وراصد · فأمسك ذلك العالم عن النقاش · والذي جاء به ذلك العالم لا يصحُ فشِيعة لا تصح اسم جنس ولا اسم جمع لأن اسم الجمع لا تدخل عليه التاء كما مرَّ معنا في إبل ونعم وفيلق · واسم الجنس لا يتضمن معنى من معاني المادة التي جاء وضعه على حروفها فليس في شعير معنى من معاني شعر لانه لم يرد من شعر على وجه الاشتقاق وإنما أتى من باب التوافق في حروف البناء وشيعة تتضمن معنى شاع الوارد بمعنى والى ونصر وصحب ووافق · فان اسم الجنس من الوضع المرتجل · وأما الشيعة فمن المشتق الوارد بمقتضى القياس في صوغ الجموع عن أبنية المُفرَد · أما أن بِناء الشيعة بدأ جاء اسماً مشتقاً ثم نُقِل إلى اسم الجنس كما نُقِل

صراحة اللغة والذي أراهُ ان شعاعاً يجمع على شعة مثل شُجاع يُجمَع على شِجعة ثم أبدِلت العين بياء للتخفيف كما أُبدلت الظاء بياء في احاظٍ جج حظ فان مجي الياء عن العين من الاستبدال البعيد لذلك دعاهُ اشتقاقاً كبيراً

(١) كلامي هنا من حيث الاستعمال لا من حيث قبول القياس شِيعاً او عدم قبولهِ ، وعندي ان القياس يقبل شِيعاً وسيأتي بيان ذلك في ما يلي :

ثمر جمع ثمير إلى اسم الجنس فيصح ولكنه لدى بحثه ينظر إلى أصالة اشتقاقه وان اسم الجنس عرض طارئ عليه

ومما يجب الإشارة إليه أن أسماء الجموع وأسماء الأجناس من الوضع المرتجل الجامد وأما صيغ الجموع فمن الوضع المشتق . والمشتق أشرف مادة من الجامد والصرف يعنى بالمشتق لأنه الأصل وبالجامد كتابع له وما يصح أن يكون متبوعاً لا يكون وضعه في التابع من التحقيق بل من التشويش فإذا صح لنا أن نعد شيعة من صيغ الجموع فليس لنا أن نقول أنها اسم جنس

وللشيعة ثلاثة أوجه من التخريج (عدا تخريجها من الاشتقاق الكبير) الأول شائع اسم فاعل من (شَيَع) بمعنى والى وتابع ورافق يصح جمعه على شيْعة مثل صاحب وصُحبة ورائق ورُوْقة وسارب وسرْبة . ثم أبدلت الضمة بكسرة لسلامة الياء حفظاً لمادتها كما أُبدلت ضمة بُيض في بِيض جمع أبيض لسلامة الياء فان أفعل يجمع على فُعْل مثل أحمر وحُمر وأصغر وصغْر . ولا يُجمع على فِعْل

وقد ذهب الجوهري في صحاحه الى ان فاعلاً يصاغ جمعه على فعلة (بكسر فسكون) وقال ان امرأ القيس صاغ هذا الجمع في قوله :

علون بانطاكية فوق عقمة   كجرمة نخل او كجنة يثرب

فعد جِرْمة جمع جارم ووافقه القاموس فقال (الجِرْمة بالكسر القوم يجترمون النخل) وردها التاج بقوله ان الجِرمة في قول امرئ

القيس (هنا) ماجرِم وصرِم من البسر شبَّهَ ما على الهودج من وَشي وعِهن بالبُسر الاحمر والأصفر او بجَنَّة يثرب لانها كثيرة النخل ·

فلو سلّمنا بقول الصحاح لجاءت صيغة شِيعة من شائع (اليائي) بغير حاجة الى إعلال أمّا اذا جئنا بشيعة من شائع الواوي فيكون لنا شائع على شوْعة كصاحب على صحبة ولا إعلال ولا وسيلة لقلب الواو ياءً ولم يُسمع شوْعة وحينئذٍ يقال شائع على شِوعة كجارم على جِرمة ثم سكنت الواو بعد كسرة فقلُبَت ياءً كميزان في مِوْزان · فلا يصحُّ مجيء شِيعة من شوَع إلاَّ على مذهب الصحاح في جمع فاعِل على فِعْلة ·

والخلاف بين الصحاح والتاج في جِرْمة يمكن البتُّ في أمرهِ بتدبُّر مراد امرئ القيس فان اراد وصف ما على الهوادج من الوان الأنماط فالتاج على صواب · وان اراد وصف الظُّعُن (جمع ظعينة) بالنشاط وعدم مبالاة المشاقِ فالصحاح على صواب · والذي يبدو لي ان هذا ما توخّاه امرؤُ القيس في قولِهِ :

تَبَصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ سوالك نَقْبَاً بين حزمَي شَعَبْعَبِ
علونَ بانطاكيةٍ فوق عِقمةٍ كجِرمَةِ نخلٍ او كجنَّةِ يثرِبِ
فريقان منهم جازع بطن نخلةٍ وآخر منهم قاطِع نجد كَبْكَبِ

فهو يقول انهم بارزون كأنهم جِرمة نخلٍ او امثال جنَّة يثرب يريد وصفهم بالقوَّة او بالجمال او بالامرين معاً · وشائع يجْمَع على فُعْل وفِعل فمن جمعه على فُعْل غائط وغوط وعند بعضهم تاجِر وتُجر ومن

جمعه على فِعَلٍ حازِب وحِزَب فشائع الواوي يُجمَع على شِوَع فتُقلَب الواو ياء وشائع اليائي يجمع على شِيَع فتقلب الضمة كسرة فالقياس يقبل شيعًا ولكن القياس لايغني وحده عن الاستعمال [1] ازاء من لايُسلِّم باطّراد القياس .

والثاني : انه جاء شاعة للزوجة فهي كجارةٍ من جارٍ ومعنى شاعٍ مشايع كجار بمعنى مجاور وجمع شاع (وأصلها شَيَع أو شَوَع) شِيعة كجارٍ وجيرة ونارٍ ونيرة وفِعلة إحدى صيغ الجمع لبناء فَعَل ومن ذلك وِلْدة وإلدة لولَد وفتية لفتى وإخوة لأخٍ (أصلها أخو)

والثالث : انه جاء شَيِّع وأصل هذا البناء فعيل فهو كَخَيِّر وطَيِّب ومعنى شَيِّع المشارك والمعاجم تأتي بصيغة جمعه على شُيعاء كشُركاء وفِعلة من جموع فَعِيل وستأتي معنا في هذه الرسالة حروف من بناء فعيل جمعها على فِعلة فلا أذكرها هنا كي لا يُعادُ الكلام عنها [2] .

ومما لا بُدَّ من ذكره أن شَيْخًا لُغة في شَيِّخ والتخفيف على مثال مَيْت في مَيِّت وصَيْف في صَيِّف والدليل على ذلك الأصل قول الشاعر (مادة المصيخ في معجم البلدان)

وليلة العيشِ بها المديَخِ   أرقص عنها عكنانَ الشيّخ

(١) في المعاجم زبد شِيَع نساء مثل زِير نساء وهذان الحرفان في الاصلاح من جمع فاعِل على فِعَل ثم نُقلا من الجمعية الى الإفراد . ومن امثال ذلك مجيء شَيْخُون في شَيْخ وهو من باب جمع شيخ بالواو والنون

(٢) من ذلك حَايِل وحِلَة وجَلِيل وجِلَة .

ويجمع شَيْخ على ما يستلزمه القياس في جمع شَيِخ وما هو حادث له من التخفيف أيضاً وقد جاء في جموعِهِ شِيخة وقد ذكر التاج أن هذه الصيغة نُقلت عن ابن سيدة وكراع ولم يضبط الأَوَّل بحركة وقال هو كصبية ولا يخفى أن صبية تقبل الحركات الثلاث وضبطها محيط المحيط والبستان بالكسر . فدلّ مجيْ شِيخة على أن فَيِعلاً الوارد عن فعيلٍ يقبل فِعلةً صيغة جمع لَهُ

وأفضلُ وجوهِ التخريجِ الثلاثة الأَوَّلُ ويليه الثاني وأَضْعَفُها من جهةِ القياس الثالثُ ولكنهُ أقواها من جهة المعنى لأن فَيِعلاً أقوى في المعنى من فاعلٍ وفَعَلٍ

وقد يلوح لمن يحاول معارضتي أن يقول انك جئتَ بما لم يرد في مُعجَمٍ ولذلك لا يُقبَل كلامك فأُجيب أن المعاجم غيرِ مُلِمَّة بجميع ما صحَّ في اللغة فأَتى على مقتضى القياس وجاء السماعُ بهِ وقد أثبتُّ هذه الحقيقة في رسالتي المسماة الرأي الجاسم في الكلام الصحيح الذي خلت منه المعاجم ويؤيِّد قولي هذا أن الشيخ احمد الاسكندري من أَعضاء المجمع العلمي المصري اورد في الجزء الأَول من مجلة المجمع العلمي الملكي (ص ١٧٨) القول الآتي :

« ان المُعْجَمات المطبوعة بين ظُهرانينا تعدُّ على الأَصابع وما لم يُطبع لا تُحصيه المئات . وان كل مُعْجَم فيه ما ليس في غيرِه فقد كان كثير من الناس قبل اشتهار كتاب الأَساس ينكرون ألفاظاً واستعمالات شتّى ثم اطلع غيرهم في الأَساس على صحتها فبطل ما كانوا يعملون

وللتدليل على صحة هذا القول اذكر ما يأتي : ضبط الشيخ ناصيف اليازجي في نار القرى في شرح جوف الفرا شاهد النحاة الآتي هكذا (طبع سنة ١٨٦٣ ص ١٩٤)

بل بلدٍ ملءُ الفجاج قُتُمُهْ لا يُشترَى كتّانُهُ وجَهرَمُهْ

فجاء بقُتُم جمع قَتْمة . وتلاه ولدهُ الشيخ ابراهيم فضبط البيت هكذا

بل بلدٍ ملءُ الفجاج قُتُمُهْ لا يشترى كتانه وجَهرَمُهْ

وذكر في شرح شواهد المختصر أنه وقف على ضبط قَتَمِهِ بفتحتين بمعنى قتام ولم يجِد ذلك في المعاجم وأنه ضبط قُتُماً بضمتين جمعاً لقَتَام كنُهُرٍ لِنهارٍ . وبعد طبع شواهد المختصر انتشر معجم تاج العروس وفيه من المستدرك على القاموس القَتَمُ محرَّكةً الغبار . فجاء في التاج ما وقع عليه الشيخ ابراهيم ولم يجِد نصاً به وقد استشهد التاج بمجيئه بشاهد عن ابن الاعرابي هو :

وقتلِ الكُماةِ وتمتيعهم بطعن الأسنَّة تحتَ القَتَمْ

ولا ريب في أن رواية البيت الذي جاء بهِ الشيخ ناصيف تستقيم على الوجوه الثلاثة

وصفوة القول : ان شيعة صيغة جمع وجمعها على شِيَع مثل قيمة وقِيَم كما روى معيار اللغة وشِيَع تُجمع على أشياع مثل عِنَب وأعناب وجِيَف وأجياف . وقد أخطأ القاموس في عدّهِ أشياعاً في جمع شِيعة فهو جمع شِيَع وقد جاء نعت شيعة على فعلاء . ففعلاءُ تأتي صفة للجمع فإذن هي صيغة جمع وهذا ما أريدُ تقريرهُ

الحُجَّة الرابعة

القِيعة البيضاء

روى معجم البلدان في مادة أخابث للطاهر ابن أبي هالة أحد قُوَّاد أبي بكر الصدِّيق قولهُ :

فلم ترَ عيني مثل جمع رأيتهُ بجمع مجاز في جموع الأخابثِ
قتلناهم ما بين قُنَّةِ خامرٍ الى القِيعة البيضاء ذات النبائثِ

والقيعة بناؤُه مختلف فيه فقائل انه صيغة جمع . وقائل انه يجيء صيغة افراد . وهذهِ أقوال المعاجم . في التاج مادة (قوع) القاع ارض سهلة مطمئنة .. ج قِيع وقِيعة وقِيعان بكسرهنَّ واقواع وأقوُع ولا نظير للثانية الاجار وجيرة . قلت (اي قال صاحب التاج) ونار ونيرة جاء في شعر الأَسْوَد نقله ابن جنِي في الشواذّ وصارت الواو فيها وفي قيعان ياءً لكسرة ماقبلها ... وقال ذكرُهُ كسراب بقِيعةٍ . وذهب ابو عبيد الى أن القيعة تكون للواحد كما حرره الخفاجي في العناية وابن جنِي في الشواذ ومثَّلهُ بديمةٍ .. وشاهد القيع قول المراد ابن سعد الفقعسي :

وبين اللابتين اذا اطمأَنَّت لعبن هما لجا رصفاً وقيعا » اه

فالتاج يثُبت لقاع اربع صِيغ جمع ويستثني قيعةً فيوردها تارةً جمعاً ويأتي لها بتنظير مزدوج . وتارة صيغة إفراد في مذهب ابي عبيد ولم يورِد دليلاً على ذلك الا التنظير بديمة وسيرد معنا بحث ديمة في الحُجَّة الخامسة .

وفي معيار اللغة · القاع ارض سهلة ·· وتقديرهُ قَوَع بفتحتين قُلِبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ماقبلها ولهذا يُجمَع على أقواع كسَبَب وأسباب · وعلى قِيعان فصارت الواو ياءً لكسرة ماقبلها كورَل ووِرْلان وأقْوُع كجَبَل وأجبُل والقيعة كصِيغة بمعناه (اي بمعنى القاع) كالقِيع بلا هاء ومنهم مَن جعل الأُولى (اي قِيعة) جمعاً ومن جعل الأخير (اي قيعاً) جمعاً ·· اه

وهذا النصُّ يشهد على المؤلِّف انه حائر في قِيعة وقِيع بين ان يكونا من صِيَغ الجموع او من أَبنية الافراد ولو ذهب الى انهما جمعان لنظَّر قيعة بجيرةٍ او نِيرةٍ كما في التاج ولنظّر قِيعاً أيضاً ·

فقِيع لاتجيءُ من قَوَع صيغة جمع لقاع لأَن فَعَلاً لايجمَع على فِعْل[1] وانما يجوز أن يأتي في فُعْلٍ كسر الأوَّلِ على التخفيف كما جاء خِيول في خُيول جمع خَيل وبِيوت في بُيوت جمع بيت · ويستلزم ذلك ان يجيءَ قُوع أوَّلاً لان قِيعاً فرع عنها فإِمَّا ان قُوعاً في اللغة وقد اهملتها المعاجم بغير مسوّغ واما ان قُوعاً ليست في اللغة فلا تكون قِيع من جموع قاعٍ الواوي · لانهُ متى انتفى الأَصل انتفى فرعهُ وحينئذٍ لا وجه لمجيء قِيع إلاَّ من قَيَع اليائي فيقال فُعْل في فَعَل وارد كأُسْد في أَسَد وجُمْل في جَمَل وفُعل في قاع (اصلها قَيَع) يجيء هكذا قُيْعاً ثم استُبدلت الضمة بكسرة لسلامة الياء · ولم

---

(١) نصَّ على ذلك التاج في مادة وَلَد وهذا قولهُ « الوِلْد بالكسر (فسكون) كالوَلَد بفتحتين لان فَعَلاً ليس مما يُكْسَر على فِعْل »

يذكر القاموس مادة قَيَع بمعنى قَوَع ولكن التاج ذكرها في ما استدرك عليه فقال بمجيء قاع يقيعُ بمعنى قاع يقوعُ وكان من واجبه تعليلَ قِيع لأنه يُثبِت مذهبه ·

وجمعَ القاموسُ قاعًا على قيع بلا نظير فلما انتهى الى قِيعٍ صاحبُ معيار اللغة أَبى ان يقِرَّ هـذا البِناءَ في الجموع واقرَّهُ في الافراد وذكر أنه قيل إنه صيغة جمع ولو كان قِيع من بناء المُفرَد كمِيل لوجب ان يجيءَ من مادة قَيَع لا قَوَع فالقاموس ومعيار اللغة اخطأا في ايراد قِيع مفرداً من مادة قَوَع · ولو قيل انهما قاساهُ على عِيد من عَوَد لقلتُ ان في اللغة قَيَع بمعنى قَوَع ذكرها التاج ولم تورد المعاجم ان عَيَد جاءت بمعنى عَوَد ولا يصحُّ القياسُ على الفارق ثم انه لاغنى عن إقامة الدليل على ان عِيداً جاءت في الوضع صيغة افراد لاصيغة جمع ثم نُقِلت الى الافراد كزِيرٍ بمعنى زائر وشِيع بمعنى شائع وتِبع بمعنى تابع ثما عيد الا بمعنى عائد فكما يقال رَجلٌ غُرُبٌ وغُرُبٌ صيغة جمع يقال يومٌ عيدٌ ويومُ عِيدٍ اي يومٌ يعود آناً بعد آنٍ فكل عيد يُعادُ عاماً بعد عام · وكان على التاج وقد استشهد ببيت المرار ان يورد قِيعاً في قَيَع لا في قَوَع وقد قال ابو عبيد[1] بمجيء

---

(١) « هو القاسم بن سَلاَّم كان ابوه مملوكاً رومياً وكان ابو عبيد امام اهل عصره في كل فن من العلم اخذ عن ابي زيد وأبي عبيدة والاصمعي وأبي محمد اليزيدي وابن الأعرابي والكسائي والفرَّاء · مات بمكة سنة ٢٢٣ وقيل سنة ٢٣٠ عن سبع وستين سنة » عن بغية الوعاة للسيوطي ·

قيعة للمفرد لا صيغة جمع ولم يجئْ بدليل على صحة مدّعاه · والدليل هنا أن يأتي بحرفٍ على وزن فِعْلة (بكسر فسكون) لايصحُّ ان يكون بداءة بدء صيغة جمع · فان قيعة مفرداً او جمعاً يعود اليها ضمير موئنث مشترك بين المفرد والجمع · وفِعْلة صيغة جمع لِفَعَل مما جاء في القياس والاستعمال وقام الدليل على انها صيغة جمع بِفِتْيَة والدَة ودِيرة وشيعة (١) وردّ القياس بلا دليل لايصحُّ ·

ولقائلٍ أن يقولَ عن قِيعةَ صيغة مُفردٍ من باب حِلَّةٍ وجِيفة وصِيرة وقِدَّةٍ ونظائرها · فاقول ما الدليل على ان هذه الحروف من بناء المفرد · فاني اراها من صِيغ الجموع وها انا ذا اقيم الدليل على ما أدّعيه فأقول:

= حِلَّة – جاء في التاج الحِلَّة بالكسر القوم النُزُول (جمع نازل) اسم للجمع وهيئة الحلول وجماعة بيوت الناس · او هي مئة بيت ج حِلال بالكسر ويقال حيٌّ حِلال والمجلس والمجتمع ج حِلالٌ وفي معيار اللغة « الحِلَّة بالكسر القوم النُزُول · واسم الهيأة الحلول ونوعِهِ وجماعة من الناس او مئة بيت والمجلس ومجتمع الناس تسمية للمحلّ باسم الحال ج حلال كذِئبة وذِئاب وحِلَل كسِدْرة وسِدَر » اه

(١) في اصطلاح ابناء لبنان وسوريا إطلاقهم على الفسحة الكبيرة ذات الدور المتعددة دِيرة يقولون هذهِ دِيرة بني فلان اي مساكنهم وحقولهم · فدِيرة صيغة جمع لدار كقِيعة صيغة جمع لقاع وعدم ورود هذهِ الصيغة في بعض المعاجم لاينفي صحتها لانها واردة في الاستعمال على مقتضى القياس ·

فذكر المُعجمانِ الحلَّة بمعنى القوم النزول أي أن مفادها جمع ·
وزعم التاج أنها اسم للجمع · وهذا لا يصحّ لمانعَين الأوّل أن اسم
الجمع لا تلحقه التاء والثاني أنه لا يكون مِمَّا يصح عدُّه جمعاً وفعلة مِمَّا
عُدّ صيغة جمع · فحِلَّة صيغة جمع إمَّا عن فاعل كجِزْمَة عن جارم فيكون
هذا البناء شاهداً على مجيء فِعلَة جمعاً لفاعلٍ كما ذهب إلى ذلك الجوهريُّ
ويردُّ قولَ التاج · وإمَّا عن حَلِيل بمعنى حالٍّ كقدير بمعنى قادر
وفهيم بمعنى فاهم وحَليل على حِلَةٍ كصبيٍّ على صِبْيَة · وأما هيأة الحلول
ونوعه فمن المصادر وليس من بحثنا وأما أنه جماعة البيوت فصحيح
من باب تسمية المحل باسم الحال فيه أي أن الأُصل مكان الحِلَّة
أو مثوى الحلَّة أو مقرّ الحِلَّة ثم حذف المضاف وأعطي المقام للمضاف
إليه وهذا وارد في كلام العرب ومن ذلك السُّوق فإن أصلَهُ مكان
السوق ورشيد اسم ثغر والأصل ثغر الرشيد أو مرفأ الرشيد أو مرسى
الرشيد نسبة إلى هارون الرشيد الخليفة العباسي الشهير وإذا قلنا الحلَّة
جمع حليل فلنا أن نقول حَليل يُجمَع على حِلَّة وحَلَّة وحُلَّةٍ كصبي
وصِبْية وصَبْية وصُبية وجمع حِلَّة حِلَل وجمع حَلَّة حِلال وقد اشتهرت
حِلَّة ولم تَشتهِر حَلَّة فجاءت حِلال تدلُّ عليها · والفرع يدلُّ على
أصلِهِ فقد جاء في جمع دَوْلة دُوَل والقياس يَطلُب دِوالاً على أن
المعاجم تذكر دُولة ودَولة فجمع دُولة دُوَل وقد نقلوا هذا البناء
إلى دَولةٍ فجاء الشذوذ ولو ذكروا دُولاً لدُولةٍ لارتفع الشذوذ ·
فالشذوذ من صنيع المعاجم لا من أوضاع اللغة الفُصحى · ولنا أيضاً

أن نقول أن حليلاً بمعنى محلول وأن الأصل أن يقال مكان حليل ثم حُذِف الموصوف لدلالة الصفة عليه كماضٍ وصارم وباتر ومرُهف وحسام والأصل سيف صارم وماض وباتر ومرْهَف وحُسام وحليل بمعنى محلول كحليل بمعنى حال في أنَّهُ يُجمع على فِعلة مثلَّثة الفاء . أما أن الحِلَّة مساحة لمئة بيت فمن الإصطلاح لا من الوضع اللغوي وكذلك من هذا الباب اطلاق الحِلَّة على مجلس القوم أو مجتمعهم

إذن حِلة ليست صيغة إفراد جيء بها تسميةً لقطعة من الأرض بل هي صيغة جمع وليس تنظير حِلةٍ على حِلالٍ كذئبة على ذئاب من باب تنظير المثل بالمثيل في الصيغة فهو من باب التنظير بالوزن فحِلال جمع حَلَّةٍ لا جمع حِلةٍ كما ذهب إليه معيارُ اللغة

= جيفة = في التاج «الجيفة بالكسر جثَّة الميت . وقد أراح وقد أنتن وعمَّه بعضهم ج جِيَفٌ ثم أجياف كعِنَب وأعناب المراد بذلك مُطلَق الوزن وإلاَّ فالعِنَب مفرد لا جمع كما هو ظاهر» اه

وفي معيار اللغة «الجِيفة جثَّة الميت وقد أنتن ج جِيَف كصِيغة وصِيَغ ثمَّ تجمع الجِيَف على أجياف كعِنَب وأعناب وقد جافت الجيفة جِيَفاً كباع أنتنت» اه

ففي التاج مجيءُ جِيفة اسم جِنس خلواً من اشتقاق ولها جمع هو جِيَف وجمع جمع هو أجياف واعتراض على تنظير جِيَف وأجياف بِعِنَب وأعناب بما أن جِيَفاً جمع وعِنَباً مُفرد . والصواب أن عِنَباً اسم جنس الواحد منه عِنَبة فهو كتَمرٍ من تَمرةٍ وثَمَر من ثَمَرةٍ

ولبِن من لَبِنة . وقد سبق لنا الكلام على أنه يُقال ثَمَر ناضج وثَمَر ناضجة وهذا شأن عِنَب

وفي التاج ومعيار اللغة جاف الشيءُ انتن فجاف بمعنى قبل أن يُجافَ تقول جاف زيدٌ فهو جائف أو جوِيف فان كان من جاف جائفٌ فجائف يُجمع على جُيْفة مثل صاحب وصُحْبة ثم استُبدلت الضمة بكسرة فصار البِناء جِيفة أو يجمع على فعِلة أي على جِيفة كجارم وجِرمة ويكون هذا من شواهد مذهب الجوهري في جمع فاعل على فعِلة . وإن كان من جاف جوِيفٌ فجمعه على جِيفة كصَبِي وصبْية وحَلِيل وحِلَّة ويكون قولنا زيدٌ جِيفة كقولنا زيدٌ غُرُب وجنَب وسُوْقة وقد تقدّم الكلام على ذلك (١)

---

(١) نقل صيغة الجمع الى الافراد واستعمالها مفرداً كثير من ذلك في الحديث رواية الجامع الصغير للسيوطي «٦٨٥٧» كان له قدح قوارير يشرب فيهِ اي قارورة، وحديث «٧٨٦٩» (ما ترفع إبل الحاج رِجلاً ولا تضع رجلاً الاَّ كتب له تعالى، بها حسنة او محا عنهُ سيئة او رفعه درجة) والإبل هنا ناقة او جمل وفي حديث ٩٣١٢ «النجوم أمنة السماء... وانا أمنة لاصحابي...» فأمنة صيغة جمع لامفرد وقد استُعملت اولاً للجمع وثانياً للمفرد . وهذه الشواهد من الحديث . واليك الشواهد من كلام البلغاء . روى كتاب السيرة لابن اسحاق ان عمرو ابن الجموح ... اتخذ في داره صنماً من خشَب فلما أسلمَ فتيانُ بني سلمة كانو يدْلِجون على صنم عمرو فيطرحونهُ في بعض حفَر بني سلمة فاذا اصبح عمرو قال : ويلكم من عدا على آلهتنا هذهِ الليلة — يريد إلهنا — وفِعال على أفعِلة مثل إمام على أئِمة، وقال عمرو ابن معدي كوب

هل علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارسَ إلاَّ انا

ونتيجة هذا البحث ان جيفة ليست صيغة أفراد بل صيغة جمع وقد نُقِل مفادها إلى الأفراد والنقل من الاصطلاح لا من الوضع وبحثنا عن بناء فعلة مفرداً وضعاً لا اصطلاحاً

— صيرة = جاء في التاج « الصيْرة بهاء حظيرة للغنم والبقر كالصيارة بالكسر أيضاً ونسب ابن دريد الاخيرة الى البغداديين ج صيْر وصيَر » اه

وفي معيار اللغة « الصيْرة حظيرة الغنم والبقر كالصيارة ككتابة ج صيَر كصيغة وصيَغ وصيْر بلا هاء » اه

فنجد في التاج انكار صيارة عن عرب أقحاح وجاء بها عن البغداديين . وقد أورد معيار اللغة صيراً صيغة جمع بغير تنظير وهو حريص على التنظير فلا يعدِل عنه الا حيث لا يجد نظيراً وهذا من أدلة عدم التمحيص . فان ابناء الكورة وابناء عكار من جبل لبنان يطلقون

شككتُ بالرمح حيازيمهُ والخيل تجري زيماً بيننا

اي حيزومهُ . ومن ذلك قول الفرزدق في هجاء جرير

واذا ذكرتَ اباك او مسعاتهُ أخزاك حين تقبِّلُ الأحجارُ

اي حين يُقبِّل الحجر الأسود .

ولما ذهب ملكُ يزدجرد ملك الفرس بوفاتهِ خلفهُ غريب عن آل ساسان ، وكان ابنه بهرام جور عند النعمان ابن المنذر فاستنهضه وقال : ان لي عليك حقاً اذ كنتُ أحد اولادك وان ابي قدمات وملكتِ الفرس رجلاً من غير بيت الملك فان خذلتني ذهب ملك آل ساسان ، فقال له النعمان : ما أنا وآل ساسان هم ملوك وانا رعية كتاب التاج ص ١٦٥ لاحمد زكي باشا فرعيةٌ جمع رعي لامفرد فانزل الجمع منزلة المفرد

الصار على قطعة الارض ممتدَّة الطول ضيِّقة العرض · وجمع صار على صِيَر مثل قاع وقِيع وناب ونِيب والأَصل (قُيع ونُيب) من باب أَسَدٍ وأُسْد · وقد جاء في ديوان عروة ابن الورد العبسي (ص ٩٣ من طبعة مصر):

أَحاديثُ تبقى والفتى غيرُ خالدٍ اذا هو أَمسى هامةً فوقَ[1] صِيَرِ

وصُيَّر صيغة جمع لصائر كعائدٍ وعُوَّد من الصفات للناس وضامر وضُمَّر من صفات الخيل · وبناء فاعل في أسماء المكان وارد كحائر وغائط وحائط وحائش[2] فصُيَّر دلَّت على صائر دلالة الفرع على

(١) هذه رواية الديوان وارى صحتها تحت

(٢) حديث ٦٥١٩ من الجامع الصغير للسيوطي هو هذا «كان احبَّ ما استتر به لحاجته هدف او حائش نخل» وجاء في التاج «الحائش جماعه النخل لا واحد لهُ نقله الجوهري · فاذا كان الحائش في دلالته جمعاً فهو إذن جمع حَوْش ككاب جمع كَلْب وقابِرْ جمع قَبْر · امـا كالب جمع كلب فاوردته المعاجم وسبق لي أن أورده اما قابر جمع قَبْر فوارد في قول الاعشى ميمون (خزانه العرَب للبغدادي جزء : ٢ — ص ٤٢)

لو أسندت ميتاً الى نحرها عاش ولم يُنقل الى قابِرِ

وفي قول نابغة بني شيبان (ديوانه ص ١٤)

فلو أن حيَّامات شوقاً صبابة لقام على اوصاليَ العامَ قابرُ

والحَوْش في التاج اسم يطلقه اهل مصر على فناء الدار ، واقول الحَوش في دمشق وفي لبنان يطلق على المحلة الصغيرة ففي دمشق محلَّة اسمها حوش العرَب (في ثمن القيمرية) وفي زحلة محلة اسمها حوش الزراعنة ويصحُّ ان يكون قابِرٌ اسماً للمفرد وقَبْر جمعه مثل صاحب وصحب وطائر وطير ولا دليل قاطع على ان احد القولين اولى بالقبول

اصلهِ وصائِر يُجمَع على صِيار كقائم وقيام ودخلت التاء على بناء صِيار فصار صيارة دخول التاء على حِجار جمع حَجر فقيل حِجارة وعلى صِبار جمع صُبْر كقِفال جمع قُفل فقيل صِبارة من ذلك قول عمرو ابن ملقط الطائي في خطاب عمرو ابن هند ·

مَن مبلغ عمراً بانْ المرءَ لم يخلق صِباره ·[1]

ويجمع صائر على صِيرٍ مثل حازِب وحِزْب وآلف وإلف وسارب وسِرْب ووالِد وولْد[2] فشاهد مجيء حِزب جمعاً :« وكل حِزبٍ بما لديهم فرِحون » وأُولئك حِزب الشيطان وشاهد إلف جمعاً قول كُثَيِّر عزَّة (حراضة في معجم البلدان) :

كما هاج إلفٌ سانِحاتٌ عشية له وَهُو مصفود اليدَين مُقيَّدُ

وشاهد سِرب جمعاً ان لسان العرب روَى لسويد ابن كراع قولهُ :

أَتيتُ بأَبوابِ القوافي كأَنما أَذودُ بها سِرْباً من الوحش نُزَّعا[3]

وشاهد وِلْد جمعاً قول عمرو ابن سالم الخزاعي لدى وقوفه ازاء صاحب الرسالة الاسلامية في المسجد (عن السيرة الانفة الذكر) ·

---

(١) قال المرء لم يُخلَق حجارة اي حَجَراً من باب اطلاق مدلول الجمع على مدلول المفرد

(٢) صِير جمع صائر من باب فِعْل جمعاً لفاعل · وصِيْر جمع لِصار من باب فُعْلٍ جمعاً لَفعل فالصِير في اللفظ وزن واحد وفي البِناء صيغتان كلٌّ منها مستقلة عن الأُخرى ·

(٣) روى صاحب معجم البلدان هذا البيت في مادّة المربد هكذا :

أَبيت بابواب القوافي كأنني أصيد بها سِرباً من الوحش نُزَّعا

يارب انِّي ناشِدٌ محمدا حلفَ أبينا وابيهِ الأتلدا

قد كُنتم وِلداً وكُنّا وَلَدا ثُمَّت اسلمنا فلم ننزَعْ يدا

فولِد هنا جمع والد . ويجمع صائر على صِيرة كصاحب وصُحْبة او كجارم وجِرمة . وعلى صار مثل خادم وخَدَم وراصد ورَصَد . وتُجمَع صِيرَة على صِيَر مثل قيمة وقِيَم . فليست صِيَرٌ جمع صيرة اي ليست فَرْعاً عنها بل قسيم لها وكلاهما من صائر قسيماً لصيرٍ لا كما في المعجَمين وصِيار قسيم صِيرة وصيارة عن صيار

فما جاء في القاموس والتاج والمعاجم التي نقلت عنهما ومعيار اللغة أحكامٌ لم تأتِ على وجه الضبط . وصيرة لم ترد اصلاً بناءَ مفرد بل بناء جمع كما قام الدليل .

= قِدَّة = جاء في التاج . القَدُّ السوطُ والقَدْر وقامة الرجل وتقطيعه واعتداله ج أَقُدّ كأَشُدّ وهو الجمع القليل في القَدّ بمعنى جلد السخلة والقامة وفي الكثير قِداد بالكسر وأَقِدَّة نادر وقدود بالضم في القَدّ بمعنى القامة والقَدْر . والقِدُّ بالكسر إناء من جلد والسوط وكلاهما لغة في الفتح (اي في القد) والقِدُّ السير الذي يُقَدُّ من جلد غَير مدبوغ والقِدَّة واحدَة أَخصُّ منه وقال يزيد ابن الصعق :

فرغتم لتمرينِ السياط وكُنتُم يُصَبُّ عليكم بالقنا كل مربع

فاجابه بعض بني اسد :

أَعِبتم علينا ان نُمرّن قِدَّنا ومن لم يُمرِّن قِدَّه يتقطَّعِ .

والجمع أَقُدّ والقِدَّة الفرقة والطريقة من الناس والفرقة من الناس

اذا كان هوى كل واحد على حدة ومنه قوله جلّ وعز : كُنّا طرائق قِدَداً (جمع قِدَّة) اه

وفي معيار اللغة « القِدُّ كضِدٍ إناءٌ من جلد والسوط والسير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ الواحدة بهاء اي قِدَّة ج أَقُدّ والأصل أَقْدُد كذِئب وأذؤُب والقِدَّة الطريقة والفرقة من الناس .. ج قِدَد » .

وفي محيط المحيط للمرحوم بطرس البستاني . القِدُّ السوط والسير والقِدَّة القِدُّ للسير المذكور وهي اخصُّ منــه والفرقة من الناس هوى كل واحدٍ على حِدَتِهِ ج قِدَد وأَقِدَّة » اه

وفي البستان للمرحوم الشيخ عبد الله البستاني « القِدَّة بالكسر القطعة من الشيء والسير يُقَدُّ من جلدٍ غير مدبوغ والفرقة من الناس .. ج قِدَد وأقِدَّة » اه

قلنا من تلك النصوص ما يأْتي :

– اولاً – القِدَّة ليست من ابنية اسماء الاماكن فهي ليست من طائفة قِيعة فلا تقاس على قيعة ولا تقاس قيعة عليها .

– ثانياً – القَدُّ والقِدُّ من قدَّ بمعنى واحد في الجلد المقدود على مثال طَرْح وطِرح بمعنى المطروح . وجمع قَدٍ أَقُدّ مثل كَفٍ وأكُف وجمع قِدٍّ أَقُدّ مثل ذِئب وأذؤب .

– ثالثاً – القِدَّة من القِدّ كالشُهْدَة من الشَهْد والماءَة من الماء والعَسَلة من العَسَل فهي صِيغه واردة عن قِدٍّ بتاء التصغير فليست

صيغة مستقلَّة والقيعة صيغة مستقلة عن قِيع كما نصتِ المعاجمُ فليست قِدَّة من طائفة قيعة

— رابعًا — في عبارة التاج غموض يوهم أن قِدَة تُجمع على أَقُدّ فهذا الغموض أزالهُ معيار اللغة بقوله قِدٌّ على أقد كذِئب وأَذْؤُب

= خامساً = جاء في القاموس والتاج ومعيار اللغة جمع قِدّة على قِدد دون مزيد وجاء في محيط المحيط والبستان جمع قِدَّة على قِدَدٍ وأقِدَّة ولم يُنظِرا ولا دلاً على موضع النقل . وأحسب البستان نقل عن محيط المحيط ولم يبحث صحة المنقول

= سادساً = جاء في التاج جمع قَدّ بمعنى جلد السخلة والقامة على قِداد وأَقِدة (وهذا نادر) وقُدُود . فأقول قَدٌّ لا يُجمَع على أَقِدَّة لأن فعلاً لا يكسَر على أفعِلة سواء كان ساكن العين كقَد وقُرْص وظِلٌّ ودَير (أو متحرك العين كباب ورحى[1] ولكن قَدًّا يُجمع على قِدادٍ كبَحْرٍ على بِحار وفِعال يُجمَع على أفعِلَة فقداد يجمع على أقِدَّة وأما أنه نادر الورود فليس من بحثنا فان بحثنا في ورود القياس لافي قلتهِ و كثرتهِ وأَن أفعِلة عن فِعالٍ سواء كان مفرداً كبِساط وأبسِطة او جمعاً كفِراخ وأفرِخة . وجاء في القاموس في مادة بتّ « فاتى بثلاثة أقرِصة على بَتِيّ » فجمع قُرْصًا على أقرِصة ولم يورد هذه الصيغة في مادة قرص ولا استدر كما عليه التاج وصحح الرواية هكذا ثلثة قِرَصة .

(١) جاء في تاج العروس في مادة (بَوَب) ان باباً فَعَل و فَعَل لا يكسر على أفعِلَة قال ابن منظور (اي صاحب لسان العرب) وتبعه شيخنا في شرحهِ

ومن يتأمل مادة قرص يبدُله ان قرُصاً يجمَع على قِراص كقفل على قِفال وقِراص تجمَع على أقرِصة · وقد جاء في الحديث النبوي (٢٢٦٨ من الجامع الصغير للسيوطي) إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله » ولم تورد المعاجم صيغة أظِلَّة في جمع ظِلٍّ ولكنها ذكرت ظِلالاً فأظِلَّة جمع ظلال · وأديرة جمع ديار ج دير وأبوِبة جمع بِواب جمع باب وأرحِية ج رِحاء جمع رَحىً فقِدَد لا تجمع على أقدة ولم يجيءْ في جمع فِعلَة أفعِلة فمن أين جاء البستانيان بهذه الصيغة

ولا جواب إلا أحد أمرين الأول أن قلم النقل في معجم محيط المحيط أخذ أقِدَّة من جمع قِداد فضمها إلى قِدد بغير بيّنة عن ذهول أو سهو والثاني أن البستانيين كانا في سعة من المعاجم فنقلا عن أحدها قِدَّة تجمع على أقِدَّة ولم يأخذ أحدهما على نفسه التنظير ليرى بُعد ذلك عن القياس

والذي يبدو لي أن أقِدَّة بناء صحيح ولكنّ البستانيين لم يعودا به إلى أصله فان قدًّا وقِدًّا على مثال طَرْح وطِرْح بناءً ومعنىً وقد جاء بمعنى طَرح وطِرح طريح ففي القاموس « الطرح بالكسر وكقبر والطريح كأمير المطروح » وفي معيار اللغة الطارح الفاعل والمفعول المطروح والطريح · إذن يجيءُ قديد بمعنى مقدود ويُجمع قديد على أقِدَّة كسرير على أسِرَّة وكثيب على أكثِبة فلعلّ النصّ

المنقول عنه ذكر قديداً وأقدَّة فاسقط الناقل قديداً وأضاف أقدة إلى قِدَدٍ[(١)]

فما جاء في محيط المحيط والبستان من باب الشذوذ عن القياس يوضح حقيقة لا بُدَّ من المصارحة بها وهي أن اقتناء الأسفار اللغوية العديدة لا يفي بإنشاء مُعجم محرَّر ان لم يكن من يقومون على جمع حروف المواد من ذوي الكفاءة في أبنية الحروف وتخريج بعضها من بعض

والخلاصة ان قِدَّة ليست من طائفة قيعة وهي إمَّا من زيادة التاء على قِدٍّ وإما صيغة جمع لِقَديد مثل صِبْية وصَبِيٍّ وفي هذا التخريج لا تكون صيغة إفراد بل صيغة جمع

وقِيعة في قول الطاهر «الى القيعة البيضاء» أزاء قُنَّة في قولِهِ قتلناهمُ ما بين قُنَّةِ خامرٍ» فيجب بحث قُنَّة أولاً لنتمكن من البتِّ في حقيقة قيعة فأقول:

= قُنَّة = جاء في التاج «القُنُّ بالضمّ الجبل الصغير والقُنَّة بالضمّ الجبل الصغير وقُلَّة الجبل وهو أعلاه زنة ومعنىً . وقيل هو المنفرد المستطيل في السماء لا يكون إلاَّ أسود وفي المحكم ولا تكون القُلَّة إلا سوداء ... ج قُنَن كصُرَد وقِنان بالكسر وقُنون بالضم وقُنَّات» اهـ

---

(١) ويصحُّ تخريج آخر هو: ان قِدَّة من قدٍّ كقِدَّة من قدٍّ والجمع على قِداد كَخَلة وخِلال ويصحُّ مجيءُ قِدَّةٍ من قدّ مصدراً للمرَّة وجمع قِدَّة من هذا البناء على قِدادٍ مثل مرَّةٍ ومِرار . وجمع قِداد على كلا البنائين أقِدَّة كلِجام وألْجِمة

وفي معيار اللغة «القنُّ كوُدٍّ الجبل الصغير والقُنَّة بالضمّ أعلى الجبل كالقُلَّة باللام والجبل الصغير ... ج قُنَن كجُبَّة وجُبَب وقِنان كجِباب وقُنَّات بالألف والتاء وقُنُون كجُنود موضع»

هذا ما في هذين المُعجَمَين وفي المعاجم الأُخرى ما فيهما ولي على ذلك ما يأتي :

بَتُّ الرأي في قُنَّةِ الجبل لا يعود إلى ما روته المعاجم بل إلى ما تراهُ العين الباصرة وتشهد بهِ للعقل فأمامنا جبال عديدة كالشيخ وصنين وقاسيون والفتى (٢) وسلسلة الجبال التي ترافق طريق المسافر من دمشق فحمص فحلب فان العين تراهـا وتشاهد أن أعلاها نواشز عديدة لا ناشِزٌ واحد . وإذا كان عددٌ من تلك النواشز يُدعى قُنًّا أو قُنَّة فماذا يدعى الناشز الواحد .

اذا رجعنا الى الاصل اللغوي وجدنا فُعْلَة صيغة جمع لا صيغة مفْرَدٍ فهي لفعيل كصُبْية لصبيّ فاذن الواحد يقال له قنين وقد ذكر التاج الناشز المستطيل في السماء ولا يكون إلاّ اسود وهذا ما نراهُ في الجبل المحيط بقرية معلولا والجبل الممتد بين دمشق وحمص فنرى مئات من النواشز صفوفاً صفوفاً وليست ناشزاً واحداً .

فكُلٌّ من قُنٍّ وقُنَّة صيغة جمع لا صيغة افراد ودلالتها تنبئ عن متعدِّدٍ لا عن واحد . ولكنَّ الاستعمال انزل ذلك الجمع منزلة

(١) هو الجبل الذي يعلو قرية بَرْزَة في ضاحية دمشق ويمتدُّ الى تل منين وفي سفحه مقالع تُستخرج منه الحجارة لِبناء المساكن في دمشق

المُفرَد . والاحكام اللغوية تخضع للوضع لا للاستعمال . فاذا أُريد تحريرها فلا بدَّ من الرجوع الى القياس والاستقصاء عن المصدر الأوَّل وإلاَّ وقع شذوذ وهو افساد للقواعد وتشويش للاحكام .

فقنين المُفرَد يُجمَع على قِنان مثل طويل وطوال وعلى قُنُنٍ وقُنٍّ مثل كَثِيب و كُثُب و كُثْب . وقُنٌّ يجمع على قُنُون كقُطْب وقُطُوب وجُنْد وجُنود . وقَنِين يُجمع على قُنَّة مثل صَبِيٍ وصُبْيَة . ولنا من هذا البسط ما يأتي :

١ = قُنٌّ صيغة جمع لا صيغة مفرد . والمعاجم توردها صيغة إفراد ولا توردها جمعاً .

٢ = قُنَّة صيغة جمع مستقلة عن قُنٍّ لا انها جاءت عن دخول التاء على قُنٍّ .

٣ = قُنَّة تُجمَع على قُنَن بحسب القياس تكسيراً وعلى قُنَّات بالالف والتاء .

٤ = القِنان لقنين لا لقُنَّة كما في المعاجم فالقياس لا يختلُّ تارة ويصحُّ تارة بل صحّته مطَّرِدة . وقِنان قسيم قُنَّة لا فرع عنها والقسيم غير الفرع .

٥ = القُنون جمع قُنّ لا جمع قُنَّة كما جاء في التاج ولم يورد لها نظيراً ولمَّا عمد معيار اللغة الى التنظير لم يجدْ لِقُنون عن قُنَّة نظيراً في صِيَغ الجموع ولكن متى جئنا بقُنون عن قُنٍّ وجدنا نظيراً كثيراً مثل غُصن وغُصون وقُفل وقُفول ودُفّ ودُفوف ولُصّ ولُصُوص .

فبعد تحرير هذهِ الأبنية اللغوية اقول ان المعركة نشبت بداءة بدء عند قُنَّةِ خامر اي ان الجموع المتألبة للقتال كانت مبثوثة في نواشز عديدة ثم وقعت الغَلَبة على العدوِ فولّى هارباً الى القيعة البيضاء ومتى وقعت الغَلَبة على عدوٍ تشعبت صفوفه وانهزمت فلولاً في كل فجٍ فان كل واحدٍ من المنهزمين يطلب لنفسه النجاة ولا يبالي سواهُ فان كانت القيعة مكاناً واحداً فالعدوّ اذن لم يتمزّق ولا تصدَّعت صفوفه ولا استحرَّ بهِ القتل بل ارتدَّ يبغي مكاناً حصيناً يرابط فيهِ ويجمع سراياهُ ويتقوّى باتحادهِ فهو في استقرارهِ بمكان واحد اشدُّ قوَّةً واقوى شوكة وامنع جانباً من انتشارهِ في اماكن متعدَّدة فهل هذا يصحُّ ان يكون مراد الشاعر او هو يقول بطشنا بهم ففرُّوا في القيعان حتى انكشفوا لنا لان بياض الارض دليل ان لاظلَّ ولا شجر ولا استحكام يلوذ بهِ مَن في نفسهِ البقاء على النضال ·

فمراد الشاعر في كلمة قِيعة قيعان عديدة لا قاع واحد فقيعة صيغة جمع لقاع وجاء نعتها ببضاء لان بيضاء من صيغ الجموع وهذا مادعاني الى الاستشهاد بهذا البيت ·

الحُجَّة الخامسة

ديمة هطلاء

قال امرؤ القيس الكندي :

دِيمةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ   طَبَقُ الأَرض تحرّى وتدُرْ

فنعت ديمة بهطلاء فما هي ديمة أصيغة مفردٍ هي أو صيغة جمع . فقد سبق لي القول ان فعلة في اسماء الاماكن صيغة جمع لاصيغة مفرد فهل هي كذلك في اسماء الامطار .

ففي التاج في مادة (دوم) « الديمة بالكسر مطر يدوم اي يطول زمانه . او يدوم خمسة ايام او ستة ايام او سبعة أيام او يوماً وليلة او اقله ثلث النهار او ثلث الليل ج دِيَم كقربة وقرب . غيرت الواو في الجمع لتغيرها في الواحد . ودُيُوم بالضم في الجمع » وفي مادة « ديَم » « الديمة (بالكسر) وانما اهمله من الضبط لشهرتهِ وهو المطر الدائم واوية يائية تقدم للمصنف (اي لصاحب القاموس) ذكرها في دوَم وذكرهُ الجوهري هنا ولكلٍ وجهٌ » اه

وفي معيار اللغة « في مادة دوَم » (الديمة مطر يدوم في سكون . . . ج دِيَم كصيغة وصيغ ودُيُوم كجسوم عن بعضهم . ويقال مازالت السماء دِوَماً دوَماً ودِيَماً ديَماً اي دائمة المطر وهما جمعا دِيمة لان الديمة واوية ويائية وفي المفرد صارت الواو ياء بمناسبة الكسرة قبلها وجُمعت على دِيَم على اللفظ كصيغة وصِيَغ وعلى دِوَم بالواو على الأصل وكان عمل رسول الله (ص) ديمة أيضاً اي دائماً غير مقطوع . « وفي مادة ديَم » (الديمة المطر . . . واوية يائية ج دِيَم) اه

اقول في هــذهِ النصوص ما يأتي — اولاً : المطر يدوم اياماً لايكون شؤبوباً واحداً بل شآبيب فينقطع ثم يندفع فالديمة امطارٌ

بعضها يأتي بعد بَعْض لا مطرة واحدة وهذا شأن الجمع لا شأن الفرد فالديمة إذَنْ مجموع أمطار .

ثانياً : الديمة ليست اسم جنس بل من مشتقات دائم بدليل قولِ معيار اللغة دِيماً دِيماً أي دائمة . واسم الجنس لا يشارك المشتقّ في معناهُ لأنه لا شركة بين جامد ومشتقٍ في معنى . ثالثاً : ليست ديمة اسم جمع لأن اسم الجمع لا تلحقه التاء . رابعاً : جاء في المُعجمَين التاج والمعيار أن ديوماً جمع دِيمة وهذا جمع لا نظير لهُ فلذلك امتنع معيار اللغة عن تنظيرهِ فقال دُيوم كجُسوم أي وِزان جسوم لا نظير جُسُوم ومفرَد جُسوم جِسْم ولم يُورِد دِيماً في مشتقات دَوَم أو دَيَم ليصحّ التنظير . خامساً . في اللغة دائم عن مصدرين هما داوِم ودايِم فقلِب الحرف المعتلّ همزة وعن كل منهما جاءَت صيغة دِيمةٍ وعن دِيمة دِوَم ودِيَم . سادساً : أن عمل الرسول كان دِيمةً والرسول لا بُدَّ له أن يستكين بعد أن يعمل ثم يعود إلى العمل فديمة مجموع أعمال لا عمل واحد إذن ديمة جمع لا مفرد ولا اسم جنس ولا اسم جمع . سابعاً : فاعِل يجمَع على فُعلة كصاحب وصُحْبة باتّفاق العلماء وعلى فِعلة بقول الجوهري كجارم وجِرْمة وجمعُ داوم على البناء الأول دُوْمة فلا يعلُّ لأنَّ الواو بعد ضمَّة وعلى البناء الثاني دِوْمة فتقع الواو بعد كسرةٍ فتقلَب ياءً كميزانٍ في موزان وتُعاد الواو في الجمع فيقال دِوَمٌ اذن ديمة جمع داوم دليل على صحة مذهب الجوهري في جمع جارم على جِرْمة . ويُبطِل اعتراض صاحب التاج

على مذهبه · وجمع دايم على البناء الاول دُيْمة فيقال سكنتِ الياء بعد ضمّةٍ فبُدِلت الضمّة بكسرة لسلامة الياء · وعلى البناء الثاني دِيمة فلا اعلال والاستغناء عن الإعلال خير من الاحتياج الى الإعلال لان عدم الإعلال أصل والإعلال فرع والأصل مقدَّم على الفرع فمذهب الجوهري اولى من مذهب الجمهور في دِيمةٍ عن دايم ·

ودائِم يقبل ان يصاغ له جمع على فُعُول كواقفٍ ووُقُوف وجالس وجلُوس وقاعد وقعُود · والجمع عن داوم دُوُوم وعن دايم دُيُوم وقد جاء الفيروز ابادي بدُيوم في مادة دَوَم وهذا لايصحُّ ولم يستدرك صاحب التاج عليه ذلك وديوم عن دايم هو البناء الصحيح فمذهب الجوهري لامذهب صاحب التاج على مقتضى القياس وتعرُّض صاحب التاج لتخطئة الجوهري عن قِصرِ نظر لاعن تحقيق · أمّا بِناء دِوَمٍ ودِيَم فصحيحان · والقياس يقبل دُوُوماً ولا يرفضها واذا كان تتابع واوَين يأتي بثقَل في اللفظ فوجه التخفيف قلب الواو الاولى همزة كادؤُر في أدْوُر وأثؤُب في أثْوُب جمع ثَوْب فيستلزم التخفيف ان يقال دُؤُوم ولم تورد المعاجم هذا الحرف ·

وصفوة القول ان ديمةً صيغةُ جمع وهي مستعملة في معنى الجمع ولم تنتقل عنه · ودُيوماً قسيم دِيمةٍ لافرع عنها وان القول بتفرعه عنها شذوذ في القياس لم يجد له صاحب معيار اللغة نظيراً يقيسه عليهِ · وانفراد حرْفٍ في بنائِهِ لايصحُّ · فدِيمةٌ هطلاء شاهد لمجيء فعلاء صفة للجمع الوارد على وزن فعلة او فِعلة وهذا ما أذهبُ اليهِ ·

الحجة السادسة

حَرْس بيضاء

قال زهير في قصيدتهِ « صَحا القلب عن سلمى وقد كاد لايسلو » ديوانه المطبوع في بيروت (سنة ١٨٨٦) ص ٤٣

هُمُ ضربوا عن فرجها بكتيبةٍ كبيضاء حَرْسٍ في طوائفها الرَّجْلُ

فحرسٌ جمع حارس ورَجل جمع راجل . على مثال صاحب وصَحْب وسافِر وسفْر ووافد ووَفْد وبيضاء حرْسٍ على مثال أخلاق ثياب وتُرَّهات بسابس وصافنات جياد والاصل ثياب اخلاق وبسابس تُرَّهات وجياد صافنات من باب تقديم الصفة على الموصوف وجعلها مضافاً والموصوف مضافاً اليها فالاصل حَرْس بيضاء فحرس صيغة الجمع جاء نعتُها بيضاء على صيغة فَعْلاء .

الحجة السابعة

السلائمة الحمرا

قال طَرَفة البكري : (ديوانه المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٦ ص ١٣) .

من الشرّ والتبريحِ ابناءُ معشرٍ كثيرو لا يُعطُون في حادثٍ نكرا

الى ان قال :

جمادٌ بها البسباس ترهص مُعْزَها بناتُ اللَّبونِ والسلائمةُ الْحمرا

والبسباس نوع من الشجر وترهص بنات اللبون معزها . اي تعصر بنات اللبون صلبها بشدةٍ . والسلائمة جمع سَلْمٍ كقساورة جمع قَسْور

وعدم ورود هذه الصيغة في المعاجم لاينفي ورودها ولا صحتها لان القياس يقبلها والفصيح (اي طرفة) اوردها والسلقم البعير الشديد . وفي السلاقمة الرفعُ عطفاً على بنات والخفض عطفاً على اللَّبُون والحَمْرا اصلها الحمراء فقصر طرفة الممدود — ولا يصح ان يقال ان طرفة اورد الحُمْر لانه بذلك يقع اقواء وطرفة خلا شعره من الاقواء — فحمراء نعت صيغة الجمع وردت على وزن فَعْلَاء .

الحجة الثامنة

سماحيق حمراء

قال طرفة أيضاً (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٨٦ ص ١٥) .

ويوم رأينا الغيمَ فيهِ كأَنهُ سماحيق تُرْبٍ وهي حمراءُ حَرْجَفُ

فسماحيق التُرْب هي الحمراء الحرجف وسماحيق جمع سِمحاق كسرابيل جمع سِرْبال اذن جاء في شعر طرفة حمراء خبراً لمبتدإ هو سماحيق صيغة الجمع التي لا وجه للشك في صحتها .

الحجة التاسعة

الهِجان الدهماء

قال الحطيئة « ديوانه المطبوع في مطبعة التقدم بمصر ووقف على طبعه الشيخ احمد امين الشنقيطي الشهير ص ١٨ » .

الواهب المئة الهِجا نَ معاً لها وَبَرٌ مُظاهِرْ
دهمـاء مدفأة الشتا ء كأنَّ بِرْكتها حظائِرْ
واذا الحزون وَطِئْنَها صلَّ الفراسن والكراكر

والهجان تطلق على الناقة الواحدة تقول ناقة هِجان وعلى الجمع تقول نياق هِجان . وهجان في هذا القول للجمع لا للمفرد . لانه يقول واذا الحزونَ وطئنها ولو كان مرادهُ المفرد لوجب عليه أن يقول واذا الحزون وطئتها ولذلك فسّر الشيخ احمد امين الشنقيطي شارح الديوان الهجان بالخِيار . ودهماء في هذا الكلام حال من الهجان فدهماء صيغة جمع وإلا وجب ان يقول دُهماً كما جاء في شعر الاعشى (خزانة الادب للبغدادي جزء ٢ ص ١٨٢)

الواهب المئة الهجان وعبدها عوذاً تزَجّي خلفَها اطفالها

وعوذاً جمع عائذة . وكما قال (الخزانة جزء ٢ : ص ١٨٢) .

الواهب المئة الهجان وعبدها قُطُناً تشبهها النخيل المكرعا

فالحال في هذين الشاهدين صيغة جمع لان صاحب الحال صيغة جمع وجاءت المعكاء في شعر اوس من حجر (الخزانة ٢ : ١٨٢) قال

الواهب المئة المعكاء يشفعها ، يوم النضار باخرى غير مجهودِ .

والمعكاء بالمد كالمعكى بالقصر يقال نياق معكاء وناقة معكاء ونياق معكى وناقة معكى قال الحطيئة (ديوانه ص ١١٢) .

والواهب الالف بعد الالف يتلفها والواهب المئة المعكى وِبراعيها

فاذا كانت المعكاء هنا صيغة جمع يثبت قولي ان حمراء جمع حمراء كاسيجي انظر « شاهد حمراء » وان كانت مفرداً ثبت قول ابي اسحاق الزجاج الإمام النحوي المشهور الوارد في ذيل الجزء الثاني من معجم

المصباح للعلامة الفيومي وهو أن الجمع لغير العاقل كالإبل والأرحل والبغال (الإبل اسم جمع فعده جمعاً لأنه تضمن رائحة الجمع) ينعت بالفرد المؤنث فيقال ابل عيساء وارحل سوداء وبغال حمراء . ومئة ليست جمعاً ولكنها تضمنت معنى الجمع فهي كالإبل والفيلق وأمثالها وثبت المُدَّعى أن الجمع تأتي صفته على وزن فَعْلاء

الحجة العاشرة

خطايا حمراء

جاء في سفر اشعياء النبي (في طبعة لندن سنة ١٨٥٨ مسيحية المترجمة بقلم فارس الشدياق صاحب الجاسوس على القاموس) فصل ١ :١٨

« إن تكن خطايا كم كالقرمز تبيضُّ كالثلج ، وإن تكن حمراء كالبقم تَصِرْ كالصوف وفي ترجمة المطبعة الأميركية البيروتية سنة ١٨٦٤ وقد وقف عليها الشيخان ناصيف اليازجي ويوسف الأسير

« إن كانت خطايا كم كالقرمز تبيضُّ كالثلج أو كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف » وفي ترجمة الخوزي يوسف داود السرياني المطبوعة في الموصل سنة ١٨٧٨

« إن كانت خطايا كم كالقرمز تبيضُّ كالثلج أو كانت حمراء كالدودي تصيرنَّ كالصوف » وفي النسخة اليسوعية المطبوعة في بيروت سنة ١٨٨٠ وقد وقف عليها الشيخ ابراهيم اليازجي

« ولو كانت خطايا كم كالقرمز تبيضُّ كالثلج . ولو كانت حمراء كصبغ الدود تصير كالصوف .. »

واتفاق كلّ أولئك الأعلام في اللغة على مجيء خبر الخطايا حمراء لا حمر، أدليل صحة هذا التعبير تبعاً لقول الزمخشري (فروق حقي ص١١٨)

إن قوماً تجمعوا وبنقضي تحدّثوا
لا أبالي بجمعهم كلُّ جمع مؤنثُ

ومن أنكر صحة الخطايا الحمراء يغمز ضمناً من علم أولئك الأعلام الأجلاء الذين أقرّوا صحة ذلك التعبير

الحجة الحادية عشرة

الثياب البيضاء

جاء في نسخة الإنجيل المطبوعة في لندن سنة ١٨٥٤ م نقلاً عن النسخة المطبوعة في روميه سنة ١٢٦٤ ما يأتي : « وصارت ثيابه بيضاء كالثلج » متى ١٧ : ٣

وفي النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٦١ وهي من ترجمة فارس الشدياق « وصارت ثيابه بيضاء كالنور » متى ١٧ : ٢ (وصارت ثيابه لماعة بيضاء جداً كالثلج) مرقس ٩:٢ . وفي النسخة المطبوعة في بيروت بمطبعة الأمير كين سنة ١٨٧١ « وصارت ثيابه بيضاء كالنور وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج »

وفي النسخة الموصلية المطبوعة سنة ١٨٧١ وهي للمطران اقليميس يوسف داوود (وكانت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج) مرقس ٩:٢ .

وفي نسخة المطبعة اليسوعية وقد وقف على تصحيحها الشيخ ابراهيم اليازجي « وصارت ثيابه بيضاء كالثلج . وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً »

وفي كتاب رحلة الفيلسوف الروماني للمطران جرمانوس معقد (طبع سنة ١٩٠١) «وصارت ثيابه تلمع بيضاء جدًا» ص ٣٧٤.

وفي الإنجيل المطبوع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٩ بمعرفة الآباء البولسيين في الفصل الذي يُتلى يوم عيد التجلي على مسامع الشعب «وصارت ثيابه بيضاء» وهو المقروء في كنائس الكاثوليك قاطبة

وفي ست نسخ مخطوطة في مكتبة دير سيدة البلمند في قضاء الكورة من لبنان «وصارت ثيابه بيضاء ..» وهذه النسخ أقدمها مخطوطة منذ ٦٠٠ سنة وأحدثها مخطوطة منذ ٢٠٠ سنة. وفي الإنجيل المطبوع مراراً في مطبعة الروم في أورشليم والمقروء في كنائس الأرثوذكس ذلك النص فالشعب المسيحي أرثوذكسياً وكاثوليكياً منذ مئات السنين يسمع ولا يزال يسمع ثيابه بيضاء وهذا التعبير صحيح يوافق ما جاء في شعر الشعراء الثقات كزهير وطرفة وسواهما فتخطئته بغير دليل دليل جهل لما جاء عن العرب الفصحاء او تطلُّب سمعة في اللغة وهذه السمعة ليست حسنة فهي عن ذهول عن أن الكلام يُحمَل على الصحة متى استقام له وجه ولا يُعَدّ خطأً إلاّ متى امتنع أن يكون له وجه صحة

الحجة الثانية عشرة

خضراء الدمن

جاء في الحديث الصحيح «إياكم وخضراء الدمن»

فخضراء أصلاً صفة وموصوفها محذوف لكثرة الإستعمال وهو

كما يفهمه كل ذي مسكة النبتة الخضراء مثل المُرْهف عَلماً للسيفِ والاصل السيف المُرهَفْ والعَسَّال علماً للرمح والأَصل الرمح العسَّال والادهم عَلَماً للقيد والأَصل القيد الأَدهم ·

والنبتة الخضراء لا تتجاوز الدمنة الواحدة فالدِمن تنشأ فيها أَنبتة متعددة (أَنبتة جمع نبات كأَطعمة جمع طعام) والنهي ليس مقصوراً على نبتة واحدة بل اتى على الأَنبتة المتعدِّدة اذن أصل الكلام اياكم وأنبتة الدمن الخضراء ثم اغنت القرينة عن ذكر الأَنبتة بنقل الخضراء من الوصفية إلى العلمية ولمَّا أَغنت الخضراء عن أنبتة أخذت موضعها لأنه لو قيل اياكم والدمن الخضراء لكان النهي عن الدمن وليس ذلك المقصود فقال وخضراء الدمن

فخضراء هنا في الأَصل نعت أخذ مكان النعوت والمنعوت صيغة جمع فجاء على وزن فَعلاء النعت لصيغة الجمع التي هي الأَنبتة أَو البقول أَو الأزهار أَو الغراس

الحجَّة الثالثة عشر

المنعوت : صيغة جمع تصحُّ ان تكون — نباتات · او أَنْبِتة — أو نبات ·
النعت : مُكلَّلة او مظللة حَمراء ·

جاء في ديوان امرىء القيس الكندي في النسخ الثلاث (المصرية طبع سنة ١٢٨٢ ص ١٣٨) والبيروتية (طبع سنة ١٨٨٦ ص ١٠٠) والبيروتية اليسوعية (طبع سنة ١٨٩٠) باسم ديوان شعراء النصرانية (ص ٢٢) قولهُ وفي الرواية اختلاف ·

تَبيتُ لَبُوني بالقُرَيَّةِ أُمَّناً وأَسرِحها غِبًّا باكناف حائِلِ

تلاعب اولادُ الوعول رِباعُها دُوَينَ السماءِ في رؤوسِ المَجادلِ
مُكلَّلة حمراءَ ذات أسرَّةٍ لها حُبُكٌ كأنها من وصائلِ

وجاءَت مُظلَّلة بدلاً من مكللة · وقد شرحت المصرية وهي لابي بكر عاصم ابن ايوب هذه الابيات شرحاً لم تثبته البيروتية اليسوعية فجاءَت بمفادٍ آخر · ولم يقنع رأيي باحدهما وهذا ماثبت عندي بعد إمعان الفكرة ·

اللَّبُون الناقة الغزيرة الدرّ وتُجمَع على لَبُون ومراد الشاعر الجمع لا المفرد ولذلك قال أُمَّناً — وأُمَّن جمع آمنة مثل عُوَّدٍ جمع عائدة وزُوَّر جمع زائرة وفُعَّل صيغة جمع لفاعلٍ وفاعلة كثيرة الورود والرِّباع بكسر الأوَّل جمع رَباع بفتح الاول ورَباعي بالنسبة والياء مخففة · وهو الجمل الذي سقطت رباعيته والناقة التي سقطت رباعيتها ورِباع جمع رَباع كجياد جمع جواد — وتلاعب اولاد الوعول رباعها ذهب شارحا المصرية والبيروتية الى ان تلاعب بالمعنى الحقيقي فرفع احدهما اولاد على الفاعلية ونصب رباعها على المعقولية · وخالفه الآخر فنصب اولاداً ورفع رِباعها — ولا ارى انهما اصابا — فتلاعب هنا بالمعنى المجازي اي ترعى وهي ذات نشاط وأَشَر · ورباعها عطف بيانٍ أَتى لتعيين حقيقة اولاد الوعول فالمراد باولاد الوعول الرِباع عينها لا اولاد الوعول حقيقة · والمفعول به مُكلَّلة او مُظَلِّلة ·

والمكلَّلة هنا صفة محذوف موصوفها وهو أنبتة او نباتات او نبائت وفي التعبير ايجاز والمساواة ان يقول أنبتة مكلَّلة او مُظلِّلة اوراقها حمراء

ساقها او سوقها فحذف المنعوت اكتفاء بدلالة النعت عليه وحذف اوراقها وسوقها لأن ما يأتي في صفتها يبين عنها مثل حذف المتنبي ريقه في قوله :

ومن يكُ ذا فم مرّ مريض يرى مُرًّا به الماء الزلالا

اي من يكن ذا فم مرّ ريقهُ — ومراد الشاعر بمكللة اوراقها ان الورق ارتفع على سوق الأنبتة مثل إكليل او مثل مظَلّة . وفي كلا الكلمتين دلالة على نموّ الورق فيكون اكثر تغذية واراد بحمراء ساقها اي انها رخصة ليّنة وهي صفة دالة على جودة النباتات وقال ذات امرّة اي ذات خطوط متعددة يريد انها متعددة الالوان اي حمراء وبيضاء وصفراء وزرقاء — واراد بحُبك جمع حبيك اندماجها بحيث يدخل البعض منها ضمن البعض الآخر كما هو مشاهد في الوصائل — والوصائل برود يمنيّة جميلة الالوان .

والشاهد قوله مكللة حمراء ولم يقل حُمرًا فحمراء نعت صيغة جمع تصح ان تكون نباتات كما تصح ان تكون أنبتة او نبائت .

الحجة الرابعة عشرة

كتيبةٌ شهباء . فارسيةٌ خضراء سمهريةٌ سمراء

مجيء التاء آخر الكلمة له معانٍ متعددة منها التأنيث كقائم وقائمة وزَوج وزوجة . ومنها الإفراد كشعير وشعيرة وشجر وشجرة والتصغير كشهد وشهدة وماء وماءة . ومنها الجمع مثل عسّال وعسّالة ورمّاح ورمّاحة وهندي وهندية ومقاتِل ومقاتِلة ومتطوّع ومتطوّعة

ومُسلِم ومُسلِمة ومُسوَّم ومُسوَّمة ومن ذلك كتيب وكتيبة فكتيبة جمع كتيب بمقتضى القياس وقد جاء السماع بها قال باعث ابن صريم (حماسة أبي تمّام)

وكتيبةٍ سُفْع الوجوهِ بواسلٍ كالأُسْدِ حينَ تَذبُّ عن أشبالِها
قد قدتُ أوَّل عنفوان رعيلها فلففتُها بكتيبة أمثالِها

فقد نعت كتيبة بسُفْع وبواسل وأمثال وكل هذه النعوت من الجموع · وجاءت فعلاء في صفة كتيبة قال حسان السيرة (لابن ابي اسحاق)

لما رأى بدراً تسيل تِلاعُهُ بكتيبة خضراءَ من بلخزرجِ

وكتيبة من أخوات رَعيَّة وقد جاء الكلام عنها في شرح الحجة الرابعة فلتُراجَع هناك · تقول: الحاكم من الأُمة كالراعي من الرعيَّة والرعية من الحاكم كالخراف من الراعي

والفارسيُّ مفردٌ تعينه القرينة فهو إمّا جندي وإما درعٌ ففي قول دُرَيد ابن الصمة في رثاء أخيه عبدالله

وقلتُ لهم ظنّوا بألفَي مُدَجَّج سَراتهمُ في الفارسيِّ المُسَرَّدِ

والمسرَّد المُثَقَّب دلَّت القرينة على أنه يريد الدرع لا الفارس · ففي قول الحارث بن حلِزَة اليشكري

ثمَّ حُجراً أعني ابن أمِّ قطام وله فارسية خضراء

يريد أحد أمرين الأوَّل وله جنود فارسية ، والثاني وله دروع فارسية ، وعلى كلا الأمرين ترد فارسية صيغة جمع بالتاء

والسَّمْهَرِيُّ الرمح المنسوب الى سَمْهَر كالرُّدَيْنِيِّ الرمح المنسوب

الى رُدَيْنَة · وسَمْهَرِيَّة ورُدَيْنِيَّة وعَسَّالة ومركوزة كلها صِيَغ جموع ودلالتها واحدة من حيث العَدَد · فجاء في شعر المتنبي قولُهُ :

فتى كلَّ يوم تحتوي نفس ماله رِماحُ المعالي لا الرُّدينيَّةُ السُّمْرُ

وقولُهُ :

وأردية خُضرٌ ومُلكٌ مطاعةٌ ومركوزة سُمْرٌ ومقربَةٌ جُردُ

وقوله :

معطي الكواعبِ والجرد السلاهبِ والـ بيض القواضب والعسَّالة الذُّبُلِ

وقولُهُ :

وبساتينك الجيادُ وما تحـ ملُ من سَمْهَرِيَّةٍ سمراء

فالردينية والمركوزة والعسَّالة نُعِتَت بصيغة هي صيغة فُعُل من الجموع لِأفعل وفعلاء وسمهريه نُعِتَت بفعلاء فما الفرق بين رُدَينية سُمْر وسمهريَّة سَمراء ليقال ان سمراء صيغة افرادٍ لا صيغة جمع ومن يا ترى عاب على المتنبي قوله سمهرية سمراء لكي يُمنَع قوله · ولا يُعتَرَض بان المتنبي ليس بحجة فان أعلاماً في اللغة شرحوا ديوانه فعابوا ما يُعاب وقَبِلوا ما يُقبَل «قال الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه القياس» ولابن السيد البَطَلْيوسي وجهة اخرى في صحة الاحتجاج بشعر ابي الطيب المتنبي هي ان البيت الذي سكت عنه علماء اللغة الذين تناولوا شعرهُ ولم ينكروه عليه يصلح للاستشهاد بهِ من كلام العرب (ص ٣٧) ·

الحجة الخامسة عشرة

فَيْلَقٌ شهباءُ

اسم الجمع سبق الجلاءُ عنه أنه بناءٌ لم يأتِ على ابنية الجموع الصَّرْفة ولا يُفرَد بالتاء ولا بياء النسبة ومنه إبل وفَيْلق ومَعْشَر ونَعَم فهو في لفظه مُفرَد وفي معناهُ جمع فجاء في صفة فيلق لَجِبٍ على إفراد اللفظ وشهباء على جمعيَّة المعنى قال العبَّاس ابن مرداس السلمي ·

حتى صبحنا أهلَ مكَّةَ فَيْلَقاً شهباءَ يقدمها الهُمامُ الأَشوسُ

فالبناء المتضمن معنى الجمع ينعت بصفة من بناء فَعْلاء ·

الحُجَّة السادسة عشرة

الثلوج السوداء

جاء في شعر المتنبي :

لَبَسَ الثلوجُ بِها عليَّ مسالكي فكأنَّها ببياضِها سوداءُ

والضمير في كأنها راجع الى الثلوج او المسالك وسوداءُ صفة لموصوف محذوف تدلُّ عليه القرينة فهو · ثلوج او مسالك او كوائن فكأنه يقول فكأنَّ الثلوجَ ثلوجٌ سوداءُ او كوائِن سوداءُ او كأنَّ المسالكَ مسالك سوداءُ او كوائن سوداءُ فسوداء صفة لصيغة جمع وهذا ما أذهب اليه ·

الحُجَّة السابعة عشرة

فَعْلاءُ صيغة جمع

أمَّا بناءُ فَعْلاء على أنَّهُ صيغة جمع فوارد كثيراً · ففي ترجمة

الاحنف التميمي المشهور بالحلم[١] ان زياد ابن ابيه قال لهُ: هذه الحَمراء قد كثرت بين أظهُر المسلمين و كثر عددهم (كذا) وخفت عدوتهم (كذا) والمسلمون في ثغرهم وقد خلفوهم في نسائهم وحربهم · فاعاد الى حمراء ضمير جمع المذكر العاقل فماذا يقال في حرف حمراء أمفرد هو اذن لايعود اليه ضمير جمع المذكَّر العاقل أاسم جنس كشعير وتميم فكيف يصحُّ ذلك ولا يقال حمراءة ولا حمرائي كما يقال شعيرة وتميمي · أاسم جمع هو كنَعَم وفَيلَق وانت تقول «أكلَّ عام نَعَمٌ تحوونهُ» ، «وفيلق لجَب» ولا يقال حَمراء مرتحِل — اذن هو صيغة جمع ولا يَخرُج إلاَّ صيغة جمع ·

واذا قِيل اذا كان بناء حمراء صيغة جمع فما مفردُهُ · قلتُ مفردُهُ أحمر او حمراء فقد جاء عن سيبويه انه قال[٢] الشَّجْراء واحد وجمع وكذلك القصْباء والطَّرْفاء وذكر هذا القول التاج وقال «وفي حديث ابن الأكوَع حتى كُنتُ في الشَّجْراء المتكاثفة قال ابن الاثير هو الشجرة اسم مفرد يراد بهِ الجمع وقيل هو جمع · والأول أوجَه» ولكنهُ لم يعلِّل الوجاهة التي يزعمها وتوجيه قول على قول يحتاج الى دليل يؤيدُهُ · وفي القاموس «الثمراء جمع الثمرة» فقفاه التاج وقال «مثل الشجراء جمع الشجرة» قال ابو ذُؤَيب الهذلي في صفة نحل :

---

(١) تجدها مستوفاة في الجزء السابع من ابن عساكر المطبوع بدمشق والشاهد مأخوذ عن ص ١٥ منه ·   (٢) مادة شجر في محيط المحيط ·

تظلُّ على الشمراء منها جوارس مراضيعُ صُهْبُ الريش زُغْبٌ رِقابُها

فاذا كانت شجراء عندهُ ليست جمعاً كما ادلى بذلك في مادة شجر فعلامَ جزمَ بانها جمع في مادة ثمر . وكيف يصحُّ له بعد ان يجزم ان ينقض ما جزم بصحتِهِ غيرُ مُستَنِدٍ الى دليل ومن له قولان متعارضان ولا يقيم دليلاً على صحة احدهما فليس بمحقِّق .

ومن طائفة فَعْلاء صيغة جمع البَرْشاء والغَوْغاء والغَثْراء والدَّهْماء وفي التاج «والبَرْشاء الناس قال ابن السِكّيت ما ادري ايُّ البرشاء هو أي أيُّ الناس هو . او البَرْشاء جماعتهم ومنه قولهم دَخَلْنا في البَرْشاء اي في جماعة الناس قاله الجوهري» اه اقول ان قوله «ما ادري ايُّ البرشاء هو» تخريجهُ الأفضل اي انسان هو فبرشاء هنا للمفرد «ودخلتُ في البرشاء» اي الناس فبرشاء هنا للجمع . فما جاء بهِ دليل على قبول فَعْلاء للمفرد والجمع .

ومجيءُ الجمع والمفرد على وزن واحد وارد في ابنية العربية وقد اقرَّته كتب التصريف واللغة ومن ذلك :

١ = فُعُل على فُعُل مثل فُلُك وفُلُك[1] .

٢ = فُعْل على فُعْل مثل فُلْك وفُلْك .

---

(١) جاء في شعر أُمَيَّة ابن ابي الصلت (ديوانهُ طبع بيروت ص ٢٠) .

ألاَ بكيت على الكرا م بني الكِرام أُولي المَادِحْ

كبُكا الحَمامِ على فروع الأيك في الغُصُن الصوادِحْ

وتصح هنا غُصْن وغُصُن فهذا شاهد مجيء غصن جمعاً . واما غصن بناء مفرد فكثير .

٣ = فِعال على فِعال مثل دِلاص ودِلاص .

٤ = فعال على فُعال . جاء في القاموس الفُرارُ ولد النعجة والماعزة والبقرة ج فُرار كغراب أيضاً . وأيد صاحب التاج هذا الحكم وقال : فُرار يكون للجماعة والواحد . قال ابو عُبيدة لم يأتِ على فُعال شيء من الجمع إلاّ احرف[1] هذا احدها .

٥ = فعيل على فعيل مثل كثير وكثير .

٦ = فاعل على فاعل وقد جاءت الشواهد في الحُجّة الثانية من هذهِ المقالة .

فمجيُ سمراء جمعاً لسمراء لهُ نظائر في أبنية العربية وجاء في ألسنة الفصحاء .

الحجة الثامنة عشرة

تُرْبَةٌ سَوْدَاءُ بَيضاءُ حَمْرَاءُ

روى الإمام السيوطي في الجامع الصغير هذا الحديث (٢١٥٥) « ان آدَمَ خُلِقَ من ثلاثِ تُرباتٍ سوداءَ وبيضاءَ وحمراءَ » وتُربات جمع تُربة فما هذا الحرف أجمع هو أو مفرد

---

(١) كذا في التاج والأَولى ان يقال الا أحرُفاً بإعمال إلاّ . وابو عُبيدة هو معمر ابن المثنى اللغوي البصريُّ مولى بني تيم قريش رهط أبي بكر الصديق اخذ عن يونس وابي عمرو (ابن العلاء) وهو اول من صنّف غريب الحديث اخذ عنه ابو عبيد وابو حاتم والمازني والاثرم .. وكان اعلم من الاصمعي وابي زيد بالانساب والايام ولد سنة ١١٢ ومات سنة ٢١٠ وقيل ٢١١ . (عن كتاب بغية الوعاة للسيوطي) .

فني التاج ما يأتي : التُّرْب والتُّراب والتُّرْبة بالضمّ في الثلاثة والتَّرْباء كصحراء والتُّرَباء كنفساء والتَّيْرَب كصيقل والتَّيْراب بزيادة الالف وتقدّم الراء على الياء فيقال تَرْياب والتَّوْرَب كجوهر والتَّوْراب بزيادة الالف . والتَّرِيب كعَثير وقول شيخنا كَرْيَم في غير محلّه او هو لغة فيه . وقيل بكسر الياء وفتحها وتَرِيب كأمير الاخير عن كراع م (اي معروف) وكُلُّها مستعمل في كلام العَرَب . . .
وحكى المطرّز عن الفرّاء قال : التُراب جنس لا يُثنّى ولا يُجمع ويُنسَب اليه تُرابي . وقال اللحياني في نوادره ج تُراب أترِبة وتِرْبان بالكسر . وحكى الضمّ فيه أيضاً ولم يسمع لسائرها (أي اللغات المذكورة) بجمع . ونقل بعض الائمة عن أبي علي الفارسي ان التُّراب جمع تُرْب . قال شيخنا وفيه نَظَر . وعن الليث . التُّرْب والتُّراب واحد إلا أنهم اذا أنّثوا قالوا التُّرْبَة يقال ارض طيّبة التُّرْبة . فاذا عنيت طاقة واحدة من التراب قلت ترابة . والتَّرْباء نفس التُّراب » اه

وفي معيار اللغة : « التُّراب م (معروف) والتُّرْب كقُفْل والتُّرْبَة كغُرْفة والتَّرْباء كصحراء والتُّرَباء كصُرَر بالممدودة (أي كنفساء) والتَّيْرَب كضيغم والتَّيْراب كبيطار . والتَّوْرَب كجوهر والتَّوْراب بالف بعد الراء والتَّرِيب كأمير والتَّرْيَب كحذْيَم مثله ج أترِبة كغُبار وأغبِرة وتِرْبان كغُلام وغِلمان .

ومن هذين النصّين يثبت ما يأتي :

أوّلاً – الاختلاف في أصالة البناء في هذه الحروف فالتاج ذهب

الى أصالة التُّرْب فقدَّمه وأما معيار اللغة فقدَّم الترب لاصالتِهِ ولم يقِمْ أحدهما دليلاً صريحاً على صحة مذهبه ولكن التقديم دليل معنويّ .

ثانياً — روى التاج في التُّراب مذهبين الأوَّل انه جنس لا يُثنى ولا يُجمع ولم يؤيِّد ذلك بدليل وكُلُّ قولٍ منازَع في صحتِهِ لا يستغني عن دليل يؤيِّده . والثاني انه يُجمع وكلُّ ما يجمع يثنَّى وهذا هو المذهب الصحيح وقد جاء لتأييد هذا الرأي بصيغتي جمعٍ هما أترِبة وتِرْبان وقال بمجيء تُرْبان ولم ينظر وكان عليه أن يقول وتُراب على أترِبة وتِرْبان كغُراب على أغرِبة وغِرْبان .

ثالثاً — انفرد التاج بقولِهِ ان أبا عليٍّ الفارسي زعم انَّ تُراباً جمع تُرْب وردَّ هذا القول بغير دليل . وفي قبول قولٍ دون دليل ورده دون دليل نظَر . وهنا مجال البحث .

أمَّا قبول القول فلا وَجه لهُ الا إذا قيل انَّ تُرْباً يجمع على تِراب بكسر الأول مثل قُفْل وقِفال وقُطْب وقِطاب وعُشّ وعِشاش وخُفّ وخِفاف . وان تُراباً جاءت لغةً في تِراب من باب حمل النقيض على نقيضه فقد جاءت الكسرة عِوَضاً عن الضمَّة في خِيول اي لغة في خُيول ج خيل وبِيوت في بُيوت ج بيْت وجِثِيّ في جُثِيّ ج جاثٍ وقِسِيّ في قُسِيّ قلباً عن قُووس ج قوس . ولا يصحُّ هذا إلاَّ بعد المجيء بتِراب لأن الدخيل تابع والأصيل متبوع والاصيل اولى من الدخيل بالذكر (١)

(١) جاء في كتاب الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد للصحاح «للشيخ ابي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز» المطبوع سنة ١٢٨١ ص ٩٦ «لا ثبوت للفرع إلاَّ بعد ثبوت الاصل» .

فاذا صحّ تِراب فان إهمالَهُ مأخذ كبير وأمّا رَدُّهُ فلأن فُعالاً يُجمع عِلى فُعْل وليس فعْل يجُمَع على فُعال · ودليل ذلك ان ذُباباً (م) يجمع على ذُبٍّ ففي التاج · «الذُّباب ج أَذِبَّة وذِبّان وقد حكى سيبويه مع ذلك ذُبًّا» · وفي معيار اللغة «الذُّباب (م) ج في الكثرة ذِبّان كغُلام وغِلمان وذُبٌّ كوُدٍّ على غير قياس · وفي القلّة أَذِبَّة والأَصل أَذْبِبة كغُبار وأَغبِرة» اه اقول في قوله على غير قياس سهو والصواب على مثال غُراب وغُرْب · فكان على صاحب التاج شرح هذا ليزيل الغموض فان كان معجمه لايتسع لهذا البحث فاي موءلف يتّسع له · وان كان صاحب التاج لايصل علمه الى جلاء هذا الغموض فكيف يصل اليه مَن منتهى علمهِ ان ينقل عن التاج بالحرف الواحد كما هو شأن مَن زعموا انهم انشأوا معاجم ·

رابعاً — جاء في التاج عن الليث ان التُرْبَ والتُّراب واحد إلاّ انهم اذا أَنَّثوا قالوا التُرْبة ومضمون ذلك ان التربة بتاء التأنيث عن تُرْب وليس ذلك في الصحيح لأَن جموع تُراب غير مستوفاة في التاج ولا في المعيار فان تُراباً يُجمَع علِي تِربان وتُرْبان مثل شُجاع بمعنى الافعى في جمعه على شِجعان وشُجعان وقد ذكر التاج تُرْبان بغير تنظير فلم يكن في قوله مقنع وتُرْبَة من تُراب مثل شُجْعة من شُجاع وفي المعاجم انها واحد وهذا لايصحّ فشَجْعة جمع شجاع اذن تُرْبة صيغة جمع مستقلّة عن تُرْب لا متفرعة عن تُرْب ولتراب اربع صِيغ جمع هي أَتْرِبة وتُرْبة وتِربان وتُرْبان ·

خامساً — متى جاءت لغات في معنى واحد فان احداها أَصيل وما سواها دخيل فتلك اللغات الواردة في تراب لواحدةٍ منها الأَصالة. ومن المقرَّر ان الأَصالة للبناء الخالي من حروف الزيادة وحروف الزيادة مجموعة في سألتمونيها . والتيراب والتوْرَب والتَّرياب والتوراب والتَرْباء والتُّرْباء والتَّيرب والتِرْيَب فيها حروف زيادة فلا تَصِحُّ إحداها اصيلاً ويبقى لنا في سبيل الأصالة ترْب وتُرْبَة وتُراب وترِيب وقد اثبت الدليل ان تُرباً عن تُراب كغُرْب عن غُراب فما ذهب اليه القاموس ووافقه عليه التاج مردود بالدليل . وما ذهب اليه معيار اللغة عن أَصالة تُراب يستلزم ان يكون ترابٌ البِناء الذي هو اكثر احاطة من سواهُ بتلك الحروف . وغاية ما جاء في تُراب انه قيل اربعة جموع . ولكن ترِيباً اكثر منه تَصَرُّفاً واليك الدليل :

اولاً — ترِيب يُجمَع على تُرْب وتُرُب مثل قليب وقُلْب وقُلُب وتُرُب لم توردها المعاجم ولكنَّ فيها ان كُلَّ فُعْلٍ يأتي فيهِ فُعُل ففي المفرد ظُفْر وظُفُر ونُصْف ونُصُف وفي الجمع حُمْر وحُمُر في جمع حِمار وقد اهمل القاموس حُمُراً فاستدرك هذه الصيغة التاج وشِيب (اصلها شُيْب) وشُيُب لأَشيب وجُهْل وجُهُل لجاهل فترُب واردة في تُرْب وان لم توردها المعاجم .

ثانياً — تريب يُجمَع على تُرْبة وتِرْبة كرفيق على رُفقة ورِفقة والمعاجم تذكر تُرْبةً وتدع تِربة ولكن الوارد في كلام الناس التِربة بالكسر والقياس يقبل ذلك وما في كلام الناس لاريب في

صحتهِ اذا وافق القياس لانه منقول عن آبائهم من العهود القديمة .

ثالثاً — تريب يُجمَع على أَتْرِبة مثل كَثيب وأكْثِبة وقَليب وأقلبة ورَكيّ وأركية .

رابعاً — تريب يجمع على تُرْبان مثل كَثيب وكُثْبان وقَضيب وقُضْبان .

خامساً — تريب يُجمَع على تِرْبان مثل قَطيع وقِطعان وفصيل وفِصْلان .

سادساً — تَريب يُجمَع على تُرَباء مثل حَكيم وحُكَماء وفَهِيم وفُهَماء فترُباء في الأصل صيغة جمع لتَرِيب ثم نُقِلت في الاستعمال للمفرد لان كل قبضة من التَرِيب فيها عدد عديد من ذِرات التُراب فترُباء في نقلها الى المفرد كسنايا في نقلها الى المفرد فان سنِياً يجمع على سنايا والاصل سنايي مثل ضمير وضمائر وتطرفت الياء فقلبت ألفاً وأبدلت الكسرة قبلها بفتحة لسلامة الألف وكما قيل سنايا واريد المفرد قيل تُرَباء وأُريد المفرد وشيخون جمع شيخ ويُطلَق على الشيخ الهِمّ فالجمع نُقِل الى المُفْرَد .

ويعارض هذا ان فُعلاء من جموع العاقل خاصة والتريب ليس بعاقل . قلتُ والجمع بالواو والنون للعاقل خاصة وقد جاء مئون في مئة وعِزون في عزة وحشون في حش . وذلك ان مايتصل بالعاقل ولا ينفك عنه يجمع جمع العاقل بالواو والنون والتريب المادة التي منها جسد الانسان واليها منتهاه وهو يسير فوقها حياً ويستقر في جوفها

جثة فلا ينفكُّ عنها منذ ولودهِ الى ان تستولي عليه حين همودهِ فلا عجب إذا اعطيت جمعًا على مثال ما هو للعاقل خاصة (١) .

سابعًا – التَرِيب كأَديم وثمير وجمع أَدِيم أَدَم وجمع ثمير ثَمَر

---

(١) مالهُ مزيد ملابسة للإنسان في حياتهِ ومعايشه احوالهِ يجمع جمع العاقل وأمهات الكَلِم في هذا الباب ثلاثُ عالَم وأَرض وسَنَة .

فالعالَم هو الاسم الشامل للخَلْق المحيط بالانسان والانسان صنف منه . والارض الاسم الشامل للاماكن التي يعيش الانسان عليها ومن محصولاتها . والسَنَة الاسم الشامل للزمان الذي يعيش الانسان فيه . وبالسَنَة تُقدر حياته ومواسمها واوقات مستغلأتهِ ومُعاملاتهِ . وفي السنة معنى تكرار العقد لانها عبارة عن اثني عشر شهراً . فكانت ملابسة مسميات هذه الكَلِم الثلاث ملابسة الصِفات ومن ثم جُمِعت بالواو والنون كما تُجمَع صفاتهُ الخاصة فقيل عالَمون وأَرَضون وسِنون . وسائر كَلِم الباب متفرعة منها لانها اسماء جماعات وأمكنة وازمنة ونحو ذلك فجُمعت هذا الجمع بعلة الفرعيَّة والملابسة وهي تؤول من حيث البنية الى ثلاث طوائف :

الاولى مالم يحذف منه شيء وهي عِلِّيون وأرضُون . وحَرُّونوأَحَرُّون وحشُّون .

الثانية ماحُذِفت فاؤه وعوض عنها تاء تأنيث في آخره وهي رِقة ورِقون ولِدة ولِدُون . وحِشة وحِشُون . الثالثة ما حُذِفت لامهُ وهي لُغة ولُغُون . وثُبة وثُبون وقُلة وقُلون . وكُرَة وكُرُون . وحُمَة وحُمون . وظُبَة وظُبُون . وبُرة وبُرون . ومِئة ومِئُون . وفِئَة وفِئُون . ورِئَة ورِئُون . وعِزَة وعِزُون . وإِرة وإِرون . وعِضَة وعِضُون .

فاذ نجد ملابسات الانسان تأخذ صيغة جمع العاقل فلا عجب اذا كان التريب وهو المادة التي منها أُخذت بنية الانسان وإليها انتهاؤها يُعطى صيغة جمع العاقل فجاءت صيغة تُرباء في تَرِيب كحُكَماء في حكيم والله اعلم .

وجمع شجير شَجَر فجمع ترِيب ترَب وجمع ثَمَر ثمْراء فجمع ترَب ترْباء فهذه الصيغة جمع لتريب وقد جاءت في المعاجم بدون صلة كأنها من الوضع المُرْتجَل . وحيث امكن الرجوع الى الاشتقاق لايصح القول بالارتجال .

وهنا مجال للاعتراض فان صيغة ترَب لم ترد في معجم فمن اين جِيءَ بها . والجواب ان المعاجم قد تدع صيغة الجمع وتورد صيغة جمع الجمع فيقع الشذوذ ولذلك كثر الخلاف في جمع أمر على اوامر وعقد صاحب التاج له فصلاً مسهباً لانه رآه شاذاً عن صنوانه فلم يجيء على قوله فواعل في جمع فَعْل . واما القياس فإنَّ امراً كَحرْفٍ ووَجْهٍ فالجمع على أفعل وفُعول اي على آمُر وأحرُف وأَوْجُه وأُمور وحروف ووجوه ويُجمع آمُر على أآمِر مثل أضلُع وأضالِع فقلِبت الهمزة واواً لِثقَلِ اجتماعِ الهمزتين فصارت أوامِر . وآمُر اما انها معدومة في الاستعمال واما ان المعاجم أغفلتها ولكنها في القياس حلَقَة لاغنى عنها لربط اوامر بأمْر وهكذا ترَب حلقة لِرَبط ترْباء بتريب . فتريب اكثر من تراب دوراناً على الصيغ الواردة من ترب فهو الأصل . أمّا بقية اللغات فلاشك في انها دخيلة .

والخلاصة ان ترْبة صيغة جمع إمّا عن تريب وهذا الاصحّ والاقربُ الى القياس . او عن ترابٍ . وقد وُصِفت بسوداء وحمراء وبيضاء فهذه الصفات من صِيغ الجمع وهذا وجه الاستشهاد .

الحُجَّة التاسعة عشرة

عَرَب عاربة . وعَرَبٌ عَرْباء اي صُرحاء خُلصان او خُلَّص

هذا نصٌّ وارد في كُتُب اللغة اي المعاجم . فماذا يكون عَرَبٌ أإسم جنسٍ هو او جمع .

جاء الجوهري برأيهِ في عَرَب فقال : « النسبة الى أَعْراب أعرابي لأنه لا واحد له . وليس الأَعراب جمعًا لِعرَب كما كان الأَنباط جمعًا لِنَبَط . وانما العرَب اسم جنس » .

وفي القاموس : « العُرْب بالضمّ وبالتحريك خلاف العجم موأنث وهم سُكَّان الامصار او عام . والأَعراب منهم سُكَّان البادية لا واحد له ويُجمَع اعاريب » .

وفي التاج : « العُرْب بالضم كقُفْل وبالتحريك كَجَبَل جيلٌ من الناس معروف خلاف العجم وهما واحد مثل العُجْم والعَجَم موأنث وتصغيرهُ بغير هاء نادر وهم سُكَّان الأَمصار او عام كما في التهذيب والأَعراب منهم أي بالفتح هم سُكَّان البادية خاصة والنسبة اليهِ أعرابي لأنه لا واحد لَهُ كما في الصحاحِ وهو نصُّ كلامِ سيبويه والأعرابيُّ البَدْوِيُّ وهُمُ الأَعراب ويُجمَع على اعاريب . وقيل ليس الأَعراب جمعًا لعَرَب كما كان الأَنباطُ جمعًا لنبط وانما العَرَب اسم جنس . والعَرَبُ العاربة هم الخُلَّص منهم تقول عَرَب عاربة وعَرْباء وعَرِبة كفَرِحة . اي صُرَحاء ج صريح وهو الخالص » اه

فرأيُ الصحاح ومن أَخذهُ ان الأَعراب اسم جنس لانهُ

يقال أعرابي · وعَرَب اسم جنس لانه يقال عربي كما يقال للواحد من تميم واسد وتغلب تميميٌّ واسديٌّ وتغلبيٌّ · اقول انه جعل عَرَباً من طائفة مستقلةً عن طائفة نَبَط · والتفرقة بين مِثلَين لاتكون بغير فارق فأين الفارق بين نَبَط وعَرَب فانه يقال نَبطيٌّ للواحد من النَبَط · كما يقال عربيٌّ للواحد من العرب · ومن باب نبطي حبشيٌّ وحَبَش وأحباش وحُبْشان وحُبُش وحُبْش مثل عربي وعَرَب وأعْراب وعُربان وعُرُب وعُرْب ·

واما ان أحباشاً وأعجاماً وأنباطاً صِيَغ جموع وليس الأعْراب صيغة جمع لعَرَب بل اسم جنس أُطلق على المتبدّين من العُرُب وقد اعتدَّ الجوهري بهذا الفارق فعدَّ العَرَب اسم جنس والأعراب اسم جنس آخر فان لنا ان نقول في رده ان هذا من باب الاستعمال لا من باب الوضع · والاستعمالُ شيءٌ والوضع شيء آخر · والبحث في اللغة يجب ان يكون بداءة بدءٍ عن الوضع · ثم يقفوه البحث عن الاستعمال · فالوضع جاء بحسب الفطرة اي بحكم القياس اللغوي العام في المواد من حيث اشتقاق مزيداتها عن اصولها وتفرُّع جموعها عن مفرداتها والاستعمال طارئ من حيث اختيار حَرْف لمبنى خاصّ فهو دخيل لا أصيل · فقد تكون صفة عامّة في الموصوفات ثم تنتقل بالاصطلاح الى الاختصاص بموصوف واحد فتصير من باب العلمية بعد ما كانت من الصفات من ذلك كل تَمر يُدعى قطيفاً وجمع قطيف قِطاف مثل طويل وطوال وجمع قطاف قطائِف مثل شِمال وشمائِل فقطائف جمع جمع مثل صحيح وصِحاح وصحائح وقد يقال قطيف ج قطائف مثل ضمير وضمائر · فكل تمر يُجتنى يُدعى قطيفاً جوزاً كان او تيناً او عِنباً او زيتوناً · وجاء الاستعمال عند بعضهم بتخصيص قطائف بنوع من التمْر قال القاموس في الجلاء عنه انه تَمْرٌ صُهْب متضمِرة فصار بالاصطلاح علَماً لهُ · فاذا قلتُ لابن البصرة اشتري قطائف انصرفت الدلالة الى تلك التمْر · من الاصطلاح المألوف لا من الوضع اللغوي · ولكن السوريّ او اللبناني تنصرف عنده دلالة القطائف الى نوع من الحلاوات يُسوّى من الدقيق المُرقّ بالماء شُبّه بخمل القطائف التي تُفْرش · وشاهدٌ ثان

هو إطلاق المعاجم المنجور على المحالة (اي الدولاب والبكرة العظيمة) وهو عند النجارين اسم شامل لما يدخل بناء البيت من الاغلاق وغيرها . وشاهد ثالث النجم قال اهل اللغة اسم النجم يجمع الكواكب كلها قال ابن سيده وقد خصّ الثريا فصار علماً وهو من باب الصعق وكذلك قال سيبويه في ترجمة هذا الباب . فالنجم بداءة لم يكن علماً للثريا ولا اسم جنس للكوكب بدليل مجيء نجم لنوع من النبات خلاف الشجر وهو ما نجم على غير ساقٍ . فالنجم في اللغة له معنى هو الاصيل في بناء نَجَم وفي اصطلاح علماء الفلك له معنى خاص . وفي اصطلاح علماء النبات له معنى خاص آخر . فما اورده الجوهري في عرَب وأعراب انما هو من الاصطلاح الذي عمّ استعمالُهُ لا من متابعة القياس في اشتقاق الفرع عن اصلِهِ بحسب الوضع اللغوي الأوّل .

والعرَب صيغة جمع لا اسم جنس قول والدي (ظاهر خير الله) رحمه الله اورده في اللُّمع النواجم في اللغة والمعاجم وهي النبذة اللغوية التي صدَّر الاستاذ البحاثة المرحوم جرجس همّام معجمه (مُعْجَم الطالب) بها واستدلّ والدي على صحة مذهبِهِ بما يأتي :

اولاً — لايقال عرَبٌ على الواحد ولا على الاثنين وانما يقال على الثلاثة فما فوق تقول : هذا الرجل من العرب . وهما من العرَب . وهؤلاء عرَب . وذلك من خصائص الجمع واسم الجمع . ولكنّ اسم الجمع لايكون له مفرد من لفظه يُجمع عليه جمعاً قياسيًّا والعرَب له من لفظهِ مفرد يُجمَع عليه جمعاً قياسيًّا فهو جمع .

ثانياً — وجوب كون الضمير الراجع اليه ضمير الجمع او ضمير الجماعة نحو العرَب يقولون والعرب تقول . وما هو اسم جنس يعود اليه ضمير المفرد المذكر وضمير المؤنث للمفرد والجمع . لذلك تكون صيغة عرب ليست اسم جنس كما ذهب الى ذلك الصحاح .

ثالثاً — اتفاق النحويين واللغويين على انه مؤنث وليس فيه علامة تأنيث ولا هو مما يُطلَق على مفرَد مؤنث وهذه خاصة جمع التكسير كالرجال قامت وقعدت .

رابعاً — تصغيرهُ على عُرَيب بدون تاء والمفرد المؤنث المعنوي اذا صغّر لحقته التاء كشمس وشُميسة وأرض وأُرَيضة . وجمع التكسير الذي لا تاء فيه اذا صغِّر لا تلحقهُ التاء كأُصيحاب . ولما خفيت حقيقته وحسبوه مفرداً مؤنثاً قالوا ان تصغيرَهُ بدون تاء شذوذ . والذي يثبت ان الشذوذ جاء عن نقلهم هذا البناء من طائفتهِ الى طائفة ليست منه ولا هو منها .

وازيد على ذلك ان عَرَباً لعارب مثل خَدَم لخادم ولعريب مثل نُطَى لنَطِيّ وأُدَم لأديم . وعُرُباً وعُرْباً لعارب كجُهُل وجُهْل لجاهل [1] ولعريب كقُلُب وقُلْب لقليب . وعُرباناً لعارب كحُوران لحائر ولعريب كفُصلان لفصيل وعِرباناً لعارب كحِيطانٍ لحائط ولعَريب كفِصلانٍ لفصيل . وأعراباً لعارب كأشهادٍ لشاهِد . ولعريب كأشراف لشريف . وعَرْباء لعرَب عن عارب او عريب كشَجْراء لشَجَر . واعاريب لأعْراب عن عارب او عريب كأقاويل لأقوال وأثامير لأثمار . وعَريباً لعارب كقطين لقاطن فقد روى صاحب سرّ انحلال الأمة العربية قول شاعر قديم :

هذا صُهيب أمّ كلَّ مهاجرٍ — وعلا جميعَ قبائل الأنصارِ
لم يرضَ منهم واحداً لصلاتنا — وهم الهداةُ وقادة الأخيار
هذا ولو كان المترّم سالماً — حيا لنال خلافة الأمصارِ
مازال هذي العُجْم تحيي دوننا — ان العريب لفي عمًى وخسارِ

فإن عريباً أزاء عُجْم اي صيغة جمع أزاء صيغة جمع . وصيغة عريب تأتي للمفرد والجمع كما مرّ في قول السموأل « ان الكرام قليلُ » وتأتي عاربة جمعاً لعارب كمارّة لمارّ وسابلة لسابل وطائفة لطائف وقاطنة لقاطن ولا تأتي فاعلة جمعاً لفَعيل فمن هذهِ الصيغة يظهر عاربٌ احقّ من عريب بأنه مفرد عرَب .

فإذ يقال عرَبٌ عَرْباء بمعنى صُرَحاء وخُلَّص وخُلْصان وقد ثبت ان عرَباً صيغة جمع ثبت ان الجمع يأتي وصفهُ على صيغة فَعْلاء ومن ردّ على ذلك فعليهِ أن يُوضح مابين عرب عَرْباء وعرب صُرَحاء من الاختلاف وان يُقيم البيّنة على أن المعاجم التي قالت « عرب عرباء أي صُرَحاء خُلَّص » جاءت بقول غير محرَّر .

---

(١) وتُجُر وتُجْر لتاجر عند بعضهم .

الحجة العشرون

حمل النقيض على النقيض

جاء في الفصيح ثوب أخلاق (جمع خَلَق) وأسمال (جمع سَمَل) ورُمْح أقصاد (جمع قصد) وناقة أسماط جمع سُمُط وغُلام رُوقة (جمع رائق) وسوقة (جمع سوبق) ورجل سنايا (جمع سني) وزيدٌ غُرُب (جمع غريب) وهذا باب فسيح يكفي ما أوردته لاثبات وروده ٠

فكل تلك الموصوفات مفردة وكل تلك الصفات جموع فجاءت صفة المفرد جمعاً فاما ان كل جزء من الثوب عدَّ ثوباً فكلمة ثوب في بنائها مفرد وفي معناها جمع فنُعِت الجمع المعنوي بالجمع اللفظي على قاعدة صفة الجمع جمع وكلمة رجل بمعنى حال منه وهو مجموع أحوال فله مبنى مفرد ومعنى جمع وان غُرُباً نعت لاحوالِه لانه غريب الوجه والنسابة والاخلاق فجاء نعته بالجمع دلالة على ان المراد بيان احواله لا كونه واحداً من الرجال : واما ان هناك محذوفاً امرُهُ معلوم بقرائن الاحوال فحُذِف لدلالة القرينة عليه فالأصل في قولنا ثوبٌ أخلاق وما تلاه ثوبٌ أخلاق أطرافه ورمح أقصاد اجزاؤه وناقة أسماط سِيَمُها وغُلامٌ رُوقة محاسِنُهُ ورجل سنايا سجاياهُ وزيدٌ غُرُبٌ شؤونه (١) ٠

فعلى الوجه الأول يكون لنا ان نقول ان في قولنا اخلاقاً حسناء على نقيض ثوب اخلاق بان اخلاقاً توحدت فهي في اللفظ متعددة وفي الحقيقة صفة مفردة وحفظ التأنيث كقرينة على الانتقال من الجمع الى المفرد ٠ وان في قولنا أدلّة غراء نُقِلت أدِلّة الى بيّنة لان مجموع الادلّة البيّنة وان شِيَماً زهراء إنما هي شيمة واحدة وقس على ذلك وعلى الوجه الثاني لنا ان نقول ان الأصل عربٌ

---

(١) المحذوف تُعيّنه القرينة او الاستعمال ومن شواهدِهِ قول انس ابن مدركة الخثعمي (مادة وجع في تاج العروس) ٠

اني وقتلي سُلَيْكاً ثم اعقِلهُ   كالثور يُضرب لما عافتِ البقرُ

اي لما عافت البقر خوضَ الماء فحذف خوض الماء للقرينة او للاستعمال ٠

عرباء فطرتهم او لهجتهم او نسبتهم وسمهربة سمراء صفتها وأدِلّة غرّاء دلالتها وكُربّات بيضاء واحدتها وكَلُم عوراء واحدتها او واحدته ·

إذن لا وَجهَ لرد مجيء فَعْلاء صفة لصيغ الجموع · وهذا ما اردتُ الجلاء عنه في هذا المقال والحمد لله على توفيقه ·

ذيل

ان مقالي هذا لا يقف عند إثباتي مجيء صيغةِ الجمع على فعلاء · فهو يثبت أيضاً ان المعاجم المشهورة بكثرة موادِّها وتعدُّد أبنية تلك الموادِ والبحث الوافي عن تفرُّعها فيها خلَل من الوجوه الآتية :

١ = إغفالُ صيغة المفرد والمجيء بصيغ جمع المفرد بعضها من بعض فيجعل القسيم فرعاً وبذلك اختلال القياس كما جاء في صِيرة وصِير وصِير من جموع صائر · وقنّ وقُنة وقِنان وقُنون وقُنات من جموع قنين · وأُتربة وتُربان وتِربان وتُربة وتُرباء وتَرباء من جموع تَرِب ·

٢ = إغفال المعاجم اعادة الجمع الى مفردِه وجعله اصلاً مستقلاً مع انه فرع لا أصل ومن ذلك دِيَة في دائم ·

٣ = الذهاب الى ان الجمع مفردٌ في وضعِهِ ومن ذلك جيفة ودِيَة ·

٤ = انكار صيغة جمعٍ أنها واردة مع ان التخريج يُؤيد وجودها ومن ذلك إنكار التاج فِعلة في جمع فاعل وكلُّ مأخذٍ من هذه المآخذ يجب ان يُعطى قِسطهُ من العناية لكي تتحرّر اساليب التخريج على مقتضى القياس فتزول عِلَلُ الشذوذ فان الشذوذ هو الزلزال الذي يهدِم أبنية الأقيسة الصحيحةُ · وأبني على هذهِ الحقائق التي أثبتُّها في هذا المقال بالأدِلّة العلمية الصحيحة ما يأتي :

١ = تحريرُ الأبنية الصحيحة الواردة في موادّ اللغة حتّى تتنسق بحسب القياس عملٌ واجبٌ وهو في الحقيقة أهمّ عمل في تصحيح القواعد اللغوية وتنقية مواردها من الشذوذ ·

٢ = الحروف الواردة في الاسفار اللغوية أساسٌ يُبنى عليه · والحروف التي تقضي الحاجة أن تضاف اليها بناءً على ذلك الأساس فاذا كان الأساس مختلاً تسرّب الخلل طبعاً الى مابُني عليه · فان المبني على المختلّ مختلٌّ بمقتضى وضعه فالبناء الصحيح لاغنى له عن أساس صحيح · لذلك يجب العمل أولاً في تحرير أبنية المواد اللغوية المنقولة الينا بالكتب اللغوية المتداولة بين ايدي العلماء وطلبة العلم · وأرى هذا الشأنَ أوجبَ شأن يتولاه المجمع اللغوي الملكي المصري الكريم · اذن لايصحّ ان يبطئ ذلك المجمع عن المبادرة الى وضع مُعجم صحيح الأحكام مُطّرِد القواعد ·

٣ = كل عمل في تحرير اللغة قبل ان تتحرّر أحكام أبنيتها وتتعين موارد جموعها من مفرداتها وتُحصى وجوه اشتقاقاتها وتُعرَف اسرار كل وزن من اوزانها ماهو الا من تزيين البناء المتداعي الى السقوط بالرسوم الجميلة · مع معرفتنا ان ذلك البناء المتداعي الاركان المتهاوي الجدران لابدّ من سقوطه فيذهب العمل بالرسوم ضياعاً · فمن الواجب بداءة بدء الانصراف الى العمل الذي فائدته لاغنى عنها لانه أساس وما سواه بناء عليه · فاذا كان المجمع الكريم لايعمل في سبيل تصحيح الاساس فمَن يا ترى في طاقته القيام بذلك العمل الذي يتقاضى نفقة طائلة واستعراض آراء كبار المفكّرين من ذوي الملَكة اللغوية ووقتاً فسيحاً رُبّما اتى على اعمار كثيرين من ذوي التبحّر في دقائق اللغة وأسرارها فضلاً عن الوقوف على نصوص المعاجم العديدة من عتيقة وحديثة وليس ذلك في قدرة مَن يحوز قُوتَ يومه من شقّ قصبته · ورجائي الاخير ان ينظر المجمع الكريم في ما اوردتهُ في هذا المقال وذيله بعين الاهتمام والسلام ·

امين ظاهر خير الله

علل مجيء فعلاء نعتاً لصيغة الجمع

لمجيء فعلاء نعتاً لصيغة الجمع عِلل أوردُ منها ما يأتي :

١ — أن يكون المنعوت حسياً مؤلفاً من أشياء دقيقة فليس للعين ان تتميز مفرداتها ككريات بيضاء وسماحيق ترب حمراء وثلوج سوداء

٢ — أن يكون المنعوت معنوياً فلا سبيل الى الفصل بين مفرداته كأخلاقٍ حسناء وشيَم زهراء ومباديء عرجاء — فلا يستطاع الفصل بين البشاشة واللطف والظرف وعذوبة القول والتفريق بينها اعتباري لا حقيقي — ومن هذا الباب خطايا حمراء .

٣ — الحاجة الى الوزن والقافية كما جاء في شعر المتنبي فكأنها ببياضها سوداء وقوله سمهرية سمراء . والكلم العوراء . لان الوزن لا يقبل سوداً وسُمُراً وعُوراً .

٤ — أن يكون الجمع قد جرى مجرى المفرد حتى احتجب أصله الجمع عن الاستعمال كحلَّة سوداء وكتيبة شهباء .

٥ — أن يكون البناء الاصليُّ مجهولاً كالدولة في قول المتنبي .

بعودة الدولة الزهراء ثانية   سلوتُ عنك ونام الليل ساهرُهُ

فان كلمة دولة لم توضح المعاجم بناءها ايضاحاً تطمئن النفس الى صحته . ففي الصحاح — أصح كتب اللغة وسيّدها — الدولة في الحرب ان تدال احدى الفئتَين على الاخرى والجمع الدول (ولم يضبط بالحركات) والدولة بالضم في المال والجمع دولات ودول . وقال ابو عبيد — الدولة بالضم اسم الشيء الذي يتداول به بعينه والدولة بالفتح الفعل — وقال بعضهم الدولة والدولة بمعنى وقال محمد بن سلام سألت يونس فقال . قال ابو عمرو بن العلاء (شيخه) الدولة بالضم في المال والدولة بالفتح في الحرب قال وقال عيسى بن عمر كلتاهما تكون في المال والحرب سواء وقال يونس اما انا فما ادري ما بينهما » .

وفي القاموس « الدَّولة انقلاب الزمان والعُقبة في المال ويُضَم او الضمُّ فيه والفتح في الحرب اوهما سواء او الضمُّ في الآخرة والفتح في الدنيا ج دُوَل مثلثة» ومافي المصباح بعض مافي الصحاح ولكنه يقول — وجمع المفتوح (دَولة) دِول

بالكسر مثل قَصعة وقِصع وجمع المضموم دُوَل بالضم كغُرفة وغُرَف » وفي معيار اللغة ما في المصباح إلاَّ أنه نَظَّر دولة ودِوَلاً ببدرة وبِدَر ·

فكل هذه النصوص لا تُميط النقاب عن دُولة ودولة — والذي بدا لي هذا : جاء فاعِل لذي الشيءُ كسائفٍ لذي السيف ومن بابه رامح ونابِل وسالح وتامر ولابن وفارِس فجاء دائِل لذي الدَّولة والدَّولة مصدر دَال مثل خَشْيَة مصدر خَشِيَ وجمع دائِل دُوْلة مثل صاحب وصُحْبَة · والشاهد على أن دولة صيغة جمع تكسير لدائل ان أبا عمرو ابن العلاء قال « والرواية عن معجم البلدان » انه وجد عند قوم دنانير كل دينار بعشرة دنانير فسألهم أن يبيعوها له فقالوا : لا نقدر لان الدُولة يأتون ويطلبونهامنا » فاعادوا الى دولة ضمير جمع المذكر العاقل وأبو عمرو امام أيمة اللغة فكلامه حجة وأصحاب المعاجم يأخذون عنه ·

والدُّولة والدَّولة سواء ولكنَّ الدُّولة بالضم صيغة جمع لفاعلٍ وفعيل والدَّولة بالفتح صيغة جمع لفعيل لا لفاعل وهنا جاء دائل ولم يجيء دَوِيل فما وجه مجيء دَوْلة بالفتح

والجواب ان لتخريج دولة وجهين الاول ان المعاجم التي اهملت دائلاً اهملت دَويلاً أو دَوُولاً صيغة مبالغة في فاعل كقدير في قادر وفهيم في فاهم وصَبور في صابر وفطون في فاطن ولو جاء دَوِيل او دَوُول لما وقع إشكال ·

الثاني : ان الضمة دخلت على الفتحة في صِيَغ الجمع ومن ذلك سُكارى في سَكارى وحُماقى في حَماقى فدخلت الفتحة على الضمة في دُولة للتخفيف وجمع دُولة دُوَل بمقتضى القياس وتُخفف الى دِوَل كما جاء بِيوت في بُيوت وخِيول في خيول وجِثِيّ في جُثِيّ جمع جاث ·

ولمَّا كثر استعمال دَولة حتى زاحمت دُولةً على موضعها اقتضى جمعها فجاء دُوَلاً من باب ارجاع الفرع الى اصلِهِ ودِوَلاً من باب عدِّ دَوْلة من باب أَلَّةٍ وجمع أَلَّة أَلَل ولكنَّ أَلَّة اصيلة البناء وَدولة دخيلة والدخيل لا يتمتع بحق الأصيل فلأَلَّة أَلَل وإلال ولِدولة دَوَلٌ ولا تجيءُ دوال فهي من طائفة كَلْمة وكَلَم وقد ذكرتُ قبلاً ان كَمة اصلاً جمع — ودِوَل اما من الرجوع الى دُولة او من القياس على قَصْعة كما في المصباح — وقد تُحمَل دَولة على قَرْيَة

فتُجمعَ على دِوَل ودُوَل كما جُمِعت قَريَة على قِرى وقُرى ولكنّ جمع قَصْعة على قِصَع وقَريَة على قُرى وقرى موضع بحث طويل ليس هنا موضعه — فلأن دَولة خَفِيَ أمرها جاء نعتُها بزهراء ويمتنع نعتها بزُهْر لان الإفراد اصل والجمع فرعه وكل حَرْف خفي بابه يعادُ بهِ الى الاصل لانه اولى بقبول الخفي . وليست دُوْلَة ودَوْلة من باب خُطْوة وخَطوة بدليل ان جمع خَطْوة خِطاء وجمع دولة دَوَل : واختلاف الفرعين دليل اختلاف الاصلين .

٦ — ان يكون المنعوت جاء على وجه المجاز ومن هذا الميازين قُضاةٌ خَرْساء والأطفال ملوك عزلاء والرسوم دورٌ قوراء .

٧ — ان يكون المنعوت حسياً غير عاقل وتمييز مفردهِ عن جمعه عسير على النظر كالهضبة والهضاب والحديقة والحدائق فكم من حديقة مؤلفة من عشر حدائق وكم من هضبة مؤلفة من عشر هضبات فتقول الحدائق الغنـاء والهضاب الشمّاء .

٨ — ان يكون المنعوت الحقيقي قد جرى حذفهُ تبعاً للاستعمال او للقرينة والمقام يجيز ان يكون ذلك المنعوت متعدداً فيجيء بفعلاء دون فُعُلٍ او فعلان للاشارة الى المنعوت المحذوف ومن ذلك قول زهير — بيضاء حرس — واصل كلامهِ كحَرَس بيضاء سلاحُهم فحذف سلاحهم كما حذف عنتره كعبه في قوله :

وطعنت بالرمح الأصمّ ثيابهُ ليس الكريم على القنا بمحرّمِ

واصل الكلام بالرمح الاصم كعبهُ بدليل قول المتنبي :

لا اكسب الذكر إلاّ من مضاربه او من سنانٍ اصمّ الكعب معتدلِ

ويريد بحرس بيضاء سلاحهم انهم اشدّاء سلاحهم قاطع ولو قال بيض حرس او بيضان حرس لكان اصل الكلام بحرسٍ بيض الوانهم او وجوههم كناية عن جود عنصرهم . ولم يرد زهير جودة العنصر ولا اللون ومراده البسالة والشدّة لذلك قال بيضاء بخلاف ما اراده المتنبي في قوله :

« وذاك ان الفحول البيض عاجزة » اي الفحول البيض الالوان يريد الاحرار .

ولا خلاف في انه يقال الحدائق الغنّ والهضاب الشم والوجوه الغرُّ والليالي السود ولكنَّ اتصال الليلة بالليلة على المُتعَب تريه الليالي العديدة ليلة واحدة فيقول الليالي السوداء فتدلُّ على سوء حالٍ لاتدل عليه الليالي السود لان اتصال البؤس امرٌ من ورود بعضهِ بعد بعض هذا مابدالي بهذا الشأن والعلم الحقُّ عند الله جلَّ وتعالى

فنعت صيغة الجمع بفعلاء يصحُّ قياساً وسماعاً ، وصحته في القياس بالحمل على ماجاء في شعر امرئ القيس وزهير وطرفة وسواهم وفي هذهِ الرسالة بعض اقوالهم ٠

وصحته في السماع ماجاء في الانجيل فان نسخه لاتزال تُقرأ منذ اول عهد دخول بعض العرب في الدين المسيحي الى الآن وستقرأ مابقي للمسيحية شعوب عربية فالمطبعة الفاتيكانية سنة ١٢٦٤ جمعت عشرت من نسخ الانجيل المخطوطة واختارت الاسلوب المألوف بين ابناء الشام ولبنان ومصر والعراق والنسخ المخطوطة منذ مئات السنوات وهي في مكتبة دير سيدة البلمند الشريف تثبت هذا التعبير لانها تروي ثيابَه بيضاء ونسخ الانجيل التي تُتلَى في كنائس الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والسريان تروي هذا التعبير عينه ٠

فما ملأ المسامع منذ مئات السنين وله وجه صحةً لاتجوز تخطئتهُ ولا يليق بعالمٍ غزير المعرفة بابنية الاوزان وضروب التعابير ان يمنعه ٠



فهرس مباحث هذه الرسالة

صفحة

تمت رسالة الحجة البيضاء والحمد لله تعالى



على

عِلم الأب الكرملي

الجزء الثاني

في تزييف مقاله «لا تقل كريات بيضاء»

في كل سطر هفوة　　عجباً لها من هفوةِ
أتصحُّ هذي ان تجيءَ　　عن الإمام الصفوةِ

بقلم الشيخ امين ظاهر خير الله الشويري اللبناني

الطبعة الاولى بمطبعة الترقي في دمشق الشام سنة ١٣٥٦ هـ و ١٩٣٧ م

باسم الله

توطئة

نشرتُ مقالاً في مجلة المقتطف (٨٧ : ٢٠٩) بعنوان أُبقال كُرَيَاتٌ بيضاء فأثبتُ بالشواهد العديدة من كلام فصحاء العرب تثبت أن الأبنية المسلّم بأنها صيغ جموع واسماء الجموع واسماء الاجناس تُنعت بفعلاء لذلك يقال كُرَيات بيضاء وادلّة غراء وهضاب ملساء وشمائل حسناء فانبرى الأب انستاس الكرملي معارضاً ونشر مقالاً تحت عنوان لاتقل كُرَيَات بيضاء ملأه بادبهِ البارع ونشرهُ في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الشام ومجلة المقتطف في وقت واحد فاستقبلتهُ مجلةُ المجمع بالترحاب ونشرتهُ على علاّتهِ . ورأت مجلة المقتطف مافي نصفه الاخير من خروج عن ادب المناظرة فابت نشر ذلك النصف حفظاً لكرامة الاب الذي يُطلق لقلمه العنان حتى يتجاوز اللائق لانهُ لايدري ان القول الجارح سهم يعود الى مرسلهِ ويقع عليه في مقتلهِ . وها انا ذا انشر مقال الاب الكرملي عن مجلة المجمع العلمي العربي (ص ٤٢١ من المجلد الثالث عشر) بحروفه .

لاتقل كريات بيضاء

١ = تخطئة رأي

نشر الاديب امين ظاهر خيرالله مقالة في المقتطف (٨٧ : ٢٠٩) عِنوانها « ابقال كريَات بيضاء » حاول فيها ان يُثبِت للقارئ جوازَ قول من يقول « كريات بيضاء » ليزكّي بها قولهُ هضاب ملساء [1] وقول ابيه ادلة غرَّاء واورد لذلك شواهد لم تُثبِت شيئاً ممّا توخّاه من ردّهِ [2] اذ جاءنا بالفاظ هي اشباه جمع

---

(١) قوله هضاب ملساء على الحكاية . قلت ولو قال هضاباً ملساء كانَ وجه الكلام اصحَّ لأنَّ القارئ ينصرف فكرُهُ بداءة بدء الى ان هضاباً مفعول به . وحيث وجهان فالاقرب تناولاً اولى بالاستعمال .

(٢) التعبير الجيّد مما توخّاه برده (الباء للواسطة) او في ردّهِ (في للتضمن) والأصح مما لهُ انشأ ردّهُ فالتقديم للحصر واللام للاختصاص كالله الحمد .

او اسماء جنس او احرف هي بين الافراد والجمع فتوهَّم فيها جماعة الافراد وتوهم فيها آخرون الجمع . وفي مثل هذهِ الاحوال لاجدال في ان يُنعَت الموصوف بصفة مفردة او مجموعة .

واول شواهدِ «الكَلِم» بفتح فكسر . وهذه اللفظة اختُلِف في حقيقتها اهي جمع او شبه جمع وللناس فيها مذاهب . وعلى كل حال فان مفردها كلمة فيجوز في وصفها الافراد او الجمع .

وثانيها الخشباء فانها هنا منقولة الى الاسمية كما نقلوا الى الاسمية الخضراء والسمراء والزرقاء الى اشباهها وثالثها الشيعة فهي مفردة كما هي جمع حسبما توجَّه معناها ولذا توصف بالافراد كما توصف بالجمع . ومثل ذلك ماجاء في سورة الشعراء «ان هؤلاء لشرذمة قليلون» فقد وصفها بالجمع لان مدلولها مجموع ويجوز لك ان تقول شرذمة قليلة لان لفظها مفرد مؤنث [1] .

ورابعها كتيبة شهباء وفارسية خضراء وسمهوبة سمراء . فهذهِ الالفاظ كلها وامثالها مفردة كما يجوز لك ان تقول مجموعة اذا نظرت الى معناها فهي كقولك شرذمة قليلون او شرذمة قليلة .

وخامسها اسم الجمع ولا مشاحة في انه يوصف بالافراد كما يوصف بالجمع ومنه الآية في سورة المؤمنين «فتقطَّعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون» فيجوز لك ان تقول على رأي النحاة «وكل حزب بما لديه فرح [2]» على التقدير الذي تريده .

وسادسها كل فعلاء واردة لمجموع [3] فانت مخير في ان تنعت صفتها بالافراد

---

(١) اذن شرذمة لفظها مفرد ومعناها جمع والقرآن قد اختار المعنى على اللفظ فجاء قليلون نعتها ولو اختار اللفظ لقال قليلة . فليحفظ القارئ عليه هذا القول لانه يثبت ان هضاباً ملساء لا مشاحة في جوازها لان معناها جمع وكل جمع مؤنث وكل مؤنث يُنعَت بالافراد فهضاب ملساء لا وجه لانكار صحتها .

(٢) ليس قول النحاة له شأن ازاء قول القرآن ففرحون هنا اعلى من فرح .

(٣) تعبير الفصحاء كل فعلاء لجمع لك نعتها بالافراد او الجمع . فتغني ثمان عن ١٣ كلمة .

او بالجمع ومنه ما جاء في ترجمة الاحنف التميمي وهي العبارة التي استشهد بها الاديب امين فقد نقلها بهذه الصورة (ص ٢١٣ من المقتطف) هذه الحمراء قد كثرت بين اظهر المسلمين و كثر عددهم اي عدد الحمراء وهي لفظة بصيغة الافراد لكنها تعتبر جمعاً [1] في المعنى ومفرداً في اللفظ ولهذا نقول كثر عددهم وكثر عددها كما تشاء · والظاهر ان ابن ظاهر لم يفهم هذه الحقيقة فكتب بعد عددهم كلمة كذا كأن ذلك غلط وليس هناك زلل ·

وسابعها عرب عاربة وعرب عرباء فأنت في الخيار في التذكير والتأنيث كما قلنا في شرذمة قليلون وقليلة · فهذه الشواهد لم تثبت لنا شيئاً و كنا نودّ ان يأتينا بلفظة مجموعة جمعاً صريحاً وصفتها الافراد فلو اتانا بشاهد مثل نساء سمراء لقلنا له أصبتَ · لكنه جاءنا بالفاظ تحتمل الافراد والجمع فلم يفدنا الفائدة التي كنا نتوقعها من مقالته الطويلة العريضة وبطل الاستدلال بشواهده تلك العرج ·

٢ = الرأي الصحيح

لا مشاحة في ان افعل ومؤنثها فعلاء اذا جاءت « صفة لموصوف » (لا موصوفاً) ودلّت على لون او عيب او حلية فان كُلاً من افعل وفعلاء يجمع على فُعْل بضم وسكون · وقد يجمع [2] فُعل على فُعلان بضم ايضاً نقول احمر وحمراء وحُمْر وحُمران اسود وسوداء وسود وسودان · ابيض وبيضاء وبيض وبيضان الى آخر ما نقل [3] عن فصحائهم · قال المبرد في كتابه الكامل (في ص ٢٣ من طبعة اورتبه وفي ١ : ٢٧ من طبعة مطبعة التقدم بدرب الدليل بمصر سنة ١٣٢٣) « وابرق اذا عنيتَ به المكان مضارعة للاسماء لانها تدلّ على ذات الشيء وان كانت في الاصل نعتاً نقول في جمعها الاباطح والابارق والاداهم والاساود فان اردتَ نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم · وكل ما اشبه هذا فهذا مجراهُ » · الى آخر ما قال · فراجعه ترَ في كلامه مايسدُّ افواه المتحذلقين ·

---

(١) التعبير الفصيح وفي المعنى جمع فتغني ثلاث عن ثماني كلمات ·

(٢) اي كثيراً · (٣) لو قال وامثالها لاغنت كلمة عن اربع ·

واعاد مثل هذا القول في ص ٣٨ ٤ من طبعة اوربة و ٢ : ٥٨ من طبعة مصر وهذا نصه : وافعل اذا كان نعتاً بنفسه فجمعهُ فُعْل نحو احمر وحُمْر واسوَد وسُود · واذا كان نعتاً فأُجري (١) مجرى الاسماء فجمعه افاعل نحو اساود واجادل واداهم وان اردت ادهم الذي هو نعت محض قلت دُهْم ··· الى آخر ماجاء هناك فيحسن بك ان تقف عليه لترد عنك هجمات الصائلين في البيداء بعيدين عن العدى ·

ونحن لانريد ان نزيد على هذا القدر (٢) لما في ذلك من الكلام على غير جدوى ·

٣ = تعرض الكاتب لتخطئة الغير وهو المخطيء

مايكتب امين الفاضل مقالة أو رسالة أو كتاباً الاّ يتعرض بالغير ويتخطئتهم مع أنه — لو درى — هو المخطيء · فقد ذكرنا لك كيف انه خطأ ما جاء في ترجمة الاحنف التميمي وليس ثم وهم ولا زَلَل ·

وقد تحرَّش بمقالهِ هذا بالدكتور امين باشا المعلوف الذي نعته باللامع (كذا) فقال ناقداً نقد الدكتور للجزء الاول من مدخل فن الجرائم للطبيب احمد حمدي افندي الخياط «قال الكريات البيضاء والكريات الحمراء والصواب بيض وحمر ولا يجوز غيرها (كذا) واظن (هذا كلام امين ظاهر خيرالله) انها غيرهما فسقطت الميم في الطبع ···» اه كلامه ·

قلنا لاخطأ في كلام امين باشا المعلوف فان غيرها معطوفة على حمر وبيض معاً فيجوز الافراد والتثنية والجمع قال في اللسان في مادة (د ك ك) وقوله سبحانه وتعالى وحملت الارض والجبال فدكّتا دكّة واحدة · قال الفرّاء دكّتها زلزلتها ولم يقل فدُكِكْن لأنه جعل الجبال كالواحدة ولو قال فدكّت دكّة واحدة لكان صواباً» فليحفظ ذلك امين ظاهر ·

وقال اللغويون ومنهم صاحب اللسان في (روي) الراوية هو البعير او البغل

---

(١) لو قال او نعتاً أُجرِي لاغنت ثلاث عن اربع ·

(٢) الى ماذا اشار بذلك وعلام هذه العبارة الطويلة ولو قال وبهذا القدر كفاية لأدّى ما اراد فتغني ثلاث عن ١٦ كلمة ·

أو الحمار الذي يستقي (باثبات نقطتي الياء) عليه الماء . وقال صاحب اللسان ايضاً مادة (ع ن م) : قال رؤبة

وهي تُريك مِعضداً ومِعصماً عَبلاً وأطرافَ بنانٍ عُنَما

وضع الجميع موضع الواحد ، اراد وطرف بنان معُنَما « ولم يقل مِعضداً ومعصماً عبلين . كما لم يقل « واطراف بنانٍ معنمة » ومعنماً عائدة الى اطراف واطراف جمع طرف . إذن جاز للدكتور ان يقول ما قال . ولم يصب امين الفاضل في تخطئتِهِ .

٤ً = اغلاط الكاتب امين ظاهر خير الله

من عادة حضرة الكاتب ان يتعرض لتخطئة الكتّاب في كل ما يكتب ليحرز بعملِهِ هذا سمعة ويفضل نفسه على سواه ولو انصف لقضى ايامــه في اعمال النظر في ما يكتب .

قال حضرته في مستهل مقالته« نظر النطاسي اللامع امين باشــا المعلوف » فاستعمل هذا اللامع بمعنى الشهير وهذا الاصطلاح ليس بعربي المعنى . نعم يقال لمع البرق والنجم والكوكب اي اضاء . لكن اذا قلت لمع الرجل بالشيء كان بمعنى ذهب به . ولمع الرجل الباب اي برز منهُ . فانت ترى من هذا اذا خصصت لمع بالعاقل جاء بغير المعنى الذى اراده الكاتب . فمعنى النطاسي اللامع : الذي يذهب بالاشياء سرقة ام بغير سرقة او الذي يبرز من الباب ، باب الدار او باب العلم او باب التحقيق وكل ذلك مضحك وقال في مستهل كلامه ايضاً في ص ٢٠٩ (عرض مقالاً له لدى ذلك العلامــة ..) والمعروف المشهور الذائع على الالسنة عرض مقالاً له على ذلك العلامة .

وقال في ٢١٢ « وذهب اقرب الموارد الى ان برشاء جمع ابرش وبرشاء » ولم يخطئه مع ان برشاء بمعنى الناس او جماعتهم مخففة او معدولة او مقصورة عن بَرْنشاء على ما هو معروف عند اللغويين .

ومن آرائه المردودة عليه قوله في ص ٢١٤ : « والمفرد المؤنث المعنوي اذا صُغّر تلحقه التاء كشمس وشُمَيسة وارض وأُرَيضة ... ولما خفيت هــذه الحقيقة

وحسبوه مفرداً (تصغير عرب على عُرَيب) مؤنثاً قالوا ان تصغيره بدون تاء شذوذ وما الشذوذ الا ثمرة نقلهم له من طائفته الى طائفـة اخرى ولو أنزلوه في طائفته لوجدوا قياسه صحيحاً فالشذوذ من عملهم لا من بناء صيغته» اه كلامه أو تبجحه .

قلنا : قوله «والمفرد المعنوي إذا صغر تلحقه التاء ...» قلنا وقد لا تلحقه فهذهِ حرب فان مصغرها حُرَيب بلا هاء رواية عن العرب كما قاله الخليـل . الى غير هذه الكلمة مما يطول ذكرهُ وشرحه فنكتفي بهذا الوَشَل .

٥ — الخلاصة

الخلاصة مما قلنا أنه لا يقال ادلة غرّاء ولا هضاب ملساء ولا شمائل حسناء ولا كريات بيضاء اذ كلها اغلاط صريحة صارخة بخطإها الى عنان السماء والصواب: غُرّ ومُلْس وحسان (لأن الحسناء هنـا ليست بمؤنث الاحسن بل الحسن وهذا خارج عن كلامنا)[١] و كريات بيض ولا يجوز أبداً غيرهذا

بغداد : الاب انستاس ماري الكرملي

وقد نشر الطبيب امين باشا المعلوف مقالاً بعنوان : ايقال كريات بيضاء سيرد بعد الجواب على هذا المقال .

الرد على مقال الاب انستاس

١ — توطئة

هذا مقال الاب انستاس نقلاً عن مجلة المجمع العلمي وهو كما سيطالع قارئ هذا الرد مملوء بضروب المغالطات والاوهام خارج عما رسمه علماء التصريف والنحو واللغة والمعاني والبيان والمنطق مُطَّرِح ما سنّته كُتُب المناظرة لانصاف المتناظِرين في سبيل تقرير الحقيقة متوخٍ ما يعمـد إليه أهل الجدَل لتأييد الرأي الخاصّ وان باطلاً عدا انه ناقض ما جاء

(١) اذا كان خارجاً عن كلامك فعلامَ تدخله .

في اقوال الائمة والفصحاء فان كان ذلك عن عدم اطلاع فأيُّ علم علمهُ أو عن مكابرة في التسليم بالحقيقة لانها في جانب مناظره فأيُّ تحقيق تحقيقه . وها أناذا اورد اغلاطه في ماذهب اليه وأُقيم الدليل على أن ذهبهُ خبث ولآلئه ليست بلؤلؤ ولا صدَف ثم أُفرد لما في عبارتهِ من المآخذ فصلاً خاصاً أُثبت فيه ان هذا الأب لم يرزق من فصاحة العبارة كثيراً ولا قليلاً ولم يُعطَ من ملكة التعبير فيضاً ولا غيضاً وعلى الله المتكل .

٢ = تقسيم فاسد

قال « اذ جاءنا بالفاظ هي أشباه جمع أو اسماء جنس (١) او احرف هي بين الافراد والجمع » اه .

وأو هنا اماً للتقسيم أو للتفريق المجرَّد من الشك والابهام والتخيير أو للتفصيل ومثاله الكلمة اسم اوفعل أو حرف (راجع فصل أو في مغني اللبيب) وشرط أو ان يكون ما بعدها غير ما قبلها فالفعل غير الاسم والحرف ، والحرف غير الاسم والفعل . فهل جاءت أو في كلام الاب انستاس كذلك . اجيب لا وإليك الدليل : أولاً لم ترد التسمية بشبه الجمع لابن الحاجب في كافيته ولا في شافيته وخلت شروحها الطوال العديدة من ذكرها ولاوردت في الالفية لابن مالك ولا في شروحها العديدة ولكنها وردت في بحث المطالب لفرحات الحبر الجليل و كتب الشيخ

---

(١) هذا تعبير الكرملي وأما الجامي صاحب الفوائد الضيائية فيقول « خرجت اسماء الاجناس » (الفوائد ص ١٩٥ سطر ١) وقال الاخفش جميع اسماء الجموع (ص ١٩٥ سطر ١١) فالمضاف اليه صيغة جمع لا مفرد .

ناصيف اليازجي والتمرنة للحوزي يوسف داود السرياني الموصلي وهؤلاء الثلاثة ممن لهم شركة باللغة السريانية كالاب الكرملي فلعلهم نقلوا هذه التسمية اقتباساً من تلك اللغة ·

ففي بحث المطالب (طبعة اليسوعيين سنة ١٨٦٥ ص١٠٦) «اماشبه الجمع فهو اسم الجنس الذي يفرق واحده بالتاء مثل نجم ونجمة ، وثمر وثمرة ، وشجر وشجرة» ·

وفي فصل الخطاب (طبعة بيروت سنة ١٨٨٥ ص ١٠٥) « واعلم ان اسم الجمع مادلّ على كثرة معنى دون لفظ ولم يفرق واحده بالتاء كقوم ورهط فان كان يفرق بها كشجر وشجرة فهو شبه الجمع والتاء فيه للوحدة لا للتأنيث» وفي الجمانة له ما في فصل الخطاب مع استيفاء التقسيم وموضعه ص ٧٦ من طبعة بيروت سنة ١٨٦٧ فراجعه هنالك

وفي التمرنة طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ ص ١٤٢ جزء ١) من الاسماء ما يقال له اسم الجمع · واسم الجمع هو ما يطلق على الجماعة لا مفرد لها فيه · نحو شعب وخيل وسِرب وأُمّة · ومنه ما يقال له شبه الجمع · وشبه الجمع هو مادل على جمع بلفظ المفرد وواحده ينتهي بالتاء نحو عِنب وتين وقصب وحَبّ · فان المفرد عِنَبة وتينة وقصبة وحبة »

فقد صرح اصحاب هذهِ الكتب بان شبه الجمع هواسم الجنس · فقول الكرملي اشباه جمع او اسماء جنس لا يصح ان يكون تقسيماً او تفريقاً او تفصيلاً لان اشباه الجموع هي اسماء الأجناس عينها وصحة التعبير هي أسماء جمع أي اسماء جنس أو يقول هي اشباه جمع أو اسماء جمع وهذا التعبير

بحسب نمط الكرملي اما بحسب نمط الاخفش فان يقال هي اسماء جموع او اسماء أجناس .

ثانياً قال « او احرف هي بين الافراد والجمع » اقول اذا كان الحرف مفرداً ومعناه جمع فهو إمّا اسم جمع واما اسم جنس وقد وردا قبلاً . واذا كان صيغة جمع نقد اقرّ ضمناً بأني جئتُ بما يثبت ورود صيغة الجمع منعوتة بفعلاء وهذا هو السؤٔل المنشود . فالعجب في أنه يقرُّ ضمناً بما ينكرهُ صراحة . ولا اقول هذا من مناهج المغالطين بل اقول هذا دليل ان المعترض لا يملك مزية التقسيم الصحيح فكان عليه أن يقول جاء بالفاظ هي أشباه جموع أو أسماء جموع او حروف منازع في مجيئها جمعاً . فمن لا يحسن ان يقول ذلك فاي تحقيق عنده .

٢ = خروج على ما سنّهُ العلماء

قال « او احرف هي بين الافراد والجمع فتوهم فيها جماعة الافراد وتوهم فيها اخرون الجمع وفي مثل هذهِ الاحوال لاجدال في ان ينعت (١) الموصوف بصفة مفردة او مجموعة »

اقول لي على هذا القول ما يأتي :

١ = يأتي اللفظ الواحد وله بناءَان مفرد وجمع والقرينة تعيّن احدهما قال الرضي في شرح الشافية (طبعة در سعادت ص ١٣٥) كفُلْك في فُلْك قال تعالى في الواحد في الفلك المشحون . وفي الجمع « حتى

---

(١) قوله ان يُنعَت الموصوف يتضمن التجدد مرة بعد مرة وصحة التعبير لا جدال في مجيء نعت الموصوف مفرداً او جمعاً .

اذا كنتم في الفلك وجرين بهم · فالفلك في اولى الآيتين مفرد ولا يصحُّ عدُّها جمعاً · وفي الثانية جمع ولا يصحُّ عدُّها مفرداً» ·

٢ = وزن فِعال يأتي بحروفٍ مشتركة بين المفرد والجمع من ذلك ضِياء وغِراس فان الضياء مصدر كضوء اثبته الجوهري في صحاحِهِ وقال آخر هو جمع ضَوء كسياط جمع سوط · وفي القاموس غَرْس ج غراس · وفي المصباح غِراس مفرد بمعنى مغروس ككتاب بمعنى مكتوب · فالقرينة تعيّن بناء الكلمة فضياء في ضياء ساطع مفرد وفي ضياء لامعات جمع لامفرد ·

٣ = اذن ليس للاب الكرملي ان يتوهم الافراد في شيعة الواردة في قول الصليحي «وانصاعتِ الشيعة الشنعاءُ شُرّادا» لأن شُرّاداً جمع شارد كوُرّادج وارد · وهو حال من الشيعة والحال تطابق صاحبها في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع · فلو كانت الشيعة بناءَ مفردٍ لما جاز ان تأتي الحال جمعاً اذن هذا الشاهد يثبت مجيءَ فعلاءَ نعتاً لصيغة جمع وهذا المطلب المنشود ·

٤ = قال الكرملي «توهم فيها جماعة ···» قلتُ ليس في كلام العلماء توهم فهم محققون لامتوهمون والقرينة عندهم الهادي الصادق فزعمه انهم متوهمون افتئات على علمهم · وليس هذا الافتئات إلا أُساً في علم الكرملي وخلقِهِ وهو يظن انه بهذا القول وامثالِهِ ينوّه بعلمهِ وانما هو يأتي بالدليل القاطع على جهلِهِ واعتدائه على كرامة العلماء الذين عنهم أخذ وبكتبهم تعلَّم · والكرملي الذي يزري

بالعلماء المعاصرين ليس عندهُ تهيُّب للازراء بالعلماء السابقين فماذا يقال في هذا الادب وماذا يكون صاحبه ·

٣ = الكلم العوراء

قال : «واول شواهده الكَلِم (بفتح فكسر) وهذه اللفظة اختلف في حقيقتها اهي جمع او شبه جمع وللناس فيها مذاهب وعلى كل حال فان مفردها كلمة فيجوز في وصفها الافراد او الجمع» ·

اجيب : اولاً قوله ان للناس فيها مذاهب أردُّهُ بان العبرة هنا باقوال العلماء لا باقوال الناس · ثم ان مذاهب تدلُّ على ثلاثة فصاعداً وهو قد جاء باثنين هما الجمع وشبه الجمع · ففي كلامهِ تعارض والحقيقة ان في كلم ثلاثة اقوال الاول انها جمع والثاني انها اسم جنس وسيأتي الكلام عليه والثالث انها اسم جمع وهذا القول اورده صاحب الفوائد الضيائية الشيخ عبد الرحمن الجامي في قولهِ (ص ١٩٥ من طبعة الاستانة سنة ١٢٩١) «على انه لاضير في التزام الكلم اسم جمع ايضاً» فإهمال الكرملي القول الثالث اتى عن عدم وقوفهِ عليه ·

ثانياً — جئتُ بشاهدين اوردا الكلم العوراء والكلم العوران اولهما لأُمَيَّة بنت ضرار (حماسة الوليد فصل ١٧٤) والثاني لكعب الغنوي (حماسة الوليد فصل ١٠٨) وتساءلتُ عن بناء كَلِم فقد اختُلِف في تعيين حقيقتهِ · واشهر الاقوال فيه انه جمع والشواهد على صحة هذا القول ما يأتي :

ذكر الجوهري في صحاحهِ «الكلم لايكون اقل من ثلاث لانه

جمع كلمة مثل نبقة ونبِق ولهذا قال سيبويه هذا باب علم ما الكلم لأنه اراد نفس ثلاثة اشياء الاسم والفعل والحرف فجاء بما لايكون الا جمعاً وترك مايمكن ان يقع على الواحد» وفي المصباح الكلمة بالتثقيل لغة الحجاز وجمعها كلِم وكلمات فعدّ كلماً جمع تكسير وكلمات جمع سلامة [1] وفي القاموس الكلمة ج كلِم . وايد التاج هذا القول بنقل عبارة الصحاح .

وفي مادة (ب غ ث) في الصحاح «قال يونس : من جعل البغاث واحداً فجمعه بِغثان مثل غزال وغِزلان . ومن قال للذكر والانثى بَغاثة فالجمع بَغاث مثل نَعامة ونَعام» فالامام يونس يعد اسقاط التاء صيغة جمع من صيَغ جموع التكسير وهذا مذهب الجوهري كما مرّ آنفاً .

وفي مادة (ح ل ق) في الصحاح : «وحكى يونس عن ابي عمرو ابن العلاء حلَقة في الواحد بالتحريك والجمع حلَق وحلَقات . فهذا القول اثبت ان يونس اخذ مذهبه في ان الجمع يأتي باسقاط التاء عن شيخه ابي عمرو ابن العلاء وهو شيخ ائمة العربية وممن اخذ عنه

---

(١) قال الرضي في شرح الشافية ان في مثل كَلِمَة وكَلِم وأَكمة وأَكم وعِنَبة وعِنَب وتُفَّاحة وتُفَّاح «قد يجيء شيء منه لايُطلَق الا على الجمع وذلك من حيث الاستعمال لا من حيث الوضع كالكَلِم والأكَم وهو قليل فتقول مثل هذا الاسم اذا قصدت الى جمع قِلّته جمعته بالالف والتاء واذا قصدت الكثرة جرّدته من التاء فيكون المجرّد بمعنى الجمع الكثير» (ص ١٦٤) اي ان كلماً تدل على التعدّد اكثر من كلمات .

الخليل ويونس والاصمعي وابو عبيدة القائل « ابو عمرو اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب والشعر » (بغية الوعاة للسيوطي طبعة سنة ١٣٢٦ ص ٣٦٧) .

وفي رسالة الوشاح المطبوعة حاشية للصحاح « قال الزبيدي الآءة شجرة وجمعها آء » .

وفي شرح الرضي على الشافية (ص ١٦٤ طبعة دار السعادة والواقف على الطبع محمد ذهني) « ان الاسم الذي يقع على القليل والكثير بلفظ المفرد فاذا قُصِد التنصيص على المفرد جيء فيه بالتاء يسمّى باسم الجنس وهو عند الكوفيين جمع مكسَّر واحده بالتاء » .

اذن القول الوارد بان كلماً جمع قول ابي عمرو ابن العلاء ويونس والاخفش والفراء والزبيدي والجوهري والفيروز ابادي والفيومي وصاحب التاج وعلماء الكوفة فهل يُعَدُّ من اخطاء امين ظاهر خير الله اقباله عليه وقبوله له .

والقائلون أن كَلِماً اسم جنس كثار كالبركوي والاطوي واقوالهما موردة في مقالتي « المحجة البيضاء » والشيخ الرضي في شرحَيه للكافية والشافية . فقال في مستهل شرح الكافية « اعلم ان الكلم جنس للكلمة مثل تمر وتمرة وليس المجرد من هذا النوع جمعاً لذي التاء كما يجيء تحقيقه في باب الجمع بل هو جنس حقه أن يقع على القليل والكثير كالعسل والماء . لكن الكلم لم يستعمل الاَّ على مافوق الاثنين بخلاف نحو تمْر وضَرَب » فقال واضع الحواشي على شرحه :

« فلذلك قيل الكلم جمع » ومصدر هذا الاعتراض ان تعريف الجمع يشمل الكَلِم فالكلم تدل على ثلاث كلمات فاكثر فمعنى الجمعية فيها ولها من بنائها مفرد هو كلمة الدالة على الافراد » اذن صوغ الجمع من البناء المفرد متوفر في كلم لفظاً ومعنى . ودلالة كلم على ثلاث كلمات فاكثر كدلالة حلَق على ثلاث حلقات فاكثر وحدق على ثلاث حدقات فاكثر ففي الصحاح « حدقة العين سوادها الاعظم والجمع حدَق وحداق » .

وجاء في الفوائد الضيائية (ص ١٩٥) فنحو تمر ونحو ركب ليس بجمع على الأصح بل الاول اسم جنس والثاني اسم جمع والفرق بينهما ان اسم الجنس يقع على الواحد والاثنين وضعاً بخلاف اسم الجمع فان قيل الكلم لايقع على الكلمة والكلمتين وهو جنس . قيل ذلك بحسب الاستعمال لا بالوضع . على انه لاضير في ان الكلم اسم جمع ايضاً . وانما قال على الاصح وهو قول سيبويه لان الاخفش قال جميع اسماء الجموع التي لها احاد من تركيبها كجامل وباقرٍ ورَكب جمع . وقال الفراء وكذا اسماء الاجناس » اه .

فالذين قالوا ان كلماً اسم جنس مذهبهم ان ذلك القول على الاصح ولم ينكروا ان عدّ كلم من الجموع مذهب صحيح . والاب الكرملي ينفي عن كلم انها صيغة جمع فيخرج عما سلَّموا بهِ ولا يأتي بدليل على صحة مذهبه . فشاهدي الكلم العوراء على ان كلماً صيغة جمع يقبله العلماء ولا يقبله الكرملي وحدَهُ ويردُّه بلا دليل فمَن يا ترى يجب أن يؤخذ

بقولِهِ ، ومن يا ترى روى البيت بلفظ الكَلِم (بفتح مكسر) فإنه يجوز ان يكون ذلك القول جاء به الكَلَم بفتحتين جمع كَلُمة مثل أَلَة وأَلَل وجَرْعة وجَرَع ودَوْلة ودَوَل وهذه الصيغة (دول) لم ترد صراحة فان الفيروزابادي قال ان دَولة تُجمع على دول مثلثة اي على دُوَل ودَوَل ودِوَل . ويصح أن يكون الشاعر قال الكَلَم بكسر ففتح وهذا اللفظ صيغة جمع لكِلْمة مثل سِيرة وسِيَر وقِيمة وقِيَم فيأتي وزن فَعَلاء نعتاً لصيغة جمعٍ لا خلاف في صحتها فعلامَ عمدَ الكرملي الى وجهٍ واحدٍ في الكَلِم وترك الوجهين الآخرين أليس هذا الترك من عدم وفاء البحث حقه بل من المغالطة والرغبة في الغَلَبة لا في جلاء الحقيقة .

وهنا اردُّ أدلة الاطوي الثلاثة الواردة في ص ٨ من المحجة البيضاء هكذا :

الدليل الاول : خَيْر أصلها أَخْيَر اسم تفضيل فبعدما انتقلت من بناء افعل الى بناء فَعْل لا تزال اسم تفضيل — و كليم بعدما انتقلت من فعيل الى فَعِل لا تزال صيغة جمع .

الدليل الثاني : نقضه في ص ٩ من المحجة البيضاء .

الدليل الثالث: أصحاب تصغَّر على أُصيحاب ولا تُرَد الى المفرد . وهي جمع صاحب وأنصار ينسب اليها فيقال أنصاري ولا تردها إلى المفرد فما جاء في أصحاب وأنصار جاء في كلم اذن كلم صيغة جمع وادلة ردّها باطلة .

٤ = خروج ثانٍ للكرملي على ما سنّهُ العلماء

قال «وعلى كل حالٍ فان مفردها كلمة فيجوز في وصفها الافراد والجمع»

أجيب : لا يصح ان يقال الكَلِم مفردها كلمة إلاَّ بعد التسليم بأن كلماً صيغة جمع لأن المفرد ازاءه الجمع · ومن يعدُّ الكلم اسم جنس يقول واحدها · ففي الصحاح (مادة ج ر د) والجريد الذي يجرد عنه الخوص الواحدة (لا مفرده كما قال الكرملي) جريدة والجراد معروف الواحدة جرادة « وفي مادة (س م ك) والسمك من خلق الماء الواحدة سمكة » وفي المصباح ما في الصحاح في مادة (ج ر د) ولم يذكر مادة (س م ك) وفي التاج ان الجريدة ج جريد وجرائد والجراد الواحدة جرادة للذكر والانثى فهو يعد جريداً صيغة جمع لا اسم جنس · فاذا كان الكرملي يعدُّ كلماً صيغة جمع كما عدَّ التاج جريداً صيغة جمع فعلامَ يماري في صحة شاهدي · وان كان لايدري استعمال العلماء فكيف يكتب بغير رويَّة · وتحقيق استعمال العلماء في هذا الشأن ميسور لمن عنده مختار الصحاح الذي ثمنه قرشان مصريان ففيه في مادة (ج ر د) « الجريد الذي يجرد عنه الخوص الواحدة جريدة والجراد معروف وهو اسم الجنس الواحدة جرادة » والكرملي يقول ان عنده من كتب اللغة ما ليس عند سواه · فكيف يَغيب عنه استعمال اللغويين ·

٥ = الحُمر الخشباء

قال : وثانيها الخشباء فانها هنا منقولة الى الاسمية كما نقلوا الى الاسمية الخضراء والسمراء والزرقاء الى اشباهها ·

اجيب : جاء شاهدي عن معجم البلدان في مادة قرين هكذا قال ذو الرمة :

يردِفن خشباء القرين وقد بدا لهنّ الى ارض الستار زيالها

اي ركبن الحُمُر الخشباء وهي القطعة من الارض كانها جبل : اه فحمر صيغة جمع لحمار وقد جاءت خشباء صفة لها فاتى نعت الجمع بصيغة فعلاء .

فالشاهد جاء في الحمر الخشباء . والحمر موصوف والخشباء صفة .

فقال خشباء منقولة الى الاسمية كالخضراء اسم بيت والزرقاء اسم امرأة والحمراء اسم مدينة قلتُ الصفة التي نُقِلت الى الاسمية لاياتي موصوفها مقدماً عليها بل تستقل بالدلالة — وهنا جاءت خشباء صفة لحمر . فالادعاء بانتقال خشباء الى الاسمية يمنع مجيء الحمر موصوفاً . والحُمُر هنا الحجارة الخشنة جمع حمار كما سيجيء معنا في بحث حمارة بمعنى حجر كما في القاموس او بمعنى حجارة كما في الصحاح (انظر البحث الخامس من الفصل الثاني من هذه الرسالة) .

٦ = الشيعة الشنعاء

روى صاحب معجم البلدان في ذروة للصليحي :

وطالعت ذروة منهنّ عادية وانصاعت الشيعة الشنعاء شُرّادا[١]

وقلت جاءت شنعاء نعتاً لشيعة فما هذه الصيغة التي جاءت

---

(١) صاحب هذهِ الرسالة لايرضى مشاركة الشاعر في نبزهِ ملة الشيعة بتلك الصفة الذميمة فهو يعدها من كرام الناس وافاضل العرَب ولكنه اورد الشاهد كما جاء لانه لايستطيع ان يستشهد بهِ الا بنقله كما جاء .

صفتها على فعلاء وجاءت الحال منها على فُعَّال · اي احدى صيغ الجموع التي لانزاع في صحتها ·

فقال الكرملي « وثالثها الشيعة فهي مفردة كما هي جمع حسبما توجهَّ معناها ولذا توصف بالافراد كما توصف بالجمع ومثل ذلك ما جاء في سورة الشعراء « ان هؤلاء لشرذمة قليلون » فقد وصفها بالجمع لان مدلولها مجموع ويجوز لك ان تقول شرذمة قليلة لان لفظها مفرد مؤنث » ولي على قولهِ هذا ما يأتي :

١ = بناء فُعْلة او فِعلة كبناء فُعْل يصح ان يكون مفرداً او جمعاً هذا مفاد قول الكرملي · فشيعة كفُلْك مفرداً كالفلك المشحون وجمعاً كالفلك التي « قال الجوهري في مادة (ف ل ك) وكان سيبويه يقول الفلك هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد » اذن الشيعة هي جمع تكسير لِشيعة التي هي مفرد · وهذا ليس صحيحاً فان الشيعة التي هي جمع جاءت لشائع مثل صحبة لصاحب او لشاع مثل جيرة لجارٍ · فما ذهب اليه الكرملي لم يقله احد قبله ولا اتى بدليل عليه ·

٢ = أقرّ انها هي جمع كما هي مفرد · فاذا كانت اسم جنس فلا يقال شيعة وشيعي فاسم الجنس لا يأتي على بناء صيغة جمع وفِعلة من صيغ الجموع وشيعة وشيعي على مثال انصار وأنصاري وحَرَس وحرسي ·

٣ = اثبتُّ مجيءَ شيعة صيغة جمع لان تعريف الجمع مشتمل

عليها وجئتُ بنظائرها من كتب اللغة . وصيغة فُعْلة في الجموع لامشاحةً في صحتها قال الرضي في شرح الكافية (جزء ٢ ص ١٩٨) وعباديد وعبابيد ونسوة في جمع امرأة ينبغي ان يكون (كذا الورود في النسخة المطبوعة وهو من الغلط المطبعي والصحة تكون) من اسماء الجموع كابل وغنم .. ثم يقول «نحو نسوة مشهور في الجموع فوزنها اوجب ان تكون في الجموع» وشيعة وزان نسوة فهي من الاوزان المشهورة في صيغ الجموع . وقد زعم الاب الكرملي انها تجيء بناءً مفرداً ومعناها جمع فهي ليست مثل فُلْك وفُلُك . فكان عليه ان ينازعني في مجيء شيعة صيغة جمع ويبطل ماجئت بهِ لاثبات دعواي اولاً بعدم مجيء فُعْلة جمعاً لفاعل وفِعلة جمعاً لِفَعَل وثانياً تنظيري بصُحبة وجيرة فلماذا امتنع عن ذلك . فان امتناعه دليل عجز ليس الاَّ .

٤ — صيَغ الافراد نوعان احدهما وهو الاشهر والاكثر اصيل والآخر دخيل أتى عن الجمع . ومن ذلك ضُحى للمفرد عن ضُحى جمع ضُحية ودُجى للمفرد عن دُجى جمع دُجْية . ويقال زيد عصَبة الميت . عن عصَبة ج عاصب كَكَتَبة ج كاتب . وزيد جُنُب عن جُنُب ج جنيب كقُلُب ج قليب . واستقصاء هذا الباب يطول وليس هنا موضعه وشيعة من هذا النوع فزيد غرُب بمعنى غريب اللسان وغريب الوطن وغريب العادات وشيعة بمعنى شائع اي مشايع بقلبه ولسانه ومالِهِ ودمِهِ فالشيعة اصلاً ج واستعمالها للمفرد دخيل والدخيل ضعيف والاصيل قويّ . فاذا كان الاب انستاس يعد الشيعة ذات

اصالة في الافراد وجب عليه ان يقيم الدليل على اصالتها . والا كان انكارُهُ انها ج من المكابرة وليست المكابرة من مناهج التحقيق . ولماذا تهرَّب من اقامة الدليل على اصالتها مفرداً والامساك عن الدليل يُبقي للغموض ظلاً والمناظرة عمل يراد به ازالة الغموض فكيف يناظر لاعلان الحقيقة ويمسك عن الدليل رغبة منه في استبقاء الغموض .

٥ = اعترف صريحاً بان شيعة يعينها توجُّه معناها فاذا وجَّه معناها انها جمع فهي ج وقول الشاعر فانصاعت الشيعة الشنعاء شُرَّاداً وجه معناها انها ج فهي ج لان شرَّاداً صيغة ج لشارد جاءت حالاً وصاحبها الشيعة والحال تطابق صاحبها في الافراد والتثنية والجمع . فلا تأتي الحال صيغة ج وصاحبها مفردٌ فالشيعة اذن صيغة ج ولا تصح ان تكون اسم جنس لما تقدم بيانه ولا اسم ج لأَن اسماء الجموع لاتكون موائمة صيَغ الجموع لذلك عدَّ الاخفش جاملاً وركْباً من الجموع -- فاي انصاف وأيُّ ضمير حي للاب الكرملي اجازا له ان ينكر مجيء شيعة في شاهدي صيغة جمع .

٦ = نظَّر الاب الكرملي الشيعة بالشرذمة . وكأنهُ يجهل او يتجاهل ان بين هذين البنائين فوارق وحيثما وجد فارق واحد بطل التنظير -- واليك الفوارق .

١ً = يقال زيد شيعة وهند شيعة وهما شيعة وهم شيعة وهنَّ شيعة ولا يقال زيد شرذمة وهند شرذمة . ويقال زيد شيعي وهند شيعية

ولا يقال زيد شرذمي وهند شرذمية فشيعة تأتي للمفرد وشرذمة لا تأتي للمفرد .

٢ = شيعة كصحبة من ابنية الجموع . وشرذمة ليست من ابنية الجموع .

٣ = شيعة تقبل دخول ياء النسبة اليها وشرذمة لاتقبل دخول ياء النسبة عليها .

٤ = اذا كان في الشيعة والشرذمة الدلالة على الجميع فهذهِ الدلالة ايضاً في اسم الجنس افيكون اسم الجنس واسم الجمع والجمع طائفة واحدة . اذن في الانسان والقرد والسعدان الضحك افيكون الضحك دليل الوحدة النوعية . وفي المفعول المطلق والمفعول له الصيغة المصدرية افيكونان مفعولاً واحداً . وفي الفحم والمسك السواد افيكون الفحم مسكاً .

٥ = اذا كان في علم الاب انستاس ان الشيعة من صِيَغ الجموع والشرذمة من اسماء الجموع ورغب في اخفاء ما بينهما من الفوارق لكي لايسلم بصحة الشاهد فهذا من شأن المغالطين لا المناظرين . وان كان علمه قبلاً لم يصل الى ادراك تلك الفوارق فليزد هذه الحقيقة اللغوية الى ما سبق له ان يدركهُ من اسرار الاوزان التي يزعم انه اهتدى اليها من عهد بعيد وليأخذ هذهِ الفائدة مما جاء به التلميذ الصغير امين ظاهر خير الله .

٧ = القيعة البيضاء

جئتُ في ذيل الشاهد السابق الشيعة الشنعاء بشاهدٍ من نوعه هو قول الطاهر ابن ابي هالة من قوّاد الخليفة ابي بكر الصديق :

قتلناهُم ما بين قُنّة خامرٍ الى القيعة البيضاء ذات النبائثِ

فالقيعة جمع قاع كالنيرة ج نار والجيرة ج جار والفِتْية ج فتى فمجيء فِعلة جمعاً لِفَعَل وارد في الناقص والأجوف والمثال كوِلْدة ج وَلَد . وزعم ابو عبيد ان قيعة بناء مفرد . ولم يؤيد دعواه بدليل ولا اتى من نقل قوله بدليل وكل مُدَّعٍ لابينة معَه باطل . فمدّعى ابي عبيد باطل وعلى من يزعم ان لقوله صحة ان يأتي بالدليل .

وابو عبيد في قوله «قيعةٌ مفردٌ» يذهب مذهب التأوُّل . فان القيعة يعود اليها ضمير المؤنث الذي يشترك به المفرد المؤنث العاقل والمفرد المؤنث غير العاقل وضمير الجماعة للعاقلين وضمير الجماعة لغير العاقلين فتقول هند قامت والشمس طلعت والعلماء تكلمت والفواكه نضجت . فتأول ابو عبيد ضمير الجماعة لغير العاقلين في رجوعه الى قيعة ضمير المؤنث المفرد غير العاقل فعدَّ قيعة مفرداً . وهو منفرد بهذا القول فلم يقلْ سواه قولهُ . والتأول مرويٌّ عن ابي ع يد ودليل ذلك قول ابن فارس في الصاحبي (طبعة مصر سنة ١٩١٠ ص ١٦٦) «والذي نقولهُ في هذا الباب ان اباعبيد سلك فيما قاله من هذا مسلك التأوُّل ذاهباً الى من يقول بهذهِ المقالة ولم يجيءْ ما قاله عن العرب» .

فمرَّ الاب انستاس بهذا الشاهد ولم يولِهِ شيئاً من العناية .

٨ = كتيبة شهباء · فارسية خضراء سمهرية سمراء

جئتُ بهذهِ الشواهد وقلتُ التاء هنا للجمع لا للتأنيث ومجيءُ الجمع بالتاء ينطوي عليه تعريف الجمع لانهُ تغيير لفظي لبناء المفرد ويدل على اكثر من اثنين ومفرده يدلُّ على الواحد · وعلماء متن اللغة يسلمون بهذهِ الصيغة وينظمونها في عداد صيغ الجمع · فجاء للجوهري في صحاحه (في مادة ق ط ن) قطن بالمكان اقام بهِ وتوطّنه فهو قاطن والجمع قُطَّان وقاطنة وقطين» ونقل عنه ذلك صاحب القاموس واقرّه صاحب التاج · وفي معيار اللغة «وقاطنة وهي جمع قاطن ايضاً وهي قاطنة ج قواطن كفاصلة وفواصل» فابان ان قاطنة بتاء التأنيث تجمع على قواطن اما قاطنة صيغة ج فلا تُجمَع وهذا فارق بين التاءين يدلُّ على ان لكل منهما خاصة ليست للأُخرى

هذا بعض ماتذكرهُ كتب اللغة وما روي عن الفصحاء يؤيّده ففي مادة حماطة في معجم البلدان «خرجت غازية من بني قريم يريدون فهماً» وفي مادة (س ر ي) في اقوب الموارد «خرجت سارية من بني فلان حتى اوقعوا ببني فلان» فغازية وسارية بمثابة غازين وسارين · وقد جاء في ج رديني ردينية وفي ج سمهري سمهرية فالردينية والسمهرية سواء فجاء في شعر المتنبي قولهُ :

فتى كل يوم تحتوي نفس مالهِ   رماح المعالي لا الردينيَّة السمرُ

وقوله :

وبساتينك الجياد ماتحـ   ـملُ من سمهرية سمراء

فقال الكرملي في ردّ هذه الأدِلَّة « هذهِ الفاظ كلها وامثالها مفردة كما يجوز لك ان تقول مجموعة اذا نظرت الى معناها فهي كقولك شرذمة قليلون او شرذمة قليلة » .

اقول نظر سمهرية بشرذمة والفوارق متعددة اولها ان التاء في السمهرية تسقط فيكون السمهري مفرداً والتاء في شرذمة لاتسقط والثاني ان سمهرية تحتمل تاء التأنيث للافراد وتاء الجمع فصعَدة سمهرية للمفرد وصِعاد سمهرية للجمع فحينما دلت سمهرية على الواحد نجد شرذمة ولو اكدتها بواحدة تدل على التعدُّد . والثالث : تقول شرذمة قليلين وقلائل وقلالاً وقليلة ولا تقول « سمهرية قليلين » لان النعت بالواو والنون اوبالياء والنون للعاقل وليست السمهرية مما يُطلَق على العاقل فمع هذهِ الفوارق لايصح تنظير ويقال ثوب شراذم في نعت المفرد بالجمع فهل جاء مثل هذا في سمهرية فقيل رمح سماهر .

اما ان شرذمة تضمنت معنى الجمع كما تضمنت سمهرية معنى الجمع فهذا الاتفاق في العرض العام لا يجعل بين الكلمتين وحدة نوعية فكل المفاعيل تتعلق بالفعل و كلٌّ منها مستقلٌّ عن الآخر . والتنظير الباطل دليل جهل اسرار الاوزان التي يزعم الاب انستاس انه ظفر بها ووضع مؤلفاً تضمن احكامها الدقيقة .

٩ = الفيلق الشهباء

إبل ونعَم وفيلق وجحفل وامثالها ذات دلالة على متعدد وليس من موادها ابنية تدل على المفرد ولذلك تدعى اسماء جموع . فجئتُ

بفيلق احد احرف هذه الطائفة منعوتاً بشهباء وقلتُ هذا النعت لمعناهُ لان كل جمع موءنث فرد الاب انستاس هذا الشاهد بقوله: «اسم الجمع ولا مشاحة في انه يوصف بالافراد كما يوصف بالجمع ومنه الآية في سورة الموءمنين «فتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون» فيجوز لك ان تقول على رأي النحاة «وكل حزب بما لديه فرح» على التقدير الذي تريده».

اجيب اولاً اذا كان يوصف بالافراد في موضع وبالجمع في موضع آخر فلا بُدَّ من تعدُّد في المعنى نشأ عنه التعدد في المبنى. فاذ يذكر هذا التعدُّد اسأله ان يوضح السرَّ الذي استلزمهُ. فاذا قال ان الافراد جاء عن ان لفظه مفرد فهو مذكر فنُعِت بالمفرد المذكر وان معناه ج والجمع فرع عن الافراد ونعت بالموءنث ليكون للافراد الاصيل النعت الاصيل وللجمع المتفرع عن الاصل النعت الموءنث المتفرّع عن المذكر. ويكون تأنيث صفة اسم الجمع دليلاً على ان التأنيث عرض عام في الجمع واسم الجمع واسم الجنس. فهذا القول لي عليه لا له عليَّ.

ثانياً — ماجاء في القرآن الشريف هو اللغة الفصحى وما جاء في كلام النحاة هو القول الجائز وليس الجائز في منزلة الفصيح فكل حزب بما لديهم فرحون اصحُّ وضعاً من كل حزب بما لديهم فرح ومن استطاع ان يجيء بالافصح اولى به ان يختاره. والكرملي يساوي بينهما وهذا لايصحُّ. وقد جاء حزب فرحون فاين جاء فيلق

ظافرون ليتساوى حزب وفيلق في التنظير ٠

ثالثاً : القول مختلف في ما يعدُّ اسم ج فلعلماء التصريف قولٌ ولعلماء اللغة قول آخر : فالرضيُّ في شرح الكافية زعم رَكْباً ورَهطاً ونفراً ليست جموعاً (شرح الكافية طبعة الاستانة جزء ٢ ص ٢) وفي شرح الشافية عدّ رُباباً وقوماً ورهطاً ونفراً ليست جموعاً (شرح الشافية طبعة در سعادت ص ١٥٩) وقال هي اسماء جموع وجاء في معجم البستان للبستاني في مادة (ح ج ج) « ان ابن مالك في كتابه التسهيل قال ان حجيجاً اسم ج لا جمع » واما اللغويون فانهم يوردونها في الجموع التي لانزاع في صحتها والدليل ما جاء للجوهري اوثق اصحاب المعاجم فهو يورد في (ص ح ب) « وجمع الصاحب صَحب مثل راكب ورَكْب » وفي مادة (ب ع د) « والبَعَد بالتحريك ج باعد مثل خادم وخدَم » وفي مادة (ق ط ن) وقاطن والجمع قُطَّان وقاطنة وقطين مثل غازٍ وغزِيّ وعازب وعَزِيب وفي مادة (ر ب ب) « والرُّبى على فُعلى الشاة التي وضعت حديثاً وجمعها رُباب » وفي معيار اللغة في مادة (ر ع ي) الراعي جمعه الرُّعاة كالرامي والرماة ورُعيان كراكب وركبان ورعاء بالكسر كنائم ونِيام ويُضَمُّ (اي رُعاء) فما جاء في قول ابن مالك والرضي من اسماء الجموع هو في قول اصحاب المعاجم من صيَغ الجموع ٠

وجاء في حاشية ابن جماعة على الچاربردي شارح الشافية (طبعة دار الطباعة العامرة سنة ١٣١٠ ص ٩٣) « واما اسم الجمع فالفرق بينهُ

وبين الجمع ان الجمع موضوعٌ للآحاد المجتمعة دالٌّ عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف كمساجد وابابيل واسم الجمع موضوع لها دلالة المفرد على جملة اجزاء مسماه كقوم ورهط» ومن تأمل هذا التعليل يتضح له بطلانهُ فان قوماً يدل على قائم فقائم كما دلّت مساجد على مسجد فمسجد . وأمَّا اسم الجمع فما دَلَّ على متعدد اثر متعدد كنعم ونعم وإبل وإبل وفيلق وفيلق .

والمذهب الصحيح مذهب اللغويين لا الصرفيين وذلك لان الأُسُس التي بنى الصرفيون عليها مذهبهم ابطلها التحقيق . فانهم عدُّوا الجموع فئتين فئة ج القلَّة وفئة ج الكثرة . وقالوا ان جمع القلَّة لما دلَّ على العدد القليل وجمع الكثرة لما دل على العدد الكثير . وان رَكْبًا لو كان جمعًا لما جاز تصغيرُهُ على ركيب وقد جاء في تصغيرهِ ركيب واستشهد الرضي بهذا المجيء بقول الشاعر «أخشى رُكيبا او رجيلاً غاديا» (شرح الشافية ص ١٦٦) وانه يُنعَت بالمفرد المذكر كقول الشاعر «مع الصبح ركب من احاظة مُجفِلُ» .

أمَّا دلالة فعل على الكثرة والقلة معًا فامر محقق فدليل القلة ان رَكبًا تُطلَق على ثلاثة رجال ودليل الكثرة قول الشاعر :

الى ان لقينا القومَ بكر ابن وائل ثمانين الفًا دارعين وحُسَّرا

وتصغير رَكْب على ركيب كتصغير اصحاب على اصيحاب .

وعودة الضمير المفرد المذكر الى ركب كعودة ذلك الضمير الى جيران في قول الشاعر «واذ نحن جيران لهم متلابسُ» وكما لم يحل

التصغير في أَصحاب والتذكير في جيران دون عدهما من صيَغ الجموع لايمنع التصغير والافراد في ركب عدَّها في صيَغ الجموع ·

وحِزْب من صيغة فِعل كَفَعْل صيغة جمع لا اسم جمع فان فِعلاً من صيَغ الجموع وهذه ادلَّة هذا القول :

الاول = جاء في تاج العروس (في مادة ص ح ب) «وهم أصحاب وأَصاحيب وصُحبان وصِحاب وصَحابة بالفتح وصِحابة (بالكسر) وصحب حكاها جمعاً الاخفش واكثر الناس على الكسر (اي صِحب) دون الهاء وعلى الفتح معها (اي صَحبة) وعلى الكسر معها (اي صِحبة) عن الفراء خاصة · فهذا النصُّ يثبت مجيء صِحب كحِزب صيغة جمع

الثاني = جاء في القاموس (في مادة و ل د) الوَلَد محركة وبالضم (وُلْد) وبالكسر (وِلْد) والفتح (وَلْد) واحد وجمع فاتى بوِلْد صيغة جمع ·

الثالث = جاء في معيار اللغة (في مادة و ل د) الوَلَد كسبب وفَلْس وقُفل وجِسم واحد وجمع اي وِلْد كجسم فأتى بفِعل صيغة جمع ·

الرابع = في التاج عبارة القاموس مضافاً اليها «قال ابن سيده وهو يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى» اي يقال في جمع والد ووالدة وِلْد ·

الخامس = في البستان للبستاني (في مادة و ل د) «قال اللسان شاة والدة ووَلُود بينة الولاد ووالِد والجمع وِلْد بكسر فسكون» فالبستان يروي هذه الصيغة عن اللسان لا من مطالعة خاصة ·

السادس = في الصحاح (في مادة و ل د) « الوُلْد ج وَلَد مثل أُسْد وأَسَد والوِلد بالكسر لغة في الوُلْد » فالجوهري يعد وِلداً ج وَلَد بينما سواه يعدُّ وِلداً ج والد ·

فاتفقت اصحاب المعاجم على مجيء فِعل صيغة جمع والاختلاف في مفردها لا في صحتها ·

هذهِ نصوص اصحاب المعاجم · واقوال الفصحاء تحقق قولهم واليك الشواهد :

الاول قال عمرو الخزاعي (السيرة النبوية الجزء ٣ ص ٢٢٧ طبعة مصر سنة ١٣٢٩) ·

قد كنتمُ وِلداً وكُنَّا وَلَدا ثمتَ اسلمنـا فلم ننزع يدا

الثاني مجيء إلف كحِزب صيغة جمـع قال المسيب ابن علس (حماسة الوليد) ·

وهل يقعد الإِلف لا يغضبو ن كلُّهم أنفـهُ يُضْرَبُ

وقال كثير عزَّة (حراضة في معجم البلدان)

كما هاج إلف سانحاتٌ عشية له وهو مصفود اليدَين مقيَّدُ

الثالث : جاءَت سِرب صيغة جمع أنشد الاصمعي (مريد في معجم البلدان) ·

ابيت بأبواب القوافي كأنَّما اصيد بها سِرباً من الوحش نُزَّعا

وقال هدبة ابن الخشرم (زقاق ابن واقف في معجم البلدان) ·

فلم ترَ عيني مثل سِرب رأيتهُ خرجن علينا من زقاق ابن واقفِ

اذن حِزْب ووِلْد وإلف وسِرْب صِيَغ عاد اليها ضمير الجمع للمذكر العاقل وللمؤنث العاقل فهي صِيَغ جموع لا صيغ افراد .

وهنا للمعترض اعتراضات هي : ١ – علامَ لم يأتِ لحِزب مفرد ؟ ٢ – ومن ذهب هذا المذهب . ٣ – وكيف جاز نعت حزب بفَرِح .

وها اناذا اجيب عليها :

١ – ما ذا يكون مفرد حِزب = يصحُّ أن يكون حازبًا مثل سِرْب وسارب ، وإلف وآلف ، وولد ووالد . والمعاجم ذكرت والدًا وتركت ساربًا وآلفًا ولكن القياس يقبلها ولا غنى عن القياس لان المعاجم لم تورد جميع ما جاء فصيحًا صحيحًا وفي سبيل اثبات هذا القصور أنشأتُ كتابي الرأي الحاسم ففيه مئات من الشواهد لتأييد هذه الدعوى ولا غنى عن ايراد شاهد واحدٍ ليطمئن القاريء الى صحة هذه الدعوى فأقول :

تاج وباب من طائفة واحدة لفظًا ومعنًى فباب اسم آلة على وزن فَعَل اصلها بَوَب . وتاج اسم آلة على فعَل أصلها تَوَج فحق لهما أن يتساويا في صيَغ الجموع وأصحاب المعاجم كلها ذكرت جمع بابٍ على أبواب وبيبان وأبوبة وذكرت لتاج تيجانًا واقتصرت عليه . على ان الصرفيين ذكروا اتواجًا لتاج ففي حاشية الرضي على الشافية (طبعة دار السعادة ص١٣٥) « اعلم ان ما كان على فعَلٍ فانك تقول في قلته افعال في الاجوف أو في غيرهِ نحو أجبال وأتواج وأقواع وأنياب » فجاء بأتواج جمع تاج وقال جحدر (في حياة الحيوان للدميري جزء ٢ص٢٦٦)

ايقنتَ اني ذو حفاظ ماجد من نسل املاك ذوي اتواجِ

وقال الرضي في شرح الكافية (جزء ٢ ص ١٩٨) ان مثل عباديد وعبابيد وان لم يرد له مفرد يقدَّر له واحد كعباد وعبدود ، ثانياً يصح أن يكون حزيباً مثل ضديد وضدٍ وسيأتي الكلام عنه وهـذا القول هنا للتذكير بأنه سيرد .

٢ — من قال بمجيءِ حزْب صيغة جمع . اجيب ان مجيءُ حرفٍ من طائفة صيغة جمع يعمُّ كل طائفتها لان الطائفة الواحدة لها حكم واحـد وقد ثبت مجيءُ وِلد جمعاً لحِزب وهي من طائفتها صيغة جمع . فالمعاجم لم يرد فيها غصن صيغة جمع وجاء فلك صيغة جمع . ولكن امية ابن أبي الصلت (ديوانه ص ٢٠ طبعة بيروت) اورد :

كبكا الحمام على فرو ع الايك في الغصن النوافح

والصفة جمعاً للموصوف جمعاً فغصن صيغة جمع وان لم توردها المعاجم صيغة جمع . وان قيل غصن اسم جنس فيفرد ويجمع قلت وفلك اسم جنس فكيف جاءَ في فُلْك فلك جمعاً .

٣ = كيف جاز نعت حزب بفرح : اولاً جاءَ في الفصيح حزب فرحون وفي المحمول على الفصيح حزب فرح والدخيل ليس له شأن الاصيل لحزب فرِحون اصل وحِزْبٌ فرح فرع مثل قوم مسالمين اصل وقوم مسالم فرع

ثانياً — في تعليل نعت الجمع بصيغة الإفراد مذهبان الأوَّل ان كل جمع بني على صورة الواحد صاغ فيه توهُّم الواحد وهذا

الرأي اورده الجوهري في مادة (خ ل ف) في روايته قول الحطيئة :

لِزُغب كاولاد القطارات خلفها على عاجزات النهض حمرٍ حواصلهْ

قال الكسائي (في تعليل صحة قول الحطيئة) اراد حواصل ما ذكرنا وقال الفرّاء الهاء ترجع الى الزغب دون العاجزات التي فيه علامة الجمع لأن كل جمع بني على صورة الواحد صاغ فيه توهُّم الواحد كقول الشاعر مثل الفراخ نُتِفت حواصله «لان الفراخ ليس فيه علامة الجمع وهو على صورة الواحد كالكِتاب والحجاب» .

والثاني انه عدَّ مجموع ذلك الجمع كقبيل واحدٍ فاعاد اليه ضمير المفرد وهذا ما ذهب اليه صاحب اللسان في «واطراف بنانٍ معنماً» وسيأتي الكلام عنه في موضعِه .

ولاقامة البينة على صحة ما ذكرتُ اجئ بالشواهد الآتية :

الاول – أفيل جمعه إفال كطويل ج طوال وفصيح ج فِصاح فإفال صيغة جمع لانزاع في صحتها . وقد جاء في معلَّقة زهير «مغانم شتّى من إفالٍ مزنّمِ» وكان في وسعِهِ ان يقول من افيل ولكنَّ في إفال معنى للكثرة ليس في افيل وإفال على صورة بِساط وإكاف فعدَّ زهير كل إفال على حدة قبيلاً واحداً ولذلك يقال إفالان كما يُقال جِمالان (جمع جمل على جمال) قال عمرو ابن العداء الكلبي (١)خزانة الادب للبغدادي جزء ٣ : ٣٨٧) .

(١) اي موضع الشاهد ص ٣٨٧ من الجزء ٣ من خزانة الادب للشيخ عبد القادر البغدادي .

سعى عِقالاً فلم يترك لنا سَبَداً فكيف لو قد سعى عمرو عِقالَينِ

لاصبح الحيُّ اوباداً ولم يجدوا عند التفرُّق في الهيجا جِمالَينِ

وجمع إفال حينئذٍ على افائل كجِمال وجمائل وصِحاح وصحائح وكل ذلك من الحمل على شِمال وشمائل ·

الثاني : خَشَب جمعه خُشُب مثل أَسَد وأُسْد ووَثَن ووُثْن ووَلَد ووُلْد · فخُشْب صيغة جمع لانزاع في صحتها وقد جاء في شعر مالك ابن نويرة (مخفف في معجم البلدان) ·

فأقررتُ عيني يوم ظلُّوا كأنهم ببطن الغبيط خُشْبُ أَثْلٍ مُسَنَّدُ

فان خشباً على صورة قُفْل وعُشّ وخُفّ ونُصْف ·

الثالث : جيران ج جار مثل سِيقان ج ساق وبيبان ج باب ووِلدان جمع وَلَد · وفي شعر حضرمي ابن عامر الاسدي (الانيعم في معجم البلدان) :

ليالي اذ قلبي بمَيَّة مُوزَع واذ نحن جيران لها متلابِسُ

وجيران كإيمان وسِفيان وميزان ومحسان ·

الرابع : أنعام جمع نَعَم وأفعال ج فَعَل كثير في الصحيح كقَلَم وأقلام والمهموز كأمَل وامال وأثر وآثار ونبأ وانباء والأجوَف كباب وابواب والناقص كهوى واهواء · وفي القرآن الكريم رجوع ضمير المفرد المذكر اليه قال الجوهري في صحاحهِ والأنعام تذكر وتؤنث قال الله تعالى في موضع مما في بطونه وفي موضع آخر مما في بطونها · وجاء في شعر رؤبة فيما رواه اللسان « واطراف

بنان معنما » وذلك لان بناء انعام على صورة بناء قَسْطاس وبَلْبال وهَيهاب وصرَّاف .

الخامس : وَرَدَ في جمع نائحة نَوحٌ ونُوح والأَصل في الصيغتين التذكير ومن شواهد الفتح للعاقل راكب ورَكْب ولغير العاقل سارح وسَرح وطائر وطَير . ومن شواهد الضم تاجِر وتُجْر وجاهل وجُهل .وقدجاء لعنتره (مادة اقرن في مفجم العمران ذيل معجم البلدان) .

وقد كُنتُ اخشى ان اموت ولم تقم   مراتب عمرو بين نوحٍ مسلَّبِ

ونَوح على صورة لَوْن وصَوْت ونُوح على صورة حُوْت ونُون .

وأقاحٍ جمع أُقْحوان قال الجوهري « الاقحوان يُجمَع على اقاحيّ بحذف الالف والنون وان شئت قلت اقاحٍ بلا تشديد » وقولهُ هذا وارد في القاموس ومعيار اللغة . وفي ديوان نابغة بني شيبان (طبعة مصر سنة ١٩٣٢) قولهُ :

وتبسمُ عن غُرٍّ رِواءٍ كأَنها   أَقاحٍ بريَّانٍ من الروض مُشْرقُ

واقاحٍ إمَّا ان الشاعر عاد بها الى اصلها اقاحيّ فهي على صورة سراويل وشراحيل واما لم يعد بها الى اصلها وجعلها على صورة سُرادق ولم يعدَّ الاختلاف في الحركة فارقاً بدليل ان الرضي جاء بنِسوة جمعاً لنِساء (بكسر النون) كغِلمة جمعاً لغُلام بضم الغين . وفي الصحاح « الصلائق خبز رقاق » وصلائق هنا من باب العَلَم اي من اسماء الاجناس كأَرجام (ج رَجَم) اسم جبَل . وأُرَينبات . وأَضبُع (جمع ضبع) وأَعابل مواضع والأَصل ج صليقة فلما صار علماً جاز

عدّهُ مفرداً وتُحمل أَقاحٍ عليه . ومن هذا الباب الشقائق للمفرد وجاء له ايضاً (ص ٥٦) .

رائعات واضحاتٍ كالأَقاحيّ المُنيرِ

فنعت الاقاحي بالمنيرِ لانه نَظَّر الاقاحي بسراويل وشراحيل .

٤ = الاحتجاج بان فِعلاً يقبل قياس اللغة ان تكون صيغة جمع .

اولاً من المعلوم ان بناء الجمع يجب ان يكون اثقل من بناء المفرد لان دلالته اوسع . وقد جاء فِعْل بناء جمع والكسرة اثقل من الفتحة ففِعل احق من فَعل بان يكون بناءً للجمع .

ثانياً – ان المصادر والجموع فئتان تواردتا في اللفظ على بناء واحدٍ وتغايرتا في المعاني فازاء كل بناء مصدر صيغة جمع وهذهِ كلمة للدلالة على صحة هذهِ الدقيقة .

قام يقوم والمصدر قوم	قائم	والجمع	قَوْم
قام يقوم والمصدر قيام	قائم	والجمع	قيام
وقف يقف والمصدر وقوف	واقف	والجمع	وقوف

فاعلة اسم مصدر جاء في الصحاح «عقب فلان مكان ابيه عاقبة اي خلفه وهو اسم جاء بمعنى المصدر كقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقال شارح الشافية اعلم ان مجيء المصدر على وزن فاعلة اقل من مجيئهِ على وزن مفعول (كالمعقول والمحلوف) كالعافية نحو عافاه الله عافية وكالباقية كقوله تعالى فهل ترى لهم من باقية اي بقاء» وجمع فاعل على فاعلة كقاطنة وسابلة ومارّة وغازية .

صحَب يصحب والمصدر صُحبة وصحَابة وصِحابة · الصاحب والجمع صُحْبة وصَحابة وصِحابة ·

فطن والمصدر فطْن وفطُن · الفاطن والجمع فُطْن وفُطُن ·

حلف والمصدر محلوفاء · وهذا المصدر لايجيءُ ازاءه الا في جموع الحيوان كبغولاء في بغل · ومحموراء في حمار وجاء مشيوخاء في شيخ

ثطِي بمعنى حمق والمصدر ثَطاً · الثطي وجمعه ثَطأ ·

فاذن لاعجب ان يجيء الحِزب جمعاً لان فِعلاً جاء مصدراً كالعِلم والحِلم بل مجيء حِزب جمعاً مما يزيد حلقة في توافق المصادر والجموع ·

وما اغرب دعوى الاب انستاس انه وقف على دقائق مباني اللغة العربية ودعاها اسرار الميزان ويغيب عنهُ ان فِعلاً ترد صيغة جمع لفاعل (ولفعيل كما سيجيء) وهذا السر من اوضح اسرار الاوزان فدعواهُ تنقضها البيّنة ·

وان كان يظل على دعواهُ هذه اسأله اقامة الدليل على الفرق بين فُعْل وفَعْل وفِعْل فعلامَ جاء في وُلْد وَلْد ووِلْد في جموع والد · وفي صَحْب صِحْب في جموع صاحب وجاء رَكْب ولم يرد رُكْب ولا رِكْب في ج راكب · فما هي الخاصة التي لكل بناء على حدته وما هو العرض العام فيها كلها ·

رابعاً — اسم الجمع طوائف لاطائفة واحدة — واليك الدليل على ذلك :

الطائفة الاولى الإِبِل وصنوانها « قال الجوهري في صحاحِهِ » الابل

لا واحد لها من لفظها وهي موءنثة لان اسماء الجموع لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم » ومن هذه الطائفة — خيل ففي المصباح « الخيل معروفة وهي موءنثة ولا واحد لها من لفظها » ولكن القاموس قال « الخيل جماعة الافراس لا واحد له او واحده خائل [1] » فقال صاحب التاج قاله ابو عبيدة والعِير بمعنى القافلة ٠

الطائفة الثانية الفيلق وصنوانها — فهي تقبل التذكير والتأنيث ٠ فيقال فيلق لَجِب وفيلق شهباء — واختُلِف في نعم ففي المصباح « النَعَم المال الراعي وهو ج لا واحد لَهُ واكثر مايقع على الابل قال ابو عبيد النعم الجمال فقط ويوءنث ويذكر » وفي الصحاح « النَعَم واحد الانعام وهي المال الراعية واكثر مايقع هذا الاسم على الابل قال الفرّاء هو ذكر لايوءنث » ٠

الطائفة الثالثة الجحفل وصنوانه فقد جاء في هذهِ الطائفة التذكير قال الحُطَيئة (في مادة جحفل في التاج) :

وجحفل كبهيم الليل منتجع ارض العدوّ ببوءس بعد إنعامِ

ولا يمتنع التأنيث على المعنى ولكنه في حاجة الى شاهد — ولم اظفر بشاهد فمن يلزم السماع لايسلّم بتأنيثه بغير شاهد ومن يقول « القياس واجب الاتباع » يسلم بتأنيثه ٠

فاذا كان الكرملي يعدُّ حزباً من طائفة فيلق اسأله ان يأتي بشاهدٍ ينصُّ على مجيء « حزب غلباء » كما جاء فيلق شهباء ٠ وإلاَّ

---

(١) التزام التأنيث في خيل مع القول انها جمع قائل على ان كل جمع مؤنث ٠

فان التنظير بين فيلق وحزب لايصحُّ كما تقدم بيان ذلك بتفصيل ·

١٠ = فَعْلاءُ صيغة جمع

قلتُ : واما فعلاءُ صيغة جمع فمماً ورد كثيراً وفي ترجمة الاحنف التميمي المشهور بالحلم (اوردها ابن عساكر في الجزء السابع من كتابه والشاهد في ص ١٥) ان زياد ابن ابيه قال لهُ « هذه الحمراء قد كثرت بين أظهُر المسلمين وكثر عددهم » فذكرت كذا بعد عددهم لتعيين موضع الشاهد اي كذا ما قاله (وهو كما اقول) فاعاد الى حمراء ضمير جمع المذكر العاقل · فماذا يقال في حمراء امفردٌ هو (اي هذا الحرف) اذن لايعود اليه ضمير الجمع المذكر للعاقل · أاسم جنس كشعير وتميم اذن وجب ان تجيء حمراءة او حمرائي · كما يقال شعيرة وتميمي وعدم المجيء مفسد للتنظير · أاسم جمع كنعم وفيلق اذن يجب ان يجيء في كلامهم حمراء مرتحل كما جاء نَعَم سارح وفيلق لجب ولم يجيء وان قيل هو كشرذمة · قلتُ الجمع يتميز عن اسم الجمع بأَن له من لفظه مفرد وانه يدل على متعدد وان بناءهُ يوافق ابنية صيغ الجمع · وحمراء له من لفظه بناءٌ يدل على المفرد · وهو في بنائه يدلُّ على متعدد ويوافق صِيَغ الجمع بدليل جمع شجرة على شجراء وثمرة على ثمراء · وشرذمة وفيلق وإبل ونعم وغنم وجحفل ليس لها من ابنيتها ابنية تدلُّ على المفرد وانما هي بلفظها تدل على المفرد وبمعناها تدل على الجموع وحمراء تدلُّ بلفظها ومعناها على الجموع ·

وان قيل ان الحمراء ليست صيغة جمع لأن مؤنث احمر يشار كها

في البناء قلتُ اذا شارك المفرد المؤنث جمع قسيمهِ المذكر في اللفظ فهنالك بناءان لا بناء واحد — فمؤنث سكران سكرى وجمع سكران سكرى وقاطنة صيغة جمع لقاطن وقاطنة مؤنث قاطن . ومجلّحة صفة لذِئبة مجلّحة وقد جاءت في شعر امرئ القيس صيغة جمع للذئاب قال:

عصافير وذِبَّانٌ ودودٌ وأَجرأُ من مجلحة الذِئابِ

والاصل من الذئابِ المجلحة ولا مطعن في سكرى صيغة جمع فلا مطعن في حمراء صيغة جمع .

فاعترض الاب انستاس هكذا « كل فعلاء واردة لمجموع فانت مخير ان تنعت صفته بالافراد او بالجمع ومنه ماجاء في ترجمة الاحنف التميمي وهي العبارة التي استشهد بها الاديب امين فقد نقلها بهذه الصورة » هذه الحمراء قد كثرت بين اظهر المسلمين و كثر عددهم «اي عدد الحمراء وهي لفظة بصيغة الافراد لكنها تعتبر جمعاً في المعنى ومفرداً في اللفظ ولهذا نقول كثر عددهم و كثر عددها كما نشاء والظاهر ان ابن ظاهر لم يفهم هذه الحقيقة فكتب بعد عددهم كلمة كذا كأن ذلك غلط وليس هناك زلل» اه .

أجيب : اولاً — تقدمت الدعوى مني بان حمراء صيغة جمع لا اسم جنس ولا اسم جمع فكان للكرملي اما التسليم بماذكرته واما التخطئة صراحة لاضمناً فقوله « كل فعلاء واردة لمجموع » لم يعيِّن مصدر الورود والمناظر المنصف يجابه مناظره بالحقيقــة فيقرُّ له بالصحة حيث للصحة

دليل او وجه ويخالفه حيث لا وجه للصحة · امــا أن يروغ كما راغ الكرملي هنا فشأن المجادل لا شأن المناظر · والمجادلة في الحقائق العلمية ذميمة لا منقبة جميلة فيعزُ عليَّ أن يكون الكرملي قد ذهب اليها ·

ثانياً – ما يدلُّ على مجموع له ثلاثة مصادر : الجمع واسم الجمع واسم الجنس ، وقد أتيت بالبينة على أن حمراء ليست اسم جمع ولا اسم جنس فهي صيغة جمع – وهذا المنهج وارد في مناهج علماء اللغة وعلماء الميراث فمن يقول الكلمة اسم أو فعل أوحرف : وضَرَب في ضَرَب فعل ماضٍ ليس فعلاً لان الفعل يتضمن الحدث والزمن ولا يتضمن ضَرَب هنا الزمن ولا حَرْفاً لان الحرف يدل على معنى في غيرِهِ وضرب هنا يدل على معنى في نفسِهِ · اذن ضَرَب هنا اسم · ومن يقول ادعى زيد وعمرو وبكر ارث خالدٍ فظهر ان زيداً وعمراً ليسا من عصبة خالد واما بكر فلم يظهر انه ليس من عصبة خالد اذن هو عصبة خالد ·

ثالثاً امام الكرملي ان يقول ان الجمع يُنقَل الى الافراد · وان الافراد ينقل الى الجمع فمثال نقل الجمع الى الافراد أن يقال زيد عَصَبة الميت · وعصبة جمع عاصب ُقلتُ ان البناء الدخيـل لا عبرة به ازاء البناء الاصيل فعَصَبة جمع وبحثه في فصل الجموع وهو ما يصح وانمـا جاء عصبة بمعنى عاصب لأنه قام مقام الجماعة في احراز جميع المال كما قرر ذلك المصباح فهذا المعنى خيل لا عبرة به ازاء الاصيل · ومثـال نقل الافراد الى الجمع ما جاء في نقل عَدُوٍّ وضِدٍّ · قلتُ أمـا عَدُوٌّ بلفظ الواحد للمذكر والمؤنث والمفرد والمجموع فقدنقل من الوصفية الى العلمية

اي الى عَلَم الجنس فالعدوُّ اسم جنس يُطلَق على المفرد والمجموع ومما يجعله من اسماء الاجناس ان ليس له من بنائه مفرد وانه يدل في وقت واحد على المفرد وعلى المجموع · فلا يقاس حمراءُ بعدوٍّ لان حمراءَ له مفردٌ من بنائه وهو احمر · ولأن عدوًّا تدخل عليه تاء التأنيث فيقال عَدُوَّة ولا تدخل هذه التاء على حمراء فلا يقال حمراءة

واما ضُدٌّ فهذا حرف من طائفة اخرى ولي في تخريجه وجهان :

الاول : ان ضَدَّ أتى بمعنى ملأ ففي معيار اللغة ضدَّ القربة ملأها واسم الفاعل ضادٌّ وهو كوالد والجمع ضِد كولد · فقول القائل زيد ضِدّي معناه زيد مالئي وقوله ضِدّي لا ضادي لأنه يملأ نفسَهُ غيظًا وخلقه ضيقًا وفكره اضطرابًا وقد تقدّم معنا أنه متى تعدد الشيء جاء الجمع بدلاً من المفرد كزيد جُنُب اي جنيب في نسبهِ واخلاقهِ وعاداتهِ اما المحذوف فالقرينة عليه الاستعمال او العرف ، وتقديرُهُ غيظًا او حنقًا او عدوانًا ومثالُهُ قول جرير (ديوانه طبع مصر سنة ١٣١٣ ص ١٥٣ سطر ١٣) ·

« لقد شهدت تيم على ام جخدب » والقرينة تعيّن على ماذا كانت الشهادة ·

وكقول المتنبي :

وفي اليمين على ما انت واعدُهُ   مادلَّ انك في الميعاد متّهمُ

اي متهم بالخلف او بالكذب · فضدّ اصلاً صيغة جمع نقِلت الى المفرد مثل الرَّصَد فهي اصلاً للجمع ثم نقلت للمفرد ولذلك قال

صاحب التاج : الضِدُّ يكون واحداً او جماعة مثل الرَّصَد والارصاد والرصد يكون للجماعة اي رصد جمع راصد كفَرَط جمع فارط – فضِدٌّ من طائفة حِزب وسِرب وإلف ·

والثاني : ان ضديداً جاءَت بمعنى مضاد كنصير بمعنى مناصر وصديق بمعنى مصادق وخدين بمعنى مخادن · وحليف بمعنى محالف والجمع على بناء فُعْل كفطين وفُطْن ثم دخلت الضمة على الكسرة كدخولها في خِيول وجِثي والأصل خُيول وجُثي · وهذهِ الكسرة الداخلة على الضمة جاءَت من باب مقابلة الضمة الداخلة على الكسرة في رُعاء جمع راعٍ وظُماء جمع ظامئٍ والاصل رِعاء وظِماء · وربما جاء الذهول عن حقيقة هذا الدخول فان اصحاب المعاجم جاءت بإخوة بالكسر في جمع أَخٍ (أصلها أخو) كفتية في جمع فتىً وإلدة في جمع وَلَد وجاءت بأُخوة بالضم قال صاحب التاج انها رواية عن الفرَّاء وان سيبويه قال : أُخوة اسم جمع وليس بجمع لأن فَعَلاً ليس مما يُجمَع على فُعْلة فلو قاس دخول الضمة على أُخوة بدخول الكسرة على خِيول لوجدهما سِيَّين – وهل يصح ان تقول خِيول اسم جمع لانه لم يُجمَع فَعْل على فِعُول ·

ولضِدٍّ نظائر منها عِلو ففي الصحاح علو بالضم وبالكسر في قول الشاعر :

انّي اتتني لسان لا أُسَرُّ بها من علو لا عَجَبٌ منها ولا سخرُ

وهي جمع عالٍ وفي القاموس · هو من عِلْيَة القوم وعِليهم اي من

جِلّتهم فعليٌّ يجمع على عِلْيَة كصبي وصبية وعلى عُلْي كظعين وظُعُن وقد دخلت الكسرة على الضمة للتخفيف .

رابعاً — اذا ذهب الى نقل حمراء من المفرد الى الجمع كنقل عدُوٍّ فالتنظير غير صحيح لان عدوًّا صيغة مفرد مذكر نقلت لى اسم جنس فالتذكير فيها أصيل وهو يحتمل التأنيث وحمراء المفردة مؤنثة فالتأنيث فيها اصيل والتذكير غير وارد عن التأنيث فبين النظيرين فارق ولا يصح تنظير مع الفارق .

خامساً — قول الكرمليّ ماجاء في ترجمة الاحنف : يؤذن ان الكلام اتى لمن وضع تلك الترجمة وصحة التعبير ان يقول ماجاء لزياد في ترجمة الاحنف .

سادساً — قول الكرملي « والظاهر ان ابن ظاهر لم يفهم هذه الحقيقة » قلت اولاً هذهِ التسمية « بابن ظاهر » يراد بها التحقير وليس من أدب المناظر ان يحقّر مناظرهُ ولكن متى كان الاب انستاس يعطي ادب لمناظرة قسطاً من العناية فكأنه لم يقف على نصيحة الحكيم القائل « جانب الغلظة في الخطاب والجفاء في المناظرة فان ذلك يُذهِبُ بهجةَ الكلام ويُسقط فائدته ويُعدِم طلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودّات » .

ثانياً — يقال افهمه القضية ففهم واعلمه فعلِم وأغضبه فغضِب واظمأه فظمِئ اي ان فَعِل يجيءُ مطاوعاً لأَفعل والفهم عقيب الإفهام فمَن أفهم اميناً ليفهم والتعبير الصحيح والظاهر ان ... لم يصل علمه

الى كذا او لا يعي كذا ... ومن لايحسن التعبير في هذا المعنى فأنّى يكون لغوياً مدققاً .

سابعاً – سقتُ الكلام لاثبات حمراء صيغة جمع وجئت بقول زيادٍ شاهداً فلن يكون مني الطعن بالشاهد وتمحُّل نسبة تخطئة زياد إليّ في قولهِ من الاختلاق الذي لا اختلاق اوضح منه . وانما قلت كذا لموضع الشاهد لا لانكار الشاهد فمن يأتِ بالبينة يؤيدها ولا ينقضها ولكنّ الاب انستاس يريد ان ينسب اليّ من ظنّهِ المجرّد هفوة ليحاكمني كما سبق لقيانا ان يحاكم وان يصدر قراره كذلك القرار .

ثامناً – لم يسلم بأن حمراء صيغة جمع ولو سلَّم لما كان بيننا نقاش – فاقول ان فعلاء صيغة جمع وهذه أدلتي :

١ = في القاموس والتاج : (مادة ق ص ب) قال سيبويه الطرفاء والحلفاء والقصباء ونحوها اسم واحد يقع على جميع وفيه علامة التأنيث وواحده على بناءه ولفظه وفيه علامة التأنيث الذي فيه وذلك قولك الجميع حلفاء والواحدة حلفاء .

٢ = في الصحاح (مادة ش ج ر) واحد الشجراء شجرة ولم يأتِ من الجمع على هذا المثال الاّ أحرف يسيرة شجرة وشَجْراء وقصبة وقَصْباء وطرَفة وطرْفاء وحلَفة وحلْفاء . و كان الاصمعي يقول في واحد الحلفاء حَلِفة بكسر اللام . قلتُ وفي المعاجم حصَبة وحصْباء

ففعلاء اذا دلت على الجمع ومفردها فعلاء أوفعلة أو فعِلَة لا تكون من باب تمر وتمرة لان باب تمر وتمرة مقتصر على سقوط التاء وهنا في طرفاء

جمع طرفاء لا سقوط فهذا على مثال فُلْك وفُلُك وفي طرفاء جمع طرفة اسقاط الهاء واسكان عين الكلمة وزيادة الف بعدها همزة وهذا التغيير لم يرد في اسماء الاجناس · فاذن طرفاء جمع واخواتها جموع وليس للكرملي أن يمتنع عن التسليم بذلك ·

١١ — عَرَب عاربة وعَرَب عَرْباء

ذكرت أن في عرب قولين احدهما انه اسم جنس وهو للجوهري في الصحاح، ثم اتيت بالبينة على عدم صحتهِ والآخر انه جمع تكسير وأتيت باربع حجج تثبت هذا القول فجاء الاب الكرملي بهذا الاعتراض «عرب عاربة وعرب عرباء فانت في الخيار في التذكير والتأنيث كما قلنا في شرذمة قليلون وقليلة» ·

فلي على قوله ما يأتي :

اولاً : مدار البحث على بناء كلمة عرب لا على حكمها لأ نه متى تعين بناؤها عُرِفت طائفتها ومتى عُرِفت طائفتها تعيَّن الحكم الساري عليها وعلى نظائرها فان الطائفة الواحدة يسري عليها حكم واحد ·

ثانياً — الخلاف قائم على مجيء فَعلاء صفة لصيغة الجمع فانا مُثْبِت والاب نافٍ · وقد جئتُ بعرب وقلت هذه صيغة جمع وأقمتُ البينة لاثبات قولي · فواجبه إما أن يسلِّم بقولي وإما أن يردّه بالحجة فلم يكن منه تسليم ولا ردّ وذهب الى حكم عَرَبٍ ونحن لم نختلف في الحكم واختلافنا في البناء لان الحكم قد يكون لطائفتين فا كثر · فالمفاعيل والمستثنى والحال والتمييز لها حكم واحد افيكون التمييز مفعولاً مطلقاً

أو مفعولاً به او مستثنى — فاما ان الكرملي لا يعرف طرق البحث فلا ملام عليه اذا شذَّ عن متابعتها واما أنه يعرفها ولا يتابعها فهذا مالا يصح ان يصدر منه ولا ثمرة له إلا اضاعة الحقيقة وتغليط من أتى بأدلته عليها

ثالثاً — عاد الى التنظير بشرذمة فكأن شرذمة عند الأب الكرملي عصا النبي موسى الكليم يعمل بها معجزات اللغة وقد سبق ان نَظَّرَ بها شيعة وكتيبة والآن ينظّر بها عَرَباً . فياترى الا يعلم أن في مباحث اللغة لا يكتفون بالمعنى وحدهُ فيعطون البناء اللفظيّ حقه من العناية او تراه لا يعرف أن بناء شرذمة غير بناء عَرَب .

رابعاً — شرذمة ليست صيغة جمع فما من جمع على هذا البناء ولااسم جنس فان دلالتها على التعدد لا تنفك عنها فهي اسم جمع — اذن قوله عَرَب كشرذمة يذهب به إلى الادعاء بان عرباً اسم جمع فهو لا يسلم بقول من قال عرب اسم جنس ولا بقول من قال عرب صيغة جمع . فرأيهُ هـذا خاص لم يرد لسواه وعلى من أتى برأي خاص ان يزيف الرأيين المُورَدَين ممن سبقه إلى بحث هذا اللفظ وأن يعلن رأيه صريحاً وأن يقيم الدليل على صحته .

خامساً — تضمَّنت الادلة التي وردت في سبيل اثبات عرب صيغة جمع دليلاً يمنع الادعاء بان عرباً اسم جمع . والقول الذي فنَّدهُ الدليل لايصحُّ ان يأتي قول ما صراحة او ضمناً انه صحيح الا بعد نقض ذلك الدليل . والكرملي لم يأتِ بالنقض الذي يشترط العلماء ايرادُهُ . فهو بهذا التهرُّب عن متابعة منهج العلماء يُعلِن عن غزارة علم !

واستقامة سبيل ! في بحث دقائق اللغة . فما أصحَّ مبدأه العلمي وما اسدَّ برهانه القاطع ! — البرهان الذي يأتي شاهداً عليه لا له . وبماذا ياترى يشهد !!!

سادساً — جاء في كُتُب الصرف ان عَرَباً في الاصل مصدر ميمي سُمِّيَ بهِ (الچارپردي على الشافية ص ٨٨ سطر ١٧ طبعة الاستانة سنة ٢١٠) وقال الشيخ زكريا الانصاري ان عَرَباً وعرساً وحَرَباً في الاصل مصادر شرحه (ص ٥٩ سطر ٢٥) قلت ان عدَّ عربٍ مصدراً لايخرج عَرَباً من اسم الجنس لان الصرفين يعدون المصدر اسم جنس (الرضي على الشافية ص ١٦٧ سطر ٢٧) اما ان عرباً مصدر ميمي فسرٌّ لم اتمكن من حلّهِ . فالقول ان العرب اصلاً مصدر لا يستقل بنفسهِ عن القول بان العرب اسم جنس اذن ليس في عرب الا قولان .

سابعاً — قد نفيتُ بالدليل ان يكون عرباً اسم جنس او اسم جمع وهو متضمن معنى التعدد وصيغته احدى صيَغ الجموع وله من لفظه بناء يدل على المفرد فهو جمع كما اقام الادلة على ذلك والدي رحمه الله وها انا ذا اوردها هنا ليدحضها الاب انستاس ان استطاع والاّ عددتُ امساكه عن نقضها دليل صحتها .

الاول : لايقال عَرَبٌ على الواحد ولا على الاثنين وانما يقال على الثلاثة فما فوق تقول هذا الرجل من العرب وهما من العرب وهؤلاء عرب وذلك من خصائص الجمع واسم الجمع ولكنَّ اسم الجمع

لايكون له مفرد من لفظه يُجمَع عليه جمعاً قياسياً والعرب لهُ من لفظه مفرد يُجمَع عليه جمعاً قياسياً فهو جمع ·

وهذا الدليل يفنّد مذهب الكرملي في عدّهِ عرباً وشرذمة من طائفة واحدة ·

الثاني : وجوب كونِ الضمير الراجع اليه ضميرَ الجمع او ضميرَ الجماعة نحو العرب يقولون والعرب تقول · وما هو اسم جنس يعود اليه ضمير المفرد المذكر وضمير المؤنث للمفرد والجمع · ولذلك تكون صيغة عرب ليست اسم جنس كما ذهب الى ذلك الصحاح [1] ·

الثالث : اتفاق النحويين واللغويين على انه مؤنث وليس فيه علامة تأنيث · ولا هو مما يُطلَق على مؤنث وهذه خاصة جمع التكسير كالرجال قامت وقعدت ·

الرابع : تصغيرهُ على عُرَيب بدون تاء والمفرد المؤنث المعنوي اذا صُغّر لحقته التاء كشمس وشميسة وارض واريضة · وجمع التكسير الذي لاتاء فيه اذا صُغّر لاتلحقه التاء كاصيحاب ·

فمرّ الاب انستاس بالادلة الثلاثة الأُولى فما انكرها ولا قبلها — واعترض على الدليل الرابع وسيجيء الكلام على اعتراضهِ في البحث الرابع من هذا المقال · على انه لو صحّ اعتراضه — وهو غير صحيح —

(١) عبارة الصحاح هي «العرب جيل من الناس والنسبة اليهم عربي بيّن العروبة وهم اهل الامصار والأعراب منهم سُكّان البادية خاصة وجاء في الشعر الفصيح الاعاريب والنسبة الى الأعراب أعرابي لانه لاواحد لهُ وليس الاعراب جمعاً لعرب كما كان الانباط جمعاً لنبط وانما العرب اسم جنس» ·

وابطل اثنين آخرين من هذه الاربعة الأدِلَّة وسلم واحد لكان كافياً لاثبات صحة المدَّعى · فلا ادري على ماذا استند في اسقاط هذه الادلة الاربعة إلى الاكتفاء بالاعتراض على الدليل الرابع وحدهُ ·

واذا كان ليس في طاقته ان ينقض تلك الادلة الثلاثة الأُولى فالاخلاص في خدمة العلم يوجب عليه ان يعلن رأيه بصحتها لا أن يدعها كأنه لم يقرأها · فالاخلاص في تقرير الحقيقة أن تقبل الحجة الصحيحة من حيث اتت · ولكن متى كان الكرملي مُخلِصاً في بحث او خصماً شريفاً يأنف ان يحاول ويموّه ويشاغب ·

١٢ – انكار الكرملي صحة شواهدي

قال – فهذهِ الشواهد لم تثبت لنا شيئاً وكنّا نودُّ ان يأتينا بلفظة مجموعة جمعاً صريحاً وصفتها الإفراد · فلو اتانا بشاهد مثل نساء سمراء · لقلنا له أصبتَ · ولكنه جاءنا بالفاظ تحتمل الافراد والجمع فلم يفدنا الفائدة التي كنا نتوقعها من مقالته الطويلة العريضة وبطل الاستدلال بشواهده تلك العرج ·

الجواب : اولاً من المبادئ المقررة في علم المناظرة تساوي المتناظرين · وهذهِ العبارة لاتطابق ذلك المبدأ فهو يتكلم عن نفسهِ بضمير الجمع فيقول كنا وقلنا وعن مناظرهِ بضمير الافراد فيقول أصبتَ · فمناظرك ايها الاب نظيرك فاذا كُنتَ لاتراعي هذا المبدأ في المناظرة فماذا تراعي من قواعد المناظرة · واذا كنت تجهل هذا المبدأ لتجيء المناظرة مفيدة فماذا تعرف · وكيف تجهل احدى بدائهِ

ادب المناظرة وتظن ان مناظرتك تطابق منهج العلماء الثقات ·

ثانياً — عمَّن تلقى الكرملي ان يتكلم بنفسهِ بضمير الجمع فيقول كنا وقلنا - اتراه وهو كاهن مسيحي لم تستنر عيناه بنصوص الكتاب المقدس وهو ما انزله الله على انبيائه ورسلهِ · افتراه لم يقرأ خطابه تعالى جلَّ اسمه لنبيه الكليم موسى قائلاً له موسى موسى : قال ها انا ذا قال لاتدنُ الى ههنا اخلع نعليك من رجليك فان الموضع الذي انت قائم فيه ارض مقدسة · وقال انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب ··· اني قد نظرتُ الى مذلَّة شعبي · ولاقول السيد المسيح « من تقولون اني هو » ولا قول امهِ البتول تعظم نفسي الرب ولا قول بطرس حواريه انت تعلم اني احبك · فالضمير الذي جاء في الكلام الذي رواه النبي موسى خطاباً اليه من قبل الله القدوس وورد في كلام المسيح وامهِ و كبير حواريه يعرض عنه الاب انستاس « الزاهد العابد » المنقطع عن الدنيا اتصالاً بالله وتجنداً لخدمتهِ ويختار عليه الضمير الذي رضيه المتنبي في قوله « يامن يعزُّ علينا ان نفارقهم » فامين ظاهر خير الله لم يخرج عما رضيه بارئه لنفسهِ واما الأب الكرملي فيتبع مارضيه المتنبي — فهنيئاً للاب الكرملي بذلك الزعيم يسير تحت لوائه في هذهِ الدنيا ويشاطره مجده في يوم ربه القريب · واما امين ظاهر خير الله فتحت لواء المسيح يسير وفي حمى البتول وبطرس يستقر ويسأل الله ان يكون نصيبه معهما في يوم ربه · وارجو من علماء الاسلام ان لايرَوا في استشهادي بالتوراة والانجيل مطعناً فانا

اناظر قساً مسيحياً فاجيء بالحجة عليه من كتابه الذي يؤمن بانه هو وحي ربّهِ وعليه ان يعكف على الاقتباس منه لا ان يقتبس من المتنبي وأضرابهِ . افترى الكرملي في سبيل اللغة اضاع دعوته الروحية .

ثالثاً — قال : « ان يأتينا بلفظة مجموعة جمعاً صريحاً » فاجيب : اولاً . اين جاءَ في تقسيم الجموع ان بعضها صريح وبعضها غير صريح وهذهِ الالفية لابن مالك وشروحها لابن عقيل والاشموني وابن الناظم والحواشي للسجاعي والخضري والصبان . والكافية والشافية لابن الحاجب والشروح للرضي والچارپردي وابن جماعة والسيد عبدالله وشيخ الاسلام زكريا الانصاري كلها خلت من هذا التقسيم . وتقسيم لا يرد في اسفار هؤلاء العلماء لا يكون مما يُعبَأُ بهِ . وانما الخلاف في اسماء الاجناس وصيغ رَكْب ونَفَر وجامل وسراة وغُزّى وتُؤام وامثالها فقائل انها من صيغ الجموع وقائل هي من اسماء الجموع . وجاء للرضي في شرح الشافية (ص ١٦٦) « ومقتضى مذهب الاخفش وان لم يصرِّح بهِ ان يكون مثل صُحْبة في صاحب وظُؤَار في ظئر وجامل في جَمَل وسراة في سري وفُرَّه في فاره وغُزّى في غازٍ وتُؤام في توأَم وغَيَب وخدَم وأَهَب في خادم وغائب وهاب[(١)] وبَعَد في بعيد ومشيوخاء ومعيوراء ومأتوناء في شيخ وعير وأتان ومعيز وكليب في معز وكلب

---

(١) الصواب إهاب والهمزة سقطت في الطبع . قال الجوهري الاهاب الجلد والجمع أَهَب على غير قياس . مثل أَدَم وأَفَق وعَمَد جمع اديم وافيق وعمود وقد قالوا أُهُب بالضم وهو قياس .

ومشيخة في شيخ وعُمُد في عمود كل ذلك جمعاً مكسراً مثل رَكب وسفر ونحوهما لان للجميع من تركيبه لفظاً يقع على مفرد . واستدل سيبويه على انها ليست بجمع بتذكيرها في الاغلب . نحو ركب مسرع وبمجيء التصغير على لفظها » واستدلال سيبويه لو صحَّ لكان أفعال أيضاً ليست من صيغ الجموع لانه جاء اطراف بنان معنما « في شعر رؤبة و نعام في بطونه في القرآن الشريف فاذا كان نعت اطراف بالمفرد لم يمنع كون اطراف جمعاً فنعت ركب بالمفرد لايمنع كون ركب جمعاً . وجاء تصغير أفعال على لفظها كأُصيحاب وأُجيمال وأُوَيقات . فاستدلال سيبويه فاسد وقول الاخفش لا قول سيبويه جاء في المعاجم .

وسياق هذهِ الصيَغ يؤذن بان سيبويه يعد معيزاً و كليباً من اسماء الجموع ولكنَّ الرضي يذكر في ص ١٣٤ سطر ٢١ هذه العبارة .
« واما نحو الكليب والمعيز فهو عند سيبويه جمع وعند غيره اسم جمع فالنَّقَلة عن سيبويه فريقان فروى فريق ان كليباً جمع وآخر اسم جمع وهذا مما يوجد الغموض .

فقول الاب انستاس « جمعاً صريحاً » ليس بصحيح وصحة التعبير ان يقول ان يأتي بجمع لانزاع فيه او لانزاع في صحتهِ لا ان يقول جمعاً صريحاً . والجواب ان حُمُراً جمع حمار لانزاع في صحته فجرَّد الحمر من صفتها الخشباء وجعل الصفة علَماً وانكر صحة الشاهد وماذا يقول في سماحيق حمراء والسلاقمة الحمرا وحرس بيضاء وثلوج

سوداء وخطايا حمراء وثياب بيضاء – ومن يضع على عينيه غطاءً ينكر بزوغ الشمس في رأد الضحى – وقالت الامثال مرضاة المتعنِّت لا تستطاع

رابعاً – قال « ان يأتينا بلفظة مجموعة جمعاً صريحاً وصفتها الافراد »

اجيب اولاً هذا التعبير غير صحيح والصحة ان يقول : أن يأتي بصيغة جمع لا نزاع فيها وصفتها على بناء فعلاء او وصفتها من ابنية الافراد او وصفتها حرف مفرد ٠

ثانياً – اذا كان المراد مجيء صفة الجمع بناءً مفرداً صحَّ ان يكون هذا البناء معلَّلاً كإفال مزنَّم وجيران متلابس ومعلَّلاً « كاطراف بنان معنماً » وهذا كله خروج عن مدار البحث الذي هو مجيء فعلاء صفة لصيغة جمع وفعلاء حينئذٍ تكون بناءً مفرداً على قول وصيغة جمع على قول آخر ٠ فكان على الكرملي ان يُحسِن التعبير عما دارت المناظرة بشأنه ولا يجيء بهذا التعبير الفاسد ٠ ولكن متى ياترى كان للكرملي تعبير صحيح ٠

خامساً قال « لو اتانا بشاهد مثل نساء سمراء لقلنا له أَصبتَ »

اقول : اولاً في نساء اقوال متعارضة فجاء في الرضي على الكافية (ص ١٩٨ جزء ٢) ونحو عباديد وعبابيد وزن خاص بالجمع ونحو نسوة مشهور فيه فوزنها اوجب ان يكون من الجموع فيقدر لها واحد وان لم يستعمل كعبَّاد وعبدود ونساء كغُلام وغلمة قلت وهذا دليل على ان نسوة جمع مفرده نساء وجاء في المصباح (مادة ن س و) النسوة بكسر النون افصح من ضمها والنساء بالكسر والضم اسمان

لجماعة اناث الاناسي الواحدة امرأة من غير لفظ الجمع» فان هذا القول يصرح بان نساءً من اسماء الجموع لاصيغة جمع ، فقول صاحب المصباح يزيّف قول الكرملي المتضمن ان نساءً من الجمع الصريح فالجمع الصريح لايقال فيه انه اسم جمع .

ثانياً – فُعلة بضم الفاء وبكسرها يجيء الجمع فيهما على فِعال ففي معيار اللغة (مادة ح ل ل) الحِلّة بالكسر القوم الحلول ج حِلال كذئبة وذِئاب . والحُلّة بالضم لاتكون الا ثوبين من جنس واحد . . . والسلاح ج حُلَل وحِلال كجُبَّة وجُبَب وجِباب فاذن يصح أن تكون نساءٌ صيغة جمع لِنسوة ولُنسوة وهذا يعارض ما جاء الرضي كما تقدم كلامهُ . وبما أن التعارض واقع في صيغة نساء فقائل انها اسم جمع وقائل انها مفرد لِنسوة وقياس يأتي بها جمعاً لِنسوة ونُسوة لا تكون من الصريح في صيغ الجموع . فيا ترى هل يجهل الكرملي هذا الاختلاف في بناء نساء ويزعم بعدئذٍ أن نساء صيغة جمع صريح .

ثالثاً – اذا كانت نِسوة جمع نساء كما قال الرضي ونساء جمع صريح عند الكرملي فنسوة آصل في صِيَغ الجموع من نساء لأن جمع الجمع ادلُّ على التعدُّد من الجمع . وشيعة وزان نسوة وقد جئت بالشيعة الشنعاء فأبى قبولها صيغة جمع ومن رفض ان يعد صيغة جمع الجمع من صِيَغ الجموع فلا عجب اذا ابى قبول صيغة الجمع جمعاً .

رابعاً – اذا كان الكرملي يعد نساءً صيغة جمع صريح لا نزاع في صحتها وجب أن يكون لها صيغة من نقطها تدلُّ على المفرد

– وامرأة ليست من لفظها – فليأت بتلك الصيغة وليقم الدليل على صحة ورودها · فيضيف الى اللغة حجة جديدة تزيف مدعى من قال المرأة مفرد نساء · اما اذا كان قوله عن غير رويّة فاندفع الى الجلاء عنه ذهولاً وهو يجهل انه يعارض الجوهري في قوله (مادة ن س و في الصحاح) النِسوة والنُسوة بالكسر والضم والنِساء والنِسوان جمع امرأة من غير لفظها كما يقال خِلفة ومخاض أي خِلفة للمفرد ومخاض للجمع» فاني أضعه ازاء الجوهري ليجادلهُ في ما اختلفا بهِ · والجوهري اتباع يدافعون عن رأيه – فكيف يكون بناء نساء من الجمع الصريح والجوهري يعدّه من أسماء الجموع ·

خامساً – قد مرَّ معنا أن فِعالاً صيغة جمع عاد اليه ضمير المفرد المذكر فجاء إفال مزنم · «ومثل الفِراخ نُتِفت حواصِله» فلو جئت بشاهد على مثال ما اقترح لقال نساء كهِجان يقال ناقة هِجان ونياق هِجان والجمع الذي بناؤه على صورة الواحد يعود اليه ضمير الواحد فينْعت نعت الواحد · فالشاهد لا يحل الخلاف ·

سادساً – يطلب أن أجيء بصيغة جمع لا نزاع في أنها من صِيَغ الجموع التي لا نزاع في صحتها · فاقول : فُعُول صيغة جمع لِفَعْل كحَرف وحُروف وبَذر وبدور وصَرْف وصُروف فاذن لا نزاع في أن ثلوجاً جمع ثلج · وقد جاء للمتنبي في قصيدته : أمِنَ ازديارك في الدُجى الرقباء قوله :

وعِقاب لبنان وكيف بقطعها ... وَهو الشتاء وصيفهنّ شِتاء
لبس الثلوجُ بها عليَّ مسالكي ... فكأنها ببياضها سوداء

فالضمير في كأنها يعود الى الثلوج لان البياض خاصة للثلج . ومن تأوّل عود الضمير الى العِقاب أو الى المسالك قلت له العِقاب جمع عَقَبة كالإكام جمع أكمة والمسالك جمع مسلك كالمغانم جمع مغنم . فاسم كأن ضمير راجع الى جمع لا نزاع في انه من الجموع التي جاءت عند علماء الصرف واللغة قاطبة. وخبرها سوداء فاما سوداء صيغة جمع لأن اسم كأن وخبرها يتوافقان في التذكير والتأنيث والمفرد والمثنى والجمع واما صيغة الجمع التي تنعت بفعلاء صيغة مفرد موءنث ويأتي خبرها فعلاء بناء المفرد الموءنث تقول ثلوج سوداء . فان قبل هذا الشاهد فقد ثبت ثبوت النهار عند ذوي الابصار صحة مذهبي وان لم يقبله فليردّهُ بالدليل لا بالسكوت عنه والامساك عن نقضه كما بدا منه في امساكهِ عن نقض ادلة المرحوم والدي لقوله أن عرباً صيغة جمع .

سابعاً - زعم أن شواهدي عُرْجٌ قلتُ كم اعرج انتهى الى الهَدَف المنشود . واما اعتراضاته فزيوف لا حظّ لها في القبول عند علماء اللغة وماذاف مردودٌ الى مَن أتى بهِ وليس على ردّ الزيوف مَلامُ
فيا مُورِداً زيفاً ليهنأك ردُّه فليس له عند الكرام ذِمامُ

البحث الثاني

الرأي الصحيح الذي نقله الكرملي عن الكامل للمبرّد

١ً = توطئة البحث

قال الكرملي : لا مشاحة في أن أفعل وموءنثها فعلاء اذا جاءت «صفة لموصوف (لا موصوفاً) ودلّت على لون أو عيب أو حلية فان

كلاً من أفعل وفعلاء يُجمَع على فُعْل بضم فسكون . وقد يجمع فُعْل على فُعْلان بضم أيضاً تقول : احْمَر وحَمْراء وحُمْر وحُمْران ، أسْوَد وسَوْداء وسُود وسودان ، أبيض وبَيضاء وبِيض وبِيضان الى آخر ما نُقِل عن فصحائهم .

هذا كلام الاب أنستاس ولي في نقدهِ ما يأتي :

أولاً — عبارة الاب انستاس من الركاكة بمكان فأفعل مذكر لا مؤنث وتأنيثه على تأويل والتأويل فرع وعدم التأويل أصل والاصل أولى بالاستعمال من الفرع .

ثانياً — أعاد أفعل وفعلاء دون حاجة واطال في العبارة لغير طائل وصحة التعبير : لا مشاحة في أن أفعل صفة جمعها فعل ومثلها فَعْلاء . ولك أن تحذف جملة « دالة على لون أو عيب أو حلية » لان هذا التقييد مستغنىً عنه فما من صفة إلا للون أو عيب أو حلية . فتؤدي عبارة قوامها عشر كلمات ما أدته عبارة الكرملي وهي ثلاثون .

ثالثاً — قال وقد يُجمع فُعْل على فُعلان بضم أيضاً — قلتُ هذه القد متعددة المعاني فقائل أنها للتكثير وقائل أنها للتحقيق أي للتأكيد وقائل للتقليل وقد ردَّ ابن هشام هذا الرأي . وحيث تتعدد وجوه القول يقع لبس واللبس والتحقيق لا يجتمعان فكان عليه أن يقول وجاء فعلان جمعاً لفعل كثيراً اذا اراد الكثرة أو قليلاً اذا اراد القلة .

رابعاً من أين استقى الكرملي قوله وقد تُجمَع فُعْل على فُعْلان بضم أيضاً فانه منافٍ لما جاء في نصوص العلماء وإليك اقوالهم .

في الشافية لابن الحاجب (طبعة دار السعادة سنة ١٣١٠ ص ١٤٦) «والصفة نحو أحمر على حُمران وحمر» فقدم حمرانَ على حُمْر. وجاء في شرح السيد عبد الله للشافية (طبعة دار السعادة سنة ١٣١٠ ص ١٠٣) وافعل الصفة نحو أحمر على حمران كثيراً وعلى حمر بضم الفاء وسكون العين قياساً وقال الرضي في شرح الشافية (ص١٥٨) والمطَّرد في تكسير أفعَل فعلاء وفي موءنثه (ولم يقل وفي موءنثها كما جاء في كلام الكرملي) فُعْل ولا يُضَمُّ عينه الا لضرورة الشعر ويجيء فُعلان ايضاً كثيراً كسودان وبيضان. فهذه النصوص تقول حمران صيغة جمع لأَحْمَر. والكرملي يقول حمران صيغة جمع لحُمْر فهي صيغة جمع جمع لاحمر فمن قال قولهُ – واذا كان هذا القول من تحقيقاتهِ الخاصة فكيف ينشره بغير بينة على صحتهِ.

٢ = ماقرره المبرِّد كما رواه الاب الكرملي

قال المبرِّد في كتابه الكامل (في ص ٢٣ من طبعة اوربة وفي ١ : ٢٧ من طبعة مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر سنة ١٣٢٣) «وابرق اذا عنيت بهِ المكان مضارعة للاسماء لانها تدلُّ على ذات الشيء وان كانت في الأصل نعتاً تقول في جمعها الاباطح والابارق والاداهم والاساود فان اردت نعتاً محضاً يتبع المنعوت قلت مررتُ بثياب سود وبخيل دهم وكل ما اشبه هذا فهذا مجراهُ الى آخر ماقال فراجعه ترَ في كلامهِ مايسدُّ افواه المتحذلقين» ثم اعاد هذا القول للمبرِّد نفسه وختمه بقولهِ «فيحسن بك ان تقف عليهِ لتردَّ عنك

هجمات الصائلين في البيداء بعيدين عن العدى . ونحن لانريد ان نزيد على هذا القدر لما في ذلك من الكلام على غير جدوى » اه وفيه من الكلام الاليم ما فيه . واجيب :

أوّلاً – جاء في الكامل طبعة المطبعة العامرة (في مصر سنة ١٣٨٦ ص ٣٢) ما يأتي :

وقوله « ولو كان مخلوطاً بسمّ الاساودِ » يريد جمع اسود سالخ وجمعه على اساود لأنه يجري مجرى الاسماء . وما كان من باب افعل اسماً فجمعه على افاعل نحو افكل وأفاكل والاكبر والاكابر . وكذلك كلّ ماسميت بهِ رجلاً تقول احمد وأحامِد واسلم وأسالِم فان كان نعتاً فجمعه على فُعْلٍ نحو احمر وحُمْر واصفر وصفر ولكن اسود اذا عنيتَ بهِ الحيَّة وادهم اذا عنيت بهِ القيد وابطح اذا عنيت بهِ المكان المنبطح وأبرَق اذا عنيت المكان مضارعة للاسماء لانها تدل على ذات الشيء وان كانت في الاصل نعتاً تقول في جمعها الاباطح والابارق والاداهم والاساود فان اردت نعتاً يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم وكل ما اشبهه فهذا مجراه » .

وبين ما اورده الكرملي وهذا النص خلاف فالكرملي اورد « وابرق اذا عنيت بهِ المكان مضارعة للاسماء لانها تدل على ذات الشيء » فاعاد الى ابرق ضمير التأنيث كما سبق له ان يعيد الى افعل ضمير التأنيث بقوله وموءنثها . والكتاب يقول ولكن اسود . وادهم وابطح وابرق ... مضارعة فاعاد ضمير التأنيث الى اسود وما تلاها

فتأنيث مضارعة في قول الكتاب له وجه صحيح هو الاصيل وفي عبارة الكرملى لابُدَّ من التأويل – وهذا التصرُّف في عبارة المبرِّد يلقي شبهة في صحة شواهد الكرملي فانه يتصرف بها كما يشاء – وقال المبرد و كل ما اشبهه فهذا مجراه فروى الكرملي العبارة و كل ما اشبه هذا فهذا مجراه » فاين الامانة في النقل ·

ثانياً – ان الحكم الذي يصحُّ ان يُجعَل أساساً علمياً يجب ان يستند الى دليل معقول او الى استقراء كامل · فالدليل المعقول كقول النحاة حيث يصح اعراب الواو عاطفة يمتنع اعرابها حالية لان العطف المعنى الاصيل في الواو والحال معنى دخيل وحيث جاز المعنى الاصيل وهو القوي لامجال للدخيل وهو الضعيف · ومن ذلك ان اهالي حمص ومن يجاورونهم يجمعون خالاً الشامة على خيلة والمعاجم تجمع خالاً على خيْلان · وخال على خيلة كقاع على قيعة وجار على جيرة فالقياس يقبل قولهم واجدادهم من صميم العرب وخيلان تصحُّ جمعاً لخال كما روى شيخ شيوخ الاسلام ابن قيّم الجوزية في كتابهِ اخبار النساء (طبعة مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣١٩ ص ١٢٥) ·

لما رأَت ان الرحيل قد حانْ قامت تهادى في رقيق الكتَّانْ
بواضح الوجه قليل الخِيلانْ · · · · ·

وجمعاً لخيل ففي مادة جدود في معجم البلدان للفرزدق قولهُ :

هلاَّ غداة حبستمُ اعياركم بجدود والخِيلان في اعصارِ
الحوفزان مسوَّم افراسهُ والمحصنات حواسِر الأَبكارِ

ولم ترد هذه الصيغة في المعاجم الكبيرة كالصحاح والقاموس والتاج ومعيار اللغة والقياس يقبلها نخيل على خيلان كضيف على ضِيفانٍ فان القياس حكمٌ معقول لانه يسري على طائفة بين افرادها جامعان لفظي ومعنوي فالخيل اسم يطلق على نوع خاص من الدواب، والضيف اسم يُطلَق على نوع خاص من الناس في حال منفكة و كلاهما على بناء فَعْلٍ ولا يصحّ معنى لقول الفرزدق في اعصار الاان يريد جماعة الافراس ازاء جماعة الأعيار جمع عَير فقول اهل حمص صحيح وإن لم يرد في معجم .

والاستقراء الكامل كاستقراء المنصوبات في النحو . ومزيدات فَعَل وفعلَل في الصرف واوزان البحور الشعرية في العروض وانواع القوافي في علم القافية وسهام الورثة في علم الفرائض الى امثال ذلك مما لايمكن احصاؤه .

ولم يقم المبرِّد دليلاً معقولاً على صحة حصرِهِ صِيَغ جمع أفعل وفعلاء ولا اتى باستقراءٍ كاملٍ فقوله لايصحُّ ان يكون حكماً لايجوز الخروج عنهُ .

ثالثاً — ان افعل وفعلاء طوائف لا طائفة واحدة فماذا ذكر من تلك الطوائف وماذا أبان من الفوارق بين تلك الطوائف — وها انا ذا اذكر الطوائف التي اهتديتُ اليها ولم أقف لها على ذكر في كتاب لغوي اوصرفي .

الاولى : ما كان افعل وفعلاء وصفين متقابلين دالّين على معنى واحد

لوناً او عيباً او حلية كادعج ودعجاء وانجل ونجلاء . ومن هذه الطائفة اسود وسوداء واخواتها كما اورد الكرملي .

الثانية : ما كان افعل وفعلاء وصفين غير متقابلين نحو رجل امرد وامرأة ضهياء . والامرد الشاب طرّ شاربهُ ولم تنبت لحيته بعد واللحية لاتكون في المرأة . والضهياء المرأة لاتحيض . والحيض لايكون في الرجال ومن هذه الطائفة عذراء وجمعها عذارَى وعذاري .

الثالثة : أفعل وفعلاء غير متقابلين في الخلقة ولا في الاستعمال المعروف من ذلك رَجلٌ اشيب وآلى اي شائب وذو إليَة . ولم يجئ في فصيح الكلام شيباء ولا أَلياء . وذلك لان الشيب في الرجل مكرمة وليس الشيب في المرأة كذلك وكِبر الإلية في الرجل من العيوب وفي المرأة من المحاسن قال المتنبي :

بانوا بخرعوبة لها كَفَلٌ يكاد عند القيام يُقعِدُها

الرابعة : ما جاءت فعلاء مع فعيل لا مع أفعل مثل جميل وجملاء وحسين وحسناء وشنيع وشنعاء فحسناء لحسين لا لَحسَن .

الخامسة : أفعل الذي يقابله أَفعَل كالأَيمن ازاء الأَيسر . من جهة الجهة . والأَيْمَن (من اليُمْن) ازاء الأَشأَم من الشؤم وقد جاء الأَيمن للذي يعمل بيمينه ولم يجئ ايسر لمن يعمل بيساره وجاء رجل أَعْسَر يَسَر .

السادسة : افعل وفعلاء وفُعْلَى مثل أَعسَر وعَسْراء وعُسْرَى .

السابعة : افعل الذي تدخل عليه ياء النسبة فيقال احمر واحمري .

الثامنة : افعل الذي يأتي موءنثه بالتاء كارمل وارملة وهو للعاقل ·

التاسعة : افعل الذي يأتي موءنثه بالتاء وهو لغير العاقل كأسود واسودة ·

العاشرة : ماجاء على فعلاءَ للمفرد والجمع كبرشاء وبغثاء ودهماء ·

الحادية عشرة : مانقل الى العلمية اي الى اسماء الاجناس غير العاقلة كالأدهم للقيد ·

الثانية عشرة : مانُقِل الى العلمية اي الى اسماء الأَجناس للعاقل كالاسود والمراد بهِ الحبشي والأَحمر والمراد بهِ الفارسي والاردم اي الملاح ·

الثالثة عشرة : فعلاء التي نقلت الى العلمية وهي من اسماء الاجناس غير العاقلة مثل خبراء من اسماء المزادة العظيمة والقاع والعَبلاء من اسماء الصخرة ·

الرابعة عشرة : فَعْلاء صيغة جمع لحمراء للعجم وصَفْواء وشَجْراء[1] ·

الخامسة عشرة : افعل الذي مثناه افعلان وجمعه افاعلة مما يكون علماً على جنس وجنسين وثلاثة اجناس · قال الجوهري (ح م ر) واهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر فاذا قلت الاحامرة دخل فيه الخَلُوق وانشد الاصمعي :

---

(١) سيأتي الكلام على حمراء · واما صَفواء فقال الجوهري — « هي الحجارة اللينة المُلْس » أي انها صيغة جمع وجاء في التاج « الصفواء كالشجراء واحدتها صفاة وفي التهذيب والصفواء والصفوان والصفا مقصور كله واحد قال الاصمعي » وقد عدَّ صفا جمع صفاة نقلا عن الجوهري فانه قال « الصفاة صخرة ملساء والجمع صفا مقصور · والصفوان الواحدة صفوانة » فالصفواء صيغة جمع ولا تجيُ بناء مفردٍ · واما الشجراء فسيأتي الكلام عنها ·

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكُنتُ بهنّ قدماً مُولَعا
الراح واللحم السمين وأطّلِي بالزعفران فلَن ازال مولّعا

فياترى أكل هذهِ الطوائف يسري عليها الحكم الذي جاءَ بهِ المبرِّد . وهَلْ يؤيد قوله ما روته اصحاب المعاجم او ما جاءَ في كُتُب التصريف . واليك ما جاءَ في المعاجم :

١ = في مادة (ع زل) في القاموس : أعزل ج عُزْل وقد حكاهُ المبرِّد . وأعزال فقال صاحب التاج هو جمع عُزْل كجُنْب وأَجناب وعُزَّل كركَّع جمع راكع وعزلان كحُمران جمع احمر (لا جمع حمر كما زعم الكرملي) ومعازيل عن ابن جِنّي وهو على غير قياس والعَزْلاءُ بمعنى فم المزادة والجمع على عزالى وعزالي كصَحارى وصَحاري وقد جاء في صحراء صحارِيُّ فما وجه امتناع عزاليّ وجاءت العزلاء اسم فرس والجمع اعازل وجاءت عزلاءُ اسماً للاست فما هي صيغة جمعها فان المبرِّد يزعم ان جمعها على اعازل فهل يصحُّ ذلك .

وفي معجم البلدان (مادة أعابل) أعابل بفتح الهمزة و كسر الياء الموحدة ولام كأنه جمع أعْبل فاثبت وجود أعبل لان الجمع فرع عن المفرد ووجود الفرع دليل وجود الأصل ولم ترد أعبل في معجم .

٢ = احمق وحمقاء (عن القاموس) ج حِماق (عن ابن عباد) وحُمُق بضمتين وحَمْقى كسكرى وحَماقى كسَكارى وحُماقى (نقلها الصاغاني) فاورد القاموس كل هذهِ الصيَغ ولم يورد صيغة حُمْقان التي زعم الكرملي انها المقيسة او الكثيرة الورو على مذهب المبرِّد

٣ — في مادة (ش ي ب) في القاموس «أشيب ... وقوم شِيب وشُيُب بضمتين وشُيَّب . وروى صاحب معجم البلدان في (سكن) لعبد الله ابن ظبيان :

قتلتُ بهِ من حي فهد ابن مالك ثمانين منهم ناشئون وأَشْيُبُ

ولم تذكر المعاجم صيغة أَشيُب ولا بُدَّ من ان يكون لورودها احد امرين الاول خطاء مطبعي والصحيح شُيَّب او ان أَشْيُباً صيغة جمع لِشيب (أصلُها شُيْب) كأقفُل لِقفْل قياساً على مجيء أَعزال صيغة جمع لِعزْل - واذا جاءت أَشيُب جمعاً لِشِيب فلا تكون من جموع القلَّة لان جمع جمع يدل طبعاً على الكثرة فمن قال ان افعُل[١] من صيغ جموع القلَّة يعارضه هذا التخريج .

٤ — في القاموس (مادة ع ج ف) «وهو اعجف وهي عَجفاء ج عِجاف من الذكران والإناث قاله الليث وهو شاذ على غير قياس لكنَّهم بنَوه على سمان» فجاء صاحب التاج وقال «هو كما قالوا أبطَح وبِطاح وأَجرَب وجِراب ولا نظيرِ لعجفاء وعِجاف الا قولهم حسناء وحِسان كذا قول كراع وليس بقوي لانهم قد كسَّروا بطحاء على بِطاح وبرقاء على براق» قلتُ وفي مادة (ع ب ل) جاء جمع عَبلاء على عِبال . وفي مادة (خ َب ر) الخبراء جمعها الخبارَى بفتح الراء والخَباري بكسرها والخبروات والخِبار وجاء في جمع النجل ونجلاء نُجْل ونِجال وجاء في الصحاح سهمٌ أَقَذّ ج قُذّ وجج قِذاذ

(١) ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل .

وفي التاج تأييد هـذا القول واستشهاد بقول الشاعر من يثربيات قِذاذٍ خُشْن . قلتُ وماذا يمنع ان يقال نبلة قَذّاء كسهم أَقَذّ وحجر أَعبَل كصخرة عبلاء ولماذا يكون قذاذ جمعاً لقُذّ جمع أقذ ولا يكون عِجاف جمع عُجْف جمع اعجف فيطّرِد القياس فان هـذهِ الدقائق جديرة بالعناية لان القياس في ابنية الحروف كالغريزة في البشر وكما تختفي الغريزة حتى يأتي ما يستدعي ظهورها يختفي القياس حتى يرد ما يستدعي ظهورهُ ففِعال وأفعال كامنان في فُعْل حتى يأتي ما يبعثهما من مخبإهما .

قلت وحسناء جمعها حِسان هي لحَسين كطويل وطوال فدخلت حسناء على حسين كما دخلت حمراء على أحمر وفعيل يجمع على فِعال مما هو حسيّ كطويل وطوال او ماهو معنوي كفصيح وفِصاح او ما هو حلية كصبيح وصِباح . ولو كانت عجاف من الحمل على سِمان لاقتصر هذا الجمع على الحسيّ الذي يقبل السمن كالانسان والخروف والجمل ولكنه جاء ايضاً للارض فقالوا ارض عجفاء أي لا خير فيها والجمع على عجاف قال الشاعر :

لقح العجاف لها لسابع سبعة فشربنَ بعد تحلّؤٍ فرُوينا

٤ = الاحامرة جمع احمر للحم والخمر والخلوق وقد تقدم الشاهد وهو من شعر الاعشى .

جاء في القاموس (في مادة ج ح م) الاجحم من الناس الشديد حمرة العينين مع سعتهما وهي جحماء ج جُحْم وجَحْمَى ككُتُب

وسكرى قال صاحب التاج كلاهما جمعان لجماء ·

٥ = في ديوان الأخطل قولُهُ (ص ١٩ طبعة بيروت لليسوعيين)

يخذنَ بنا عن كل شيءٍ كأننا اخاريسُ عيُّوا بالسلامِ وبالنَّسَبِ

واخاريس صيغة لم توردها المعاجم وتخريجها هكذا اخرس يُجمَع على خُرْس وجج أخراس كعُنُق وأعناق وججج أخاريس كأصحاب وأصاحيب وقسطاس وقساطيس فجاءت افاعيل في جمع أفعل ·

٦ = في القاموس (مادة ر م ل) الأرملة الرجال المحتاجون الضعفاء فاضاف التاج على ذلك قوله: وإن لم يكن فيهم نساء عن ابن السكّيت او كل جماعة من رجال أو نساء دون رجال ارملة بعد أن يكونوا محتاجين · فهنا لنا أرملة جمع أرمل بالتاء كعسَّالة وعسَّال · وارملة الجمع تاؤها غير تاء أرملة المفرد · وهذا دليل على أن القرينة تعيّن الصيغة للجمع أو للمفرد · وأفعل تجمع بالتاء كما جاء في هذا الشاهد

وفي مادة (ع ب ل) في التاج «الأَعبلَة جمع الأعبَل على غير الواحد ومنه الحديث ان المسلمين وجدوا اعبلة في الخندق»

٧ = جاء في الشافية في شرح الرضي (ص ١٥٧) «وجاء الخضراوات لغلبته اسماً ونحو الافضل على الافاضل والافضلين» وقال الشارح قوله احاوص جمع أحوص وأحوص في الاصل من باب احمر حمراء وجمعه فُعْل لكن لما جعِل أفعل فعلاء اسماً جاز جمعه على افاعل كافعل الاسمي وجاز جمعه على فُعْل نظراً انه الاصل وعلى افعلون اذا كان علماً للعاقل وعلى افعلات اذا كان علماً للمونث ·· الى ان يقول

ويجوز في نحو أرمل وأرملة ارملون وارملات لانه مثل ضاربون وضاربات . وفي القاموس (مادة ر م ل) ورجل ارمل وامرأة أرملة ج ارامل واراملة .

٨ – في القاموس (مادة ر د م) « الاردم الملاح الحاذق ج اردمون» فأيد صاحب التاج هذا القول بان ابن الاعرابي الامام النحوي أنشد :

وتهفو بهادٍ لها ميلع كما أَقحَم القادسَ الأُرْدمونا

٩ – جاء في مادة ميل في التاج قال الاعشى :

غيرَ مِيلٍ ولا عواويرَ في الهيـ جى ولا عزَّلٍ ولا أكفالِ

وعواوير صيغة جمع لاعور وتخريجها موضع بحث دقيق .

١٠ – في شعر الكميت الاسدي وقد جاء في شرح الكافية للشيخ الرضي قوله :

فما وجدت بنات بني نزارٍ حلائل اسودينَ واحمرينا

والكميت شاعر فصيح يُستَشهد بقولهِ فان صاحب الصحاح استشهد بقولهِ مراراً والمطعون بفصاحته لايُستَشهد بقولهِ . ففي مادة (ف ل ك) الفلكة قطعة من الارض او الرمل تستدير وترتفـع على ماحولها قال الكميت :

فلا تبكِ العِراص ودمنتيها بناظرة ولا فلكِ الأَميـلِ

والأَميل جبل قال صاحب معجم البلدان اميل جبل من رمل طولهُ ثلاثة ايام وعرضهُ نحو ميل . وفي مادة (و ح د) قال الفرّاء يقال انتم حيٌّ واحد وهم واحدون وأنشد للكميت :

فضمَّ قواصِيَ الأحياء منهم فقد رجعوا كحيٍّ واحدينا

وهذا البيت من قصيدة «الا حُييت عنا يا مدينا» (خزانة الادب للبغدادي جزء ١ ص ٨٦) . وقد ذهب بعض الرواة الى انهُ قال :

لنا قمر السماء وكلُّ نجم تشيرِ إليه ايدي المهتدينا

وما ضربت بنات بني نزارٍ هوائج من فحول الاعجمينا

فالاعجمين جمع أعجم وهو كالاحمرين جمع احمر . واسودين جمع اسود . وهذهِ لغة الكميت التي يتكلم بها هو وقومه ودليل ذلك انه يقول في هذه القصيدة :

ولا اعني بذلك اسفليكم ولكني اريد به الذوينا

فهو يجمع أسفل على اسفلين ولا يجمع اسفل على اسافل كما ذهب الى ذلك المبرّد وليس اسفل من افعل التفضيل كاكبر وكابر وأفضل وفاضل . لان المعاجم لم تذكر سافلاً . فاذا كان الكرملي يُثبِت وجود سافل فقد حكم على المعاجم بعدم استقصاء الجمع وإن اقرَّ ما جاء في المعاجم فأَسفل كاسود وابيض ولا يصحُّ عنده جمع اسفل في حال الصفة الا على سفْل وفي حال العلمية إلاَّ على اسافل ولم يورد الكميت سفلاً ولا اسافل وفي وسعِهِ ان يقول :

ولستُ اريد سفلكم بقولي . او . ولا اعني اسافلكم بقولي

فلم يقل الا اسفليكم لان هذا القول لغة قومهِ . وبنو أسَد من خلّص العرب قال صاحب التمرنة وهو من المحققين في اصول اللغة العربية (جزء ٢ ص ٥) «ان العرب المأخوذ عنهم اللسان العربي الموثوق

بعربيتهم هم بنو قيس وتميم وأَسَد وهُذَيل وبعض الطائيين » هذا شأن بني أَسَد الذين منهم عبيد ابن الابرص في شعراء الجاهلية والكميت في عهد الامويةَ وابو دلامة في عهد العبّاسيةَّ واما الكميت في نفسه خاصة فهو (خزانة الادب للبغدادي جزء ١ ص ٦٩) شاعر مقدَّم عالم بلغات العرب خبير بايامها ومن شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارعين العالمين بالمثالب يقال ما جمع احد من علم العرب ومناقبها ومعرفة انسابها ماجمع الكميت فمن صحح الكميت نسبه صح ومن طعن فيه وهن وسئل معاذ الهرّاء (واضع علم الصرف) عن اشعر الناس فقال من الجاهليين امرؤُ القيس وزهير وعبيد ابن الابرص ومن الاسلاميين الفرزدق وجرير والأَخطل فقيل له يا ابا محمد مارأيناك ذكرت الكميت . قال: ذاك أشعر الاولين والآخرين . وقال ابو عكرمة الضبي لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان ولان الكميت حجة وقد جاء في شعرهِ أفعلون وافعلين قال ابن كيسان وهو لايقل عن المبرّد في علمه وفضله أَفعل يُجمَع قياساً على افعلين لانها لغة بني اسد الفصحاء الموثوق بفصاحة السنتهم .

وماذا كان في طاقة الكميت ان يقول أَأن يقول « وما ضربت بنات بني نزارٍ حلائلَ سود وحمرِ » فسود وحمر لاسود واحمر تردان صفةً لا علماً . وهو يريد باسودين الحبش خاصة وباحمرين العجم خاصة . اما الحبشان فدوّخوا ارض اليمن وملكوا سهلها وجبلها واخذوا بناتها زوجاتٍ . واما العجم فجاؤُوا مع سيف ابن ذي يزن واستخلصوا

السلطان من الحبشان وملّـكوا سيفاً فاتخذهم جنده وامراء مملكته وزوّجهم ببنات شعبهِ . والى هذا اشار الكميت في قولهِ . أو يقول وما ضربت بنات بني نزار حلائل اساود واحامر . قلت ان اساود جمع اسود للافعى وحلائل اساود يحمل على معنى خبثاء لان الافاعي مشهورة بالخبث والاحتيـال والاحامر لغة في الاحامرة كالازارق لغة في الازارقة جمع ازرقي وكالأشاعث لغة في الاشاعثة جمـع اشعثي والاحامرة قوم من العجم نزلوا بالبصرة وتبنكوا بالكوفة . فاذا قال الاحامر انصرف القول الى هؤلاء وليس في ذلك غضاضة على القحطانية اذا زوّجوا هؤلاء . وانما يريد الكميت مثلبة لا امراً جائزاً مشروعاً فان الحبشان لما امتلكوا اليمن اعتدوا على بناتها بغير عقد شأن الجند الفاتح في اعتدائهِ على الاعراض وكذلك كان شأن العجم في بدء استخلاصهم السلطان من ايدي الحبشة فالمعنى الذي اراده الكميت لايؤديه قوله اساود واحامر . وجمع أفعل على افعلين كثير . ففي ديوان امرئ القيس :

وقاهم جَدُّهم ببني ابيهم وبالاشقين قد وقع العقاب

وقوله ايضاً : ان البلاء على الاشقين مصبوبُ .

وقال السموأل :

وما ضرنا أنّا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليلُ

والشواهد في هذا الشأن كثير

١٠ — وجاءت حمراء في كلام زياد بمعنى العَجَم وسواهم ممّن اتخذهم

العَرَب رفيقاً في صدر الاسلام فجاءت في قول الامام علي ابن ابي طالب ففي مادة (ح م ر) في تاج العروس « وكانت العرب تقول للعجم الذين يكون البياض غالباً على الوانهم مثل الروم والفرس ومن صاقبهم انهم الحمراء ومن ذلك حديث علي رضي الله عنه حين قال له سراة من اصحابهِ العرب « غلبتنا عليك هذه الحمراء » فقال : ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءًا « فقال ضربتموهم لا ضربتموها » .

وتخريج حمراء ليصح عودة ضمير جمع المذكر العاقل اليها لهُ وجهان الأوَّل انها صفة لموصوف وهذا الموصوف صيغة جمع مثل أُمَّة فان نعتها جاء بالمفرد المؤنث والجمع فتأنيثها كثير من ذلك أُمَّة مسلمة « وامة قد خلت لها ما كسبت » كان الناس أُمَّة واحدة والتذكير وارد ايضاً ومن ذلك « ولتكن منكم أُمَّة يدعون الى الخير . . » وقال الكميت (خزانة الادب للبغدادي جزء ١ ص ٧٠) :

وهل أُمَّة مستيقظون لدينهم فيكشف عنه النعسة المترِّل

فقول القائل غلبتنا عليك هذهِ الحمراء اي هذه الأمة الحمراء فاذا عددنا الحمراء صيغة جمع صحَّ لنا كما لو كان القول غلبتنا عليك هذهِ الأمة الصالحون واذا عددنا الحمراء صيغة افراد صح لنا كما لو كان القول غلبتنا عليك هذه الأُمة الصالحة — ومجيء الصالحة متابعة للفظ ومجيء « الصالحون » (للحكاية) متابعة للاصل لان نعت الجمع جمع مثله .

والثاني ان الاحمر علَم جمع على حَمْراء لأن فعلاء من صِيَغ

الجموع والأصل في احمر الصفة فنُقِل الى العلمية للعجم او للروم والعجم وامثالهم ممن بشرتهم بيضاء – واذا قلنا حمراء المؤنث العاقل جاءت لاحمر المذكر العاقل من باب إعطاء ماهو للانثى للذكر وذلك من باب المقابلة بالمثل في اعطاء ماهو للذكر للانثى في تسمية المرأة زوجاً فان الاصل في مجيء زوج ان يكون للرجل فجيء بالزوج للانثى وكذلك الحمراء أطلق على الذكر للمقابلة فحمراء يُجمَع على حمراء كفُلْك وفُلْك وهذا القبيل في الجموع جاءت فيه طوائف اذكر منها :

١ = فُلْك وفُلْك قال صاحب الصحاح في مادة (ف ل ك) «وكان سيبويه يقول الفُلْك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد وليست مثل الجُنُب الذي هو واحد وجمع» اي فُعْل وفُعْل ٠

٢ = فُلُك وفُلُك اي فُعُل وفُعُل ٠

٣ = دِلاص ودِلاص ٠ قال الجوهري يقال درع دِلاص ودُرُوع دِلاص ٠

٤ = فُرات وفُرات ٠ جاء في التاج «وماءٌ فُرات ومياهٌ فُرات بالضم والكسر وقد تقدم انه لايجمع الا نادراً» قلت الكلام في صحة الورود لا في كثرة الورود وقلته ٠ وفي التاج ايضاً الضُرار كغراب يكون للجماعة والواحد ٠

٥ = فعيل وفعيل = مثل كثير وقليل وكريم فيقال رجل كريم ورجال كريم

٦ = فِعْل وفِعْل = مثل طِفل وطِفل .

٧ = فَعُول ج فعول مثل لَبُون ولَبُون فجاءت صيغة جمع في قول امرئ القيس :

تَظَلُّ لَبُوني بالقُرَيَّةِ أُمَّنَاً ‏ ‏ وأُسرِحهاغِباً باكنافِ حائلِ

٨ = فَعَل وفَعَل = ومن ذلك خَوَل للواحد والجمع و كذلك وَلَد وأخ في قول الاخطل (ديوانه طبعة بيروت ص ٢١٧) .

فنحن أَخ لم يُلْفَ في الناس مثلنا ‏ ‏ أَخٌ حين شاب الدهر وابيضّ جانبهُ

اي نحن اخوة . وجار للمفرد والجمع اما للمفرد فكثير واما للجمع فكقول الاخطل (ديوانه ص ٣٠٠) .

لقد علموا ما أَعصرٌ بأَبيهم ‏ ‏ ولكنه جارٌ لهم وعبيدُ

اي جيران لهم .

٩ = فَعْلَى وفعلى من ذلك ناقة معْكَى ونياق معْكَى . وناقة هزْلى ونياق هزْلَى ومعكاء للمفرد ومعكاء للجمع

١٠ = فاعِل وفاعل ومن ذلك والد جمع والد قال (جرير ديوانه طبع مصر جزء ١ ص ١٣٢) .

اعياك والدُك الأَدْنَون فالتَمِسَنْ ‏ ‏ هل في شفاعة ذي الاهدام مفتخرُ

والادنون جمع ادنى فوالد هنا جمع والد . وجاء في تاج العروس (مادة م ل ح) لغسّان السليطي .

وبيض غذاهنّ الحليب ولم يكن ‏ ‏ غذاهنّ نيفان من البحر مالحُ

احبُّ الينا من أُناسٍ بقريةٍ ‏ ‏ يموجون موج البحر والبحرُ جامحُ

ونِينان جمع نون كحيتان جمع حوت فمالح اذن صيغة جمع لمالح

وأنشد أبو زيد لحيَّان ابن جبلة المحاربي «جاهلي» (مادة اغي في منجم العمران)

ألا ان جيراني العشية رائحُ دعتهم دواع للنوى ومنازِحُ

فاعاد الى رائح ضمير الجمع في دعتهم فرائح صيغة جمع

وجاء في الجامع الصغير للامام السيوطي (طبعة مصر حديث ٦٤٦٧) هذا الحديث: الكوثر نهر ... ترده طائرٌ أعناقها مثل اعناق الجُزُر جمع جَزور) فطائر جمع طائر لذلك قال اعناقها

ولسائل أن يسأل أين جاء القول أن فَعلاء صيغة جمع لفعلاء فاجيب: ان هذا القول له مصادر متعددة:

الأوّل: ما جاء بمعنى الجمع لابُدَّ من أن يكون جمعاً أو اسم جنس او اسم جمع وقد انتفى أن تكون حمراء في المثال الوارد في كلام الامام علي والمثال الوارد في كلام زياد اسم جمع أو اسم جنس فهي صيغة جمع

الثاني: قول علماء التصريف واللغة طرفاء وبغثاء وطائفتهما · للواحد والجمع وحكم طائفة متعددة الحروف حكم حرف منها

الثالث: ان النعت يجب أن يعود منه ضمير الى المنعوت يطابق المنعوت في التذكير والتأنيث والافراد والتثنية والجمع فنقول زيد كريم و كريم أبوه و كريمان أبواه و كريم أبواه و كريمة أمه و كريمة أُمه وأُخته و كريمة اصولهُ فلا بدَّ من أن يعود ضمير النعت الى المنعوت مطابقاً له فقولك أُمَّة يعملون الخير دلّ الضمير في يعملون على أن أُمَّة جمع مذكر سالم او اسم جمع

لأن ضمير جمع المذكر العاقل لا يعود إلاَّ الى أحدهما · فاذن حمراء كثر عددهم لا يعود إلا إلى جمع او اسم جمع وقد قام الدليل على ان حمراء ليست اسم جمع فهي جمع

وهنا سؤال آخر هو : من صرّح بهذا الرأي

اجيب : لم أطّلِع على قول لامامٍ جاء صريحاً بهذا ولكنني استخلصته مما تقدّم بيانه · وها أنذا أسأل أي صاحب معجم ذكر ان طائراً يجمع على طائر ووالداً على والدٍ ورائحاً على رائح ومالحاً على مالح · فان كان هذا البناء يمتنع قبوله صيغة جمع فان أقوال أولئك القائلين مردودة ولا يمكن ردّها لأن من قالوها فصحاء · ولأن المعاجم ذكرت داجاً وحاجاً وجاملاً وباقراً في صِيَغ الجموع والقياس يقبل مجيء طائر على طائر كحاج على حاجٍ وحيث للقياس سبيل فما من وجه للإمتناع عن قبولِهِ

ولقائل أن يقول جئت بأفعل وفعلاء مما لا ورود له في قول الكامل الذي خصّ بالذكر افعل فعلاء دون سواها قلتُ الخلاف لم يكن في أفعل فعلاء ولا في فعلاء افعل وإنما هو في فعلاء صفة لجمع ولذلك جئت بشاهد «الشيعة الشنعاء» والشنعاء مؤنث شنيع وليس في اللغة أشنع إلا أفعل تفضيل كأحسن من حسين وأكرم من كريم [1] فإذا أقنع الكرملي ما قدّمتهُ فحسن وليعترف بالصواب لصاحبه وإن أصرّ على رأيهِ أسأله

(١) فشنعاء ليست من طائفة فَعْلاء أفعَل التي جاء كلام المبرّد فيها · وقد قَبِل الكرملي أن يناقش في الشاهد الذي رواها

أولاً — ألم يقف على حديث «ليس في الخضراوات صَدَقة» ومفرد خضراوات خضراء كما صرح بذلك السيد عبد الله (شرحه للشافية ص ١٠٢) وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري حاشيته على السيد عبد الله في الصفحة عينها[1]

ثانياً — ألم يقف في مادة (ح م ر) في التاج على ما يأتي « وأنشد الأزهري . أشكو إليك سنواتٍ حُمْرا . قال أخرج نعته على الأعوام فذكَّر (أي أعواماً حُمْراً فحُمْر جمع أحمر لا حمراء) ولو أخرجه على السنوات لقال حمراوات (أي جمع أحمر حُمْر وجمع حمراء حمراوات) . وهذا يعارض قول الكرملي أحمر وحمراء وحُمْر وحمران لأنه يتضمن أن أحمر له حمرٌ وحمراء لها حمراوات والكرملي يمنع حمراوات) ويقول حمر لاحمر وحمراء معاً . وقال غير الأزهري قيل لسني القحط حمراوات لاحمرار الأفاق فيها فجاء بحمراوات والكرملي ينفيها

٣ — جاء في الفصل الحادي والعشرين من خاتمة معجم المصباح للفيومي القاعدة التي نقلها عن أبي إسحاق للزجاج وهو خريج المبرِّد وحقيبة علمه (بغية الوعاة للسيوطي طبعة مصر سنة ١٣٢٦ ص ١٧٩) وهي هذه :

قال أبو إسحاق الزجاج « كل جمع لغير الناس سواء كان واحده مذكراً أو مؤنثاً كالإبل والأرحُل والبغال فإنه مؤنث وكُلُّ ما

---

(١) والكرملي لم يذكر أن خضراء تجمع على خضروات ومذهبه ان جمعها على خُضْر صفةً وعلى أخاضر موصوفاً

جمع على التكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيرُهُ وتأنيثه مثل الرجال والملوك والقضاة والملائكة فإن جمعت بالواو لم يجز إلا التذكير نحو الزيدون قاموا · وكل جمع (ولم يقل وكل اسم جنس) يكون بينه وبين واحدهِ الهاء نحو بقر وبقرة فانه يذكَّر ويؤنث وكل جمع في آخره التاء فهو مؤنث نحو حمامات وجرادات وثمرات ودريهمات ودنينيرات هذا لفظُهُ · أما تذكير الزيدون قاموا فلأن لفظ الواحد موجود في الجمع بخلاف المكسر نحو قامت الزيود حيث يجوز التأنيث لأن لفظ الواحد غير موجود في الجمع فاجتزِئَ على الجمع بالتأنيث باعتبار الجماعة وأجاز ابن بابشاذ (انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٧٣) قامت الزيدون بالتأنيث باعتبار الجماعة وقياساً على قامت الزيود · قال ومثله قوله تعالى إلا الذي آمنت بهِ بنو اسرائيل فأنث مع الجمع السالم وهو ضعيف سماعاً وأما قياسه على قامت بنو فلان فالواحد المستعمل في الافراد غير موجود في الجمع فاشبه جمع التكسير حتى نقل عن الجرجاني (وعبد القاهر انظر ترجمته في بغية الوعاة ص ٣١٠) أن البنين جمع تكسير وإنما جمع بالواو والنون جبراً لما نقص كالأرضين والسنين وفيه نظر اه فبما أن كل جمع تكسير مؤنث ينعت بصيغة فعلاء لأنها للمؤنث · إذن يقال هضاب ملساء وأدلة غرّاء وشمائل حسناء وكُرَيات بيضاء

البحث الثالث

تَعرُّض الكاتب (امين) لتخطئة الغير وهو المخطئ

هذا هو العنوان الذي جاء به قلم الأب أنستاس في تسمية بحثه الدقيق وصدره بتوطئة هي هذه :

١ — توطئة البحث

قال الأب أنستاس « ما يكتب أمين الفاضل مقالةً أو رسالةً أو كتاباً إلا يتعرض بالغير (كذا معدّياً الفعل بالباء) وبتخطئتهم مع أنهُ — لو درى — هو المخطئ · فقد ذكرنا لك كيف أنه (كذا) خطأ ما جاء في ترجمة الأحنف التميمي ولبس ثم وهم ولازلل) ·

أجيب : أولاً — ما من عالم معاصر للأب الكرملي إلاّ صوَّبَ الكرملي إلى صدرهِ سهامَهُ وأصلت فوق راسهِ حسامَهُ ويا لها من سهام لا تصيب مرمى وأعجب به من حُسام من الأسرُب يتكسر في يد مصلته الجبَّار وغاراته الشعواء على اليازجي والبستاني وضومط والمغربي وسواهم معروفة عند أدباء هذا العصر فما أصدق المثل القائل رمتني بدائها وانسلت

ثانياً — تخيل أنني خطأتُ زياداً على حين جئتُ بالشاهد من كلامهِ وأشرتُ إلى موضع الشاهد فقلت كذا أي كذا قال فقوله موافق لدعواي · فاتخذ من وهمه حجة للإدعاء عليَّ بما يشنأني ومن تقتاده أوهامُهُ فأيَّ رجل حقيقة يُعَدُّ وأية حجة حجته في جلاء الغامض · وأما خطاء عبارته فسيجيء البيان عنه في ذيل هذا المقال

٢ – التحرش بالطبيب أمين باشا المعلوف

قال الأب أنستاس «وقد تحرّش أيضاً بمقاله هـذا بالدكتور أمين باشا المعلوف الذي نعته باللامع (كذا) فقال ناقداً نقد الدكتور الجزء الأول من مدخل فن الجراثيم .... قال الكُرَيَّات البيضاء والكريات الحمراء والصواب بيض وحمر ولا يجوز غيرهـا (كذا) وأظن (هذا كلام أمين ظاهر خير الله) انها غيرهما فسقطت الميم في الطبع .» اه كلامُهُ

أجيب ان هذا هو عين التحرش فمن أقام الأب الكرملي وصياً على الطبيب حتى يبرز الى هذا الميدان . أو ليس للطبيب أن يعلن ما يقول في هذا التصحيح . والذي في علمي أن هذا الطبيب يختار الأساليب الجلية على المبهمة والطرق المعبّدة على المُهمَلة فلذلك قلتُ أظنُّ لأن الخطأ يقع كثيراً من قِبَل عَمَلَة المطابع ففي مقالي : أيقال كرَيَّات بيضاء وقعت أغلاط مطبعية منها انني أوردت قول العباس ابن مرداس السلمي

حتى صبحنـا أهل مكة فيلقـاً شهباء يقدمها الهمامُ الأشوَسُ

فجاء في الطبع فيلق مكان «فيلقـاً» ومثل هذا الخطاء وقع في مقالة الطبيب أمين باشا في قولهِ «والأصلح قضاءها» قات والأصلح مبتدا وقضاؤُها خبر وهذا لا يخفى على أمين باشا فالخطاء من العامل المطبعي لا من صاحب المقال . ولم يكن في طاقتي أن أمرّ بعبارة «ولا يقال غيرها» ولا أنظر اليها بعين الاهتمام

٣ – الكرملي يُعلن صحة عبارة الطبيب

قال الكرملي « قلنا لا خطأ في كلام أمين باشا المعلوف فان غيرها معطوفة على حمر وبيض معاً فيجوز الإفراد والتثنية والجمع »

أجيب أولاً – ليس الاعتراض عليك فيكون الجواب لك وللطبيب أن يقبل الملاحظة أو يردّها ويكون لكل حادث بعد قبوله الملاحظة أو رفضها حديث

ثانياً – ان المتحرش من يعمد إلى أضعف وجوه التخريج فيختاره على غيره لا من يختار الأقوى الراجح على الضعيف المرجوح . ولذلك قال ابن هشام صاحب مغني اللبيب (جزء ٢ ص ١٢٩ طبعة مصر سنة ١٣٠٢) « لا يجوز للمعرب أن يخرِّج إلاّ على ما يغلب على الظنّ إرادتهُ . وإن أراد مجرَّد الإغراب على الناس وتكثير الأوجه فصعب شديد » قلت إن مجرَّد الإغراب هو ما اتخذه الأَب أنستاس هَدَفاً لا يحيد عنه ولا يسأم الاتصال بهِ . فاذا كان يجوز في تخريج الضمير المتصل بغير في هذه العبارة أن يكون للمفرد أو للمثنى أو للجمع فما لا يجوز أن يعدل المعرب إلى أضعف الوجوه وأبعدها عن الاستعمال المألوف . فعليه أن يخرّج على ما يغلب على الظنّ إرادتهُ لا على البعيد الغامض . وما ذهب إليه الأَب أنستاس هو البعيد بدليل أنه لم يجد شواهدَهُ إلا في لسان العرب أكبر المعاجم وأقلها انتشاراً لغلاء ثمنه . أما المذهب الذي ذهبتُ إليهِ فان شواهده

دانية واستعمالهُ مألوف عند العامة صحيح عند الخاصة ووارد في كتب التصريف والنحو قديمة وحديثة

ثالثاً — ينبغي أن يقع استعمال العلماء المتعارفَ في الحدود التي أصبحت حقائق متداولة على ما نصَّت عليه الكتب ولا ينبغي أن يخترعوا في الحدود ألفاظاً جاء استعمالها في معان خاصةٍ ليست لما في كلامهم فقول الكرملي « فان غيرها معطوفة على حمر وبيض معاً » تعبير لم يورده نحويٌّ ولا لغوي · فالمعطوف يجب أن يصحبه مقدماً عليه حرفُ عطف وأن يسبقه معطوف عليه فأين المعطوف عليه وأين حرف العطف في قول الطبيب بيض وحمر ولا يقال غيرها والتعبير الصحيح الذي جاء في كلام النحاة قولهم والضمير في غيرها عائد إلى بيض وحمر معاً · فإذا كان هذا الوجه من التعبير يغيب عن خاطر الكرملي فماذا في خاطرهِ

٤ = شاهد الكرملي الاول — الارض والجبال

جاء الكرملي بشواهده تباعاً · أوَّلها « وحملت الارض والجبال فدُكَّتا دكة واحدة قال الفرَّاء دكَّتُها زلزلتها · ولم يقل فدككن لانه جعل الجبال كالواحدة · ولو قال فدكَّت لكان صواباً » فليحفظ امين ظاهر ·

اجيب : اولاً — بارك الله في ادب الاب انستاس الذي ينسى او يتناسى ان المناظر نظير لاطالب صغير يفُرَض لَهُ ان يحفظ درساً يلقيه عليه شيخ يقال انه كبير! ومن المعلوم ان الادب ادبان ادب

نفس وادب درس فلا صلة للاب انستاس بادب النفس لخروجه عن المألوف في خطاب النظراء · واما ادب الدرس فما في هذا المقال يوضحه بتعليلاته ومزاعمه ·

ثانياً — هذا الشاهد من القرآن الشريف اختار التثنية دون سواها وما اختاره القرآن هو الاجود ولا ريب وكلامي وافق هذا الكلام الشريف فاتى اختياري مطابقاً ما يسلم العلماء بانه المختار · وجاء الكلام الذي زعم الكرملي انه للطبيب موافقاً لكلام الفرّاء · فهل يستوي ما ذهب اليه القرآن الكريم وما ذهب اليه الفرّاء عند العلماء فكلام القرآن في الثريا وكلام الفرّاء في الثرى · فماذا يقال في من يعيب على مَن كلامه في الثريا ويُفَضِّل عليه كلاماً ازاءه في الثرى ·

ثالثاً — القرآن الكريم في منزلةٍ ليست للشعر ولا للنثر والكلام الذي يطابقه هو اعلى الكلام بياناً والنسج الذي يأتي على مثالهِ افضل نسج فصيح · فبينما أنا اريد ان يبلغ كلام الطبيب المنزلة الفضلى يريد الكرملي لذلك الكلام المنزلة المفضولة · وهذا شأن النصير الذي لا يُحسِنُ الاختيار — فنعم النصير ! انت ايها الاب انستاس ·

رابعاً — لم يقف الاب انستاس عند اجازة قول الطبيب فقال اني مخطئٌ اذن يعدُّ من الخطاء ما تخيَّرتهُ وقد اعترف هو من نفسهِ انه طابق ما في القرآن · فهو يريد ضمناً ان ينسب الى القرآن الخطاء · فماذا يكون علم هذا الاب وما ادباه ادب نفسهِ وادب درسهِ حتى اباح لقلمهِ ان ينسب الى القول الآتي على ما يوافق تعبير

القرآن الخطاء . اوليس السرُّ في هذه الجملة انه يريد ان يوجِّهَ سهمه الى قلب القرآن الكريم فارسلهُ الى صدر قولي علانية فأكرم به من رام مسدّدٍ ولكن الى نحرِهِ :

فيالَكَ رامياً يرمي سواهُ فتنصرف السهام الى حشاهُ
اهذا شأن ذي عقل حصيف وقد جلبت مَنِيَّتهُ يداهُ

خامساً - الآية جعلت الارض شيئاً والجبال شيئاً آخر واعادت اليهما ضمير التثنية وهذا هو الافصح وعلى مثالها قول الاسود ابن يعفر (مغني اللبيب فصل كلا) .

ان المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم يرقبان سوادي

وهو الاسلوب الافصح . وجاز ان يعود ضمير المفرد الى الارض والجبال على تأوُّل ان الجبال بعض الارض فكان القائل ضمَّ الجبال الى الارض وعدَّهما واحداً . وهذا يصحُّ فيهما ولا يصح في بيض وحمر فان كلاً منهما مستقلٌّ عن الآخر والقياس على الفارق لايصح . فهذا الشاهد لايُؤيِّد صحة عبارة الطبيب بل يؤيد صحة تخطئتها . والشواهد التي تؤيد عدّ الارض والجبال واحداً كما اتى في كلام الفرَّاء كثيرة منها شاهد النحاة :

لكل ضيق من الامور سعَهَ والمسي والصبح لابقاء معَهُ

وقول الشاعر القديم :

وكأن في العينين حبّ قرنفلٍ او سنْبلاً كُحِلت بهِ فانهلَّت

وقول ابي تمَّام .

وطول مقام المرء في الحيِّ مُخلِقٌ لديباجتيهِ فاغترب تتجدَّدِ

وقول المتنبي :

حشاي على جمرٍ ذكي من الهوى وعيناي في روضٍ من الحسن ترتعُ

وهذه الاقوال جاءت عن ضرورة لموافقة الوزن والقافية ولو صحَّ ان يقال لابقاء معهما وخلتا بهِ فانهلتا واغترب تتجددا وفي روض من الحسن ترتعان لقيلت على هذا النمط · ولذلك جاءت رواية في قول المتنبي وعيني – فهذهِ الشواهد تثبت ان مذهب الفراء في عدِّ الارض والجبال شيئًا واحداً اعرفه فقول الاب انستاس فليحفظ امين ظاهر من الفضول والخيلاء وجهل ما عند مناظره من الاطلاع على مناهج الكلام ·

سابعًا – قال الكرملي «يجوز الافراد والتثنية والجمع» وقد ابنت عدم جواز الافراد فأُثبت عدم جواز الجمع واقول بيض وحمر في قول الطبيب علَمان للصفتين في الكريات البيض والكريَّات الحمر · والعَلَم يُنقَل عن الجمع والمثنى فيكون بعد نقله مفرداً مثلاً سعود جمع سعْد وزيدان مثنى زيد فتقول نعم الرجلان سعود وزيدان ولا يقال نعم الرجال سعود وزيدان · فالقول بعودة ضمير الجمع الى بيض وحمر خطأ والقياس على قول الفرَّاء في الآية لايصح لان الجبال لبثت صيغة جمع واما بيض وحمر فمفردان ·

ثامنًا – منعي تأويل بيض وحمر بمعنى انها مفرد متَّجه الى أن بين ما قاسه الكرملي وما قاس عليه فارقًا لأَنَّ قواعد علم النحو تمنع

تأويل بيض وحمر بالواحد وسيأتي في الشاهد الثاني الكلام في صحة التنظير .

تاسعاً — اتى الكرملي بهذا الشاهد فشهد على نفسه بالخطاء مضاعفاً وبخلوه من ادب النفس وهذا الخلو اقبح المذام واحقها بالملام ولله درُّ القائل :

ماتبلغ الاعداء من جاهل   مايبلغ الجاهل من نفسهِ

٥ — الشاهد الثاني — الراوية

وشاهد الكرملي الثاني « قال اللغويون ومنهم صاحب اللسان في (روي) الراوية هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقي (باثبات نقطتي الياء) عليه الماء »

أسألُ : اكذا كتب يستقي أو كتب يستقى والنقطتان من مرتّب الحروف .

ثم أجيب : أولاً — اللام في قال اللغويون للجنس أي أجمع اللغويون على هذا القول . وليس ذلك صحيحاً وادّعاء الإجماع مردود بقول صاحب المصباح (في روى) « روى البعير الماء من باب رمى حمله فهو راوية والتاء للمبالغة ثم أُطلِقت الراوية على كل دابة يُستَقى (بناء الفعل للمجهول) الماء عليها » وقول صاحب معيار اللغة في تلك المادة « روى البعير الماء كرمى رواية ككتابة حمله ونقله فهو راوية والهاء للمبالغة ثم أُطلِقت الراوية على كل دابة يُستَقى الماء عليها » وقول صاحب أساس البلاغة « وله راوية يُستَقى عليه وهو بعير السقّاء .

فأين الإجماع الذي يزعمه الكرملي . فان عبـارة اللسان أسخف عبارة جاءت في تعريف الراوية . وما أصح قول القائل « إن الطيور على أشكالها تقعُ »

ثانياً – الشاهد السابق من باب . وهذا الشاهد من باب آخر . وعبارة الطبيب يصحُّ أن تقاس على عبارة اللسان . وباب هذا الشاهد أورَدَهُ ابن فارس اللغوي في كتابهِ الصاحبي (طبعة مصر سنة ١٩١٠ ص ١٨٥) وسماه باب نسبة الشيء إلى أحد اثنين وهو لهما » وجاء بالشواهد خمسة : أولها

قال الله جلّ ثناؤه : إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها . وإنما انفضوا إليهما . فراجعها في موضعها . فإذا صَحَّت شواهد ابن فارس فان شاهد الكرملي هذا لا يقاس بها وهذا ما يدلُّ على أنهُ يحاول أن يأتي بالدر من سوق البعر لا من سوق الدُّرِّ فماذا يقال في هذا الغوص في سوق البعر للعثور على درر التعابير .

ثالثاً—لم أقلْ إنّ في عبارة أمين باشا خطاءً البتة لا نصاً ولا تلميحاً فعلامَ يعزو الأب أنستاس إليّ ذلك ولكني قلتُ أظنُّ فأظنُّ تتضمن أن مذهب القول المظنون فيه مرجوح لا راجح وجائز لا حسن والكاتب الرشيق العبارة يختار الحسن على الجائز . وما أثبته النقد دلّ على أن قولي عادل لا جائر .

رابعاً – من البديهي أن الجليّ يفسِّر الغامض والمألوف يوضح غير المألوف فابن فارس قال انفضوا إليها وإنما انفضوا إليهما – فجعل

التثنية الوجه الجلي والافراد الوجه الغامض · ونسبة الغموض إلى عبارة الطبيب مأخذ عليه لا جودة تستلزم الحرص عليها فاختيار غير المألوف على المألوف دليل فساد الذوق · وبئست الصفة هذه · وقبيح أن يلصق الكرملي هذه الصفة بعبارة الطبيب الكريم على أحبائه لا سيما سميه

خامساً — ليست البلاغة من مستلزمات التبحرُّ في اللغة فيكون ما ورد في اللسان قسطاساً عادلاً · ودليل ذلك أن شعر العلماء أضعف من شعر الشعراء · فابن منظور صاحب اللسان لا يؤخذ كلامه نمطاً عالياً في البلاغة وعبارته التي استند الكرملي إليها تعاب ولا يثنى عليها وعبارة الفيومي صاحب المصباح خير منها

والإمام ابن الحاجب من كبار النحاة وقد عاب عبارته الشيخ الرضي فقال في عبارته « في فصل الجمع » وشرطه إن كان اسماً فمذكر عَلَمٌ » عبارة ركيكة وذلك لأنه لا يجوز أن يكون قولهُ إن كان اسماً فمذكر » شرطاً وجزاءً خبراً لقوله شرطه لأن المبتدأ المقدَّر إذن بعد الفاء ضمير راجع إلى (اسماً) أي فهو علم فيخلو الجملة من ضمير راجع إلى المبتدإ الذي هو شرطه مع أنه لا معنى إذن لهذا الكلام · ومعنى الكلام إن كان اسماً فشرطه أن يكون عَلَماً · فيكون على هذا جواب الشرط مدلول الجملة التي هي قوله شرطه فمذكر » · وللكلام بقية أنظرها في شرح الكافية (جزء ٢ ص ٢٠٣) فما منع علم ابن الحاجب أن يعيب الرضي قوله كما رأيتَ في هذا

النصّ الصريح . ولذلك ليس علم ابن منظور واقياً عباراته من الركاكة وتفضيل عبارة الفيومي عليها

والإمام الجوهري انحى اللغويين أورد في مادة (ح م ر) الحمارة حجارة تُنصَب حول الحوض لئلاً يسيل ماؤه » فجاء في القاموس «الحمارة حجر يُنصب حول بيت الصائد ج حمائر » وجاء في التاج «قال ابن بري » والصواب في عبارة الجوهري أن يقول الحمائر حجارة الواحدة حمارة وهو كل حجر عريض»فخطأ ابن بري الجوهري كما خطأ الشيخ الرضي الإمام ابن الحاجب ووقعت كلمة ابن بري عند صاحب التاج موقع القبول فنقلها . وما للجوهري وابن الحاجب من التقدم في مكانة علمية لم يمنع من نسبة الخطاء إلى عبارتيهما . وإذا وُضع الخلاف بين الجوهري وابن بري موضع البحث اتسع المجال للقول إن لكلام الجوهري وجهاً صحيحاً وذلك أنه ذكر أن الحمارين حجران ينصبان ويوضع فوقهما حجر يجنّف عليه الأقط والحماران كما جاء النص مثنى حمار . فالحمار يُطلق على الحجر الواحد فجمع الجوهري حماراً بالتاء فقال حمارة حجارة . فالتاء في عبارة الجوهري للجمع وفي عبارة القاموس للأفراد . ولكل من القولين وجه صحة . والجوهري أعلى كعباً في النحو من الفيروز ابادي وردُّ قولهِ لا يصحُ بدون دليل . فالتاء في قاطنة تكون للجمع وتكون للأفراد والقرينة تعين المقصود والقاموس يسلِّم بالتاء للجمع كعفوٍ وعفوة واستطرد إلى بحث حمار بمعنى حجر فانّ جمعه على حُمُر ، فالشاهد

في «الحُمُر الخشباء» على ما ذهب إليه صاحب معجم البلدان بتضمن الحجارة الخشنة فالحمر موصوفة والخشباء صفتها وهذا النعت امامن قبيل مجيء المفرد المؤنث نعتاً للجمع المكسر كما قال أبو إسحاق الزجاج وامامن قبيل مجيء الجمع نعتاً للجمع فخشباء جمع أَخْشَبْ كحمراء جمع احمر . وقد جاء في شرح الچاربردي للشافية ص ١٤٣ طبعة القسطنطينية سنة ١٣١٠) ان الجمع في مالا يعقل من المذكَّر يجري مجرى المؤنث» وسواء أكانت خشباء بناءً مفرداً او صيغة جمع لا وجه لانكار انها جاءت نعتاً للحمر في قول صاحب معجم البلدان الحُمُر الخشباء . وإن الحُمُر صيغة جمع

سادساً — العلماء يُستَشهد بمنقولهم لا بأقوالهم ، ولا يخفى ان الحريري صاحب المقامات وملحة الإعراب ودُرَّة الغواص امام في اللغة والنحو والتصريف . وهو القائل في المقامة المَراغيَّة « واستعنتُ بقاطبة الكُتَّاب » فاضاف قاطبة ولم تقرَّ المعاجم قوله « ففي الاساس جاءت تميم قاطبة » وفي المصباح « جاء الناس قاطبة » وفي الصحاح « جاء القوم قاطبة اي جميعاً وهو اسم يدلُّ على العموم » . وفي القاموس وشرحه التاج « جاؤوا قاطبة اي جميعاً قاله سيبويه لاتستعمل الاَّ حالاً » وفي معيار اللغة « جاء القوم قاطبة اي جمعاً وهي اسم يدلُّ على العموم لاتُستَعمَل الاَّ حالاً » ولم تقع حالاً في كلام الحريري .

فالاستشهاد بكلام ابن منظور كالاستشهاد بكلام الحريري فهو على وجه الاستئناس لا على وجه القطع . وان جاز الاستشهاد بكلام ابن منظور كحجة راهنة فلي ان استشهد بكلام شيخ العروبة المرحوم

احمد زكي باشا زميل الاب انستاس في منع فعلاء صفة للجمع فانه اورد في ذيل كتاب التاج الذي طبعه سنة ١٩١٤ (ص ١٥٧) ما يأتي «وذلك لعمري يشابه كثيراً من الايادي البيضاء (كذا لا البيض) التي اسداها الخلفاء والسلاطين» فشيخ العروبة لم يرضَ الليالي السوداء واتى بالايادي البيضاء .

وجاءَ في كلام الشيخ احمد فارس الشدياق صاحب الجاسوس على القاموس وهو من أئمة اللغويين مثل هذا التعبير مراراً في كتابه كشف المخبأ عن فنون اوربا (طبعة الجوائب سنة ١٢٩٩) من ذلك المُدُن الغنّاء (لا الغنُّ) (سطر ١٠ ص ١٨٥) .

٦ = الشاهد الثالث — المِعضَد والمِعصَم

قال الكرملي : «وقال صاحب اللسان ايضاً (ع ن م) قال رؤبة :

وهي ترِيك مِعضداً ومِعصَما عبْلاً وأطراف بنانٍ معُنَّما

وضع الجميع موضع الواحد اراد وطرف بنانٍ معُنَّما» اه . ولم يقل معضداً ومعصماً عبلين كما لم يقل واطراف بنانٍ معُنَّمة . ومعنما عائدة الى اطراف واطراف جمع طرَف اذن جاز للدكتور ان يقول ما قال ولم يُصِب امين الفاضل في تخطئتهِ» .

اجيب اولاً — هذا الكلام صدرُهُ لابن منظور حتى اه اي انتهى وذيله للاب انستاس شقيق الطبيب نابوليون الماريني الذي لهُ في اعداد مجلّة الصفاء اللبنانية لسنتها الاولى ردٌّ على الاستاذ اليـاس

بهنا فيه من العبارات الشائقة ! مافيه فلاغرو ان ورث الشقيق شقيقه وسأردُّ على كلّ من القولين على حدة ·

ثانيًا — في قول ابن منظور « وضع الجميع موضع الواحد اراد وطرف بنانٍ معنما » ·

قلتُ : ما وجه وضع الجميع موضع المُفرَد · فان هـذا الوضع خروج عن المألوف فلا يصحُّ إلاّ لعلَّة تسوّغه فاين هذه العِلَّة لأنه اذا جاز بغير مسوّغ نعت الجمع بالمفرد اختلَّت قاعدة النعت وباتت قواعد النحو الاعيب صبيان ومعاذ الله ان تكون الاعيب فهي قواعد ناشئة عن حكمةٍ مدهشة وانظمة دقيقة مُحكَمة ·

أتراه يريد أن يقول ان الاطراف كلها في طول واحدٍ حتى تبدو للعين كطرف واحد · قلتُ ان أراد ذلك فقد نسب الى اطرافها أنهـا مُشوَّهة فان جمال الاطراف في أن كل طرف مغاير رفيقه فللخنصر شكل وللبنصر شكل وللوسطى شكل وللسبَّابة شكل وللابهام شكل

أو أراد أنها كلها ذات حركة واحدة فكأنها طرف واحـد قلتُ يكون ذلك من العيوب لا من المستحسن · وانما يصحُّ أن يقع الجمع موقع المفرد وينعت نعته متى تنعذَّر التفرقة بين أفراد الجمع كما لو اريد التفرقة بين النَجَل والحَوَر او بين الكريات وهي غاية في الدقة فنعـدُّ الكُرَيَّات المتعدِّدة كُرَيَّة واحدة

فتعليل صاحب اللسان لا يصحُّ في أطراف ويصح في كُرَيَّات ·

والتعليل الصحيح أوردَه الجوهري في مادة (خ ل ف) في صحاحِهِ

فقال أن الفرّاء قال « كل جمع بني على صورة الواحد صاغ فيه توَهم الواحد كقول الشاعر : مثل الفراخ نتفت حواصله لأن فراخاً ليس فيه علامة الجمع وهو على صورة الواحد كالكتاب والحجاب » وقد مرّ صاحب اللسان بقول الفرّاء فعدل عنه إلى قول آخر فأثبت عدوله ان الجوهري أدرى منه بالحقائق اللغوية وأساليب التخريج الدقيقة .

فرؤبة رأى أطرافاً على صورة بَلْبال ووسْواس وقَسطاس . وعلى هذا الأساس تذكَّر الأنعام وتؤنَّث . ومن قال النَّعَم الإبل خاصة والأنعام ذوات الخف والظلف فالأنعام حينئذٍ ليست جمع نعم بل اسم جنس جاء على صورة الجمع فهو يذكر ويؤنث كسراويل اسم جنس لنوع من الثياب أتى على صورة الجمع .

وتعليل صاحب اللسان يصحّ أيضاً في أخلاق حسناء وشيم زهراء وشمائل علياء . لأن الأخلاق مما لا يستطاع وضع الفوارق بينها فهي وإن تَعَدَّدت كالخلق الواحد ولذلك قال المتنبي

هو الشجاعُ يعدُّ البُخْلَ من جبنٍ وهو الجواد يعدُّ الجُبْنَ من بَخَلِ

فمذهب صاحب اللسان يخطئ مذهب الكرملي في منع أخلاق حسناء وشيم زهراء وشمائل علياء » وهذا الكلام وافٍ بمناقشة صاحب اللسان فانصرف الى مناقشة الكرملي

ثالثاً — ذراع الانسان من مرفقه إلى أطراف أصابعهِ . وعضدُهُ ما بين مرفقه إلى كتفه والتعريفان عن المصباح . فليس العضد من

الذراع وأما المعصم فموضع السوار من الساعد · والساعد ما بين المرفق إلى الكف · وصفوة القول أن موقع المعصم في جانب من اليد وموضع العضد في الجانب الآخر · والمِعْضد أصلاً ما دار بالعضد فاذا نُقِل إلى ما دار بالمعصم فهو حينئذٍ من تسمية الشيْ بما يتصل بهِ كتسمية الغمد حمائل في قول الشاعر « زهير حسام مفرد من حمائل » أي من غمدٍ

فاذ كان رؤبة يريد بقولهِ تريك منها مِعضداً ومعصماً سواء يكون المعضد والمعصم مثل المسي والصبح لاينفك الواحد عن الآخر ولا يطابق قول الطبيب « بيض وحمر » وان اراد ما دار بالمعضد لا مادار بالمعصم فهو طبق قول الطبيب ومن اين استدلَّ الكرملي على أن عبَلاً صفة للمعضد والمِعْصَم معاً لاصفة للمعصم اختصاصاً لانه متى كان المعصم عبلاً فالعضد عبَل فهذا الشاهد فيه احتمال يمنع أن يكون حجَّة للكرملي في ما توخَّاهُ

رابعاً — روى الكرملي « اطراف بنانٍ معُنَمَا وقال « ان معْنَمَا عائدة الى اطراف » ·

فاعارضه واقول : اولاً — ما دليله على ان معنما مفرد مذكَّر · ولماذا لايقال ان في الكلام اكتفاء بحذف الحرف الأخير والاصل واطراف بنان معُنَمة فحذف التاء لدلالة القرينة كما روت النحاة في كتبها « وحاتم الطائي وَهَّاب المِئي » والاصل وَهَّاب المئين فحذف النون للضرورة ·

ثانياً : لماذا يقول اطراف بمعنى طَرَف ولا مسوّغ لذلك ولا يقول اطراف كأنعام على صورة وَسْواس كما جاء في تعليل الفرّاء وهو تعليل وارد في صيغ للجموع متعدّدة جاءت صفتها مفرداً مذكّراً .

خامساً — لايتحقق الكلام في هذا الشاهد إلاّ بمعرفة حقيقة « مُعنَما » فأقول :

معنم في قول رؤبة صفة محضة لامصدر ميمي ولا اسم مكان فهي صيغة اسم مفعول من اعنم — ولا يكون معنم بمعنى اشبه العنم كما في اللسان في تفسير هذا الحرف الا بعدما يجيء أعنم بمعني اشبه العنَم فاين جاء هذا المعنى في بناء أَعنَم . فما من معجم اتى بهذا المعنى . وها انا ذا اورد نصوص المعاجم :

في الصحاح « معنم — بغير ضبط — مخضوب » وعدم الضبط يسوّغ مُعنَماً من اعنم ومُعنَّماً من عنَّم « واللبس يمنع سلامة الاستشهاد » . وفي القاموس » بنان معنّم (بالتشديد) مخضوب . وفي التاج « قال ابو عمرو (لعلّه يريد ابن العلاء) اعنم إذا رعاه أي رعى العنم وبنان معنم كمُعظَّم (بالتشديد) مخضوب نقله الجوهري وابن جني » فدلّ هذا على أن الجوهري جاء بمُعنَّم المشدَّد لا الوارد في شعر رؤبة . وفي معيار اللغة « اعنم إعناماً رعى العَنَم . وبنان مُعنَّم كمعظَّم » قلتُ لا يجيء من أعنم بمعنى رعى العنم معُنَم بمعنى مخضوب . ولم يجيء في المصباح والأساس ولسان العَرَب اعنم بمعنى خضب أو بمعنى أشبه العَنَم — وجاء في لسان العرب مُعنَم أُشبه العَنَم بغير ذكر أعنم بذلك المعنى

ويصحُّ لقائلٍ أن يقول أعنَم الاصبع أو البنان بمعنى طلاها بالعنم أو صبغ أو خَضَب على مثال أذهَب الكأْسَ إذا طلاها بماء الذهب قلتُ هذا القول يصحُّ لمدّعي القياس القائل القياس حَكَمٌ لا يُرَدُّ حكمهُ فيكون مُعنَمٌ مما جاءَ القياس بهِ فلا مشاحة في صحته وإن لم يورده أصحاب المعاجم . والكرملي لا يخوّل القياس أن يكون الحكَمَ المتبوع . فاما أن يسلم بصحة القياس وحينئذ يكون تمسُّكه بالسماع دون القياس بناءً على ماجاء في قول المبرِّد مبدأ ليس صحيحاً . وإن ظل على مبدإهِ في لزوم السماع فليأتِ بنصٍّ يورد أعنم بمعنى موَّه أو طلى أو خضب أو صبغ . وأين يجد هذا النصَّ الذي خلت منه المعاجم الصحاح والقاموس وشرحه (تاج العروس) والمصباح وأساس البلاغة ولسان العرب ومعيار اللغة وهي المعاجم التي بين أَيدي أهل العلم .

سادساً — قال صاحب اللسان « وأطرافَ بنانٍ مُعَنَما » وضع الجميع موضع الواحد أراد وطرف بنانٍ معنما أقول أولاً — هذا الشاهد دليل على أن قولي غيرهما في « بيض وحمر ولا يقال غيرهما » هو الأصيل الذي يوافق قياس اللغة . وأمّا بيض وحمر ولا يقال غيرها فمن الدخيل الشاذ الذي يحتاج إلى تأويل . فلذلك احتاج قول روءبة إلى تأويل أَطراف بطرف . والطبيب أمين باشا يكتب ليبثَّ فائدة بين قُرَّاء المقتطف الذين في عدادهم التاجر والحائك والزارع والحداد والنجار والإسكافي وهؤلاء وأمثالهم لا يصل إلى

علمهم ما في اللغة من أنواع التأويل فإن على الطبيب أن يكتب الجلي الصريح لا الغامض المؤوَّل فالناس يُخاطَبون على مقدار ما تصل إليه فهومهم لا بما يتعذَّر فهمُهُ عليهم

ثانياً — في الصحاح «البنانة واحدة البنان وهي أطراف الأصابع ويقال بنان مُخَضَّب لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فانه يوحَّد ويذكَّر» وفي القاموس والتاج ومعيار اللغة نصوص كنص الصحاح فالبنان مذكر. ومن طرق التعبير عند العرب أن يعطوا اللفظ حكم ضدِّهِ أو حكم ما جاء بمعناه فأعطيَ أعزل حكم رامح وجمعوه على عُزَّل. وأُعطي أطراف حكم بنانٍ وهو مذكر فأعطوه نعته. وقد مرَّ الكلام في أعزل وعُزَّل وأما الكلام في أن أطرافاً أُعطي حكم بنان فهنا موضعه ولي دليلان أولهما: جاء في شعر امرئ القيس:

برهرهة رؤْدة رخصة كخرعوبة البانة المُنْفَطِرْ

فقال شارح ديوانه الوزير أبو بكر عاصم ابن أيوب «ذهب بالمنفطر إلى القضيب أي أن خرعوبة المؤنث معناها القضيب والقضيب يذكَّر فجاء بنعت القضيب إلى خرعوبة بحسب معنى هذهِ الكلمة لا بحسب لفظها. إذن جاء رؤبة بعيناً نعتاً لأطراف بمعنى بنانٍ المذكر لا للفظها المؤنث — (وشرح الوزير مطبوع مراراً منها سنة ١٢٨٢ في مصر)

الثاني: جاء في الاقتراح للسيوطي (وهو الكتاب المخطوط

الذي كان في مكتبة مدرسة عبيه الانجيلية سنة ١٨٦٢ و كان المعلم بطرس البستاني يومئذٍ من أساتذتها فنقل نسخة لنفسه وأتى بفوائد الكتاب في معجمه محيط المحيط) ما يأتي :

« قال أبو عمرو سمعت أعرابياً يمانياً يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت أتقول جاءته كتابي . فقال أليس بصحيفة » فأنث كتاباً حملاً على المعنى لا حملاً على اللفظ .

سابعاً — الأطراف والبنان بمعنى واحد . والإضافة على مثال سعيد كرز . وقد جاء لابن عقيل في شرح قول ابن مالك

ولا يضاف اسم لما به اتحد معنىً وأوِل موهماً إذا ورد

قوله « قولهم سعيد كرز فظاهر هذا أنه من إضافة الشيء إلى نفسه . لأن المراد بسعيد و كرز واحد . فيؤوَّل الأول بمسمىً والثاني بالاسم فكأنه قال جاءني مسمى كرز . وعلى ذلك يؤوَّل ما أشبه هذا من إضافة المترادفين كيوم الخميس » وفي شرح الأشموني مافي شرح ابن عقيل واستشهد بقول الشاعر :

فقلت انجوا عنها نجا الجلد أنه سيرضيكما منها سنام وغاربُهْ

وشرح الصبان قوله هذا فقال : الشاهد في نجا الجلد فان النجا بالجيم مقصوراً الجلد « أي النجا المسمى جلداً » وعلى هذا أقول أطراف بنانٍ بمعنى الأطراف المسماة بناناً فالنعت لأطراف بمعنى بنانٍ وبنان مذكَّر فالنعت جاء لمعنى اطراف لا للفظها فلا حاجة إلى تأويل اطراف بطرف كما ذهب إلى ذلك صاحب اللسان وبطل الاستشهاد

بقولهِ فبطـل قول الكرملي المبني عليـه ·

ثامنًا – للنحاة وجه في مجيء «مُعنماً» عن بنان لا عن أطراف هو أن معنماً حال صاحبها بنان لا أطراف والبنان مذكر والحال توافق صاحبها في التذكير والتأنيث · فجاء الحال مذكراً لأن صاحبها مذكرٌ · وان قيل شرط الحال أن يكون صاحبها معرفةوبنان نكِرة · قلتُ شرط الحال أن لا تجيءُ عن نَكِرةٍ محضةٍ وبنانمن أسماء الأجناس وأسماء الأجناس من الأعلام لا من النكرات المحضة ففيها رائحة التعريف وهي هنا مضاف إليه والمضاف إليه يُكسِب المضاف رائحة التعريف فحبة شعير بمعنى حبة من جنس الشعير إذن بنان في أطراف بنان فيها رائحة التعريف والحال جاءت لنكرةٍ محضةٍ كما في الشاهد الوارد في كتب النحاة نقلاً عن كتب الحديث وهو «صلى وراءهُ رجال قياماً» أي قائمين · إذن يكون «معنماً» حالاً لبنانٍ لا لأطراف فبطل شاهد الكرملي · وإن قيل هذا من التأويل البعيد قلت إن تأويل الكرملي أبعد جدًا · واختيار أقرب التأويلين أولى تبعـاً لقول الفقهاء «يزال الضرر الأشد باقرار الضرر الأخف»

تاسعًا – قال الكرملي «ومعنماً عائدة إلى أطراف وأطراف جمع طرف ·

أجيب : إن للنحاة مناهج لا يجوز الخروج عنها فصحة التعبير على مقتضى منهج النحاة «ومعنماً نعت أطراف · أو ومعنماً حال صاحبها أطراف · أو ضمير معنم عائد إلى أطراف · أمَّا تأويل قول الكرملي

ومعناً صفة عائدة إلى أطراف فلم يرد في كلام النحاة ولماذا هذا التطويل فيتألف الكلام من خمس كلمات ولو قال ومعناً نعت أطراف أو صفة أطراف لجاء بذلك المعنى في ثلاث ولوافق قول النحاة . وكان أبلغ . وإنما آثر الكرملي الخروج عن مناهج النحاة لأمرين أولهما جهله لها وهذا الأظهر والثاني عدم الحرص عليها استهانة بواضعيها . ومتى كان الكرملي يرعى حرمة الاحياء ليرعى حرمة الموتى

عاشراً – يجب على الأب أنستاس أن يعلم أنه حيث يكون مجال للفظ والمعنى معاً جاز للمتكلم انتقاء أحدهما ولذلك جاء كلا القولين صحيح لأن كلا مفرد وكلا القولين صحيحان مراعاة لمعنى كلا فهو يتضمن التثنية والأصل مراعاة اللفظ لا مراعاة المعنى ولذلك جاء النص في أنه يشترط على المعرب أن يدع الأوجه التي فيها تعسُّف . قال الشيخ الدسوقي (في شرحه المغني جزء ٢ ص ١٨٣ طبعة مصر سنة ١٣٠٥) « والمعرب لا ينبغي أن يذكر الأوجه البعيدة التي فيها تعسُّف » إذن لا يجوز أن يقال غيرها وإنما يقال غيرهما

فدفاع الكرملي الطويل العريض لم يؤيد ماذهب إليه في أنه يقال « بيض وحمر ولا يقال غيرها » هو الوجه الأصيل في التعبير بل أتى بما عند الأب أنستاس من المراوغة والمميل عن الوجه الصحيح وعدم الإصابة في التنظير والالتجاء إلى المناهج البعيدة عن مَلكة اللغة الفصحى فقد أدلَّ بعلمه فكشف الله عن وجهه القناع وأبانه من سقط المتاع .

البحث الرابع

أغلاط الكاتب أمين ظاهر خير الله

١ = توطئة الكلام

كتب الكرملي « سلمت أناملهُ » من عادة الكاتب (أمين ظاهر خير الله) أن يتعرَّض لتخطئة الكُتَّاب في كل ما يكتب ليحرز بعمله هذا سمعة ويفضِّل نفسه على سواهُ ولو أنصف لقضى أيامه في إعمال النظر في ما يكتب »

أجيب : أولاً – هذا القول أورده في صدر البحث الثالث – فما وجه تكراره – أترى ذلك عن ضعف الدعوى عليَّ فأكَّدها والدعوى الضعيفة يوهنها تأييدها ولا يؤيدها أو أمسى النسيان مسيطراً على الأب الكرملي فنسي أنه قال ذلك القول والنسيان يعرو الشيوخ في السن لا شيوخ العلم – أفيكون الأب أنستاس الآن أحدهم

ثانياً – عبارة الأب الكرملي غاية في الفهاهة وسيرد بسط الكلام عليها قريباً .

٢ = اعتراض الكرملي على قولي النطاسي اللامع

قال (قال أمين) في مستهل مقالته « نظر النطاسيُّ اللامع أمين باشا المعلوف » فاستعمل اللامع بمعنى الشهير وهذا الاصطلاح ليس بعربي المعنى . نعم يقال لمع البرق والنجم والكوكب أي أضاءَ ولكن إذا قلت لمع الرجل بالشيء كان المعنى ذهب بهِ . ولمع الرجل الباب أي برز منهُ فأنت ترى من هذا إذا خصصت لمع بالعاقل جاءَ بغير

المعنى الذي أراده الكاتب فمعنى النطامي اللامع الذي يذهب بالأشياء سرقة أم بغير سرقة والذي يبرز من الباب باب الدار أو باب العلم أو باب التحقيق وكل ذلك مضحك » اه

أجيب : أولاً — إذا عمد المناظر المنصف إلى نقد عبارة لمناظره لأن فيها غموضاً استوضح مناظره موضع الغموض فاذا جاء المسؤول بكلام وثيق الصحة قبله وإن جاء بزيف نقض العبارة عن بينة . ولكنَّ العلماء المنصفين في وادٍ والكرملي وحده في وادٍ وهل يرضى المتحيّز عدواناً وضغينةً أن يسلك مسلك المنصفين ولله القائل

ومكلِّف الأيام ضدَّ طباعها متطلب في الماء جذوة نارِ

ثانياً — لا يصح القياس على الفارق فقد بنى كلامهُ على لمع الرجل بالشيء وأنا قلتُ اللامع بغير ذكر متعلق فلو قلت اللامع بعلمه لصحَّ له أن يقول ما قاله أما إضافته إلى كلامي ما لم يرد فيه فمن الاختلاق البحت . فماذا يقال في من يختلق على مناظره ما ليس في كلامه

ثالثاً — جاء في القاموس لمع البرق لمْعاً ولمَعاناً محركة أضاء كالتمع وبالشيء ذهب وبيده أشار والطائر بجناحيه خفق وفلان الباب برز منهُ . فلَمَع في لمع البرق فعل قاصر وفي لمع الباب فعل متعدٍّ فاذا كان متعدياً وجب تفسيره بفعل متعدٍّ لا بقاصر وأن يأتي للفعل مصدر من مصادر الأفعال المتعدّية والفَعَلان من مصادر الأفعال القاصرة ولا يكون لفعل متعدٍّ البتَّة . والفَعْل من المصادر التي ترد للأفعال القاصرة والمتعدية معاً . كناح نوحاً ونُواحاً وخطَر خَطْراً

وخَطَرَاناً وقام قَوْماً وقياماً من الافعال القاصرة و كتب كَتْباً وأكل أكلاً من الأفعال المتعدية فلا غنى عن دليل على أن لمع الباب فعل متعدٍ فجاء صاحب التاج وقال « ولمع فلان الباب أي برز منه قال شمر وأنشد

حتى إذا عن كان في التلمسِ أفلته الله بشق الأنفسِ
ملمع الباب رئيم المعطسِ

فالشاهد ملمَّع من لمَّع لا من لَمع وفَعَل القاصر يأتي منه فعَّل متعدياً كنَوَّح من ناح تقول نوَّحني الخطب الصادع . إذن قول القاموس لمعَ الباب لا يزال في حاجة إلى دليل على صحتِهِ ولعلَّ الأصل لمع من الباب برز منه فسقطت من في النسخ وغاب على الكرملي وجه الضعف في هذهِ الرواية وهذا شاهد يؤذن بان دعواه أنه يعي أسرار الأوزان دعوى لا صحة لها والدليل يبين عدم صحتها .

رابعاً — لمع تأتي بمعنى أضاء وبمعنى برز بغير قيد من الباب ومن ذلك قول المرار الفقعسي (مادة س ود في التاج)

كما لاح تبر في يد لمعت به كعاب بدا إسوارها وخضيبُها

أي برزت به يد كعاب والأصل كما لاح تبر برز في يد كعاب . فالطبيب اللامع بمعنى الطبيب المضيء أو المنير أو البارز والمحذوف تعيّنه القرينة أي المضيء علمه والبارز فضله تقول يوم عاصف أي عاصف ريحُهُ ودليل نائم أي نائم ساهرُهُ وأمرٌ نادر أي نادرٌ وقوعهُ وعيشة

راضية أَي راضٍ صاحبها ورَجُلٌ رَبْعَةٌ أَي ربعةٌ قامته أَو بنيته ويقولون الوَدُود مخلص وماذق أي مخلص ودُّه وماذق ودُّهُ . وهذا المعنى أورده الشيخ عبد القادر افندي المغربي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً وعضو المجمع الملكي المصري في مقاله تعريب الأساليب المنشور في مجلة المجمع العلمي الملكي (ص ٣٤٥ جزء ١)

رابعاً — من بلاغات العرب حذف المضاف وذكر المضاف إليه وحذف المضاف اليه وذكر المضاف فمن النوع الأول الأحمران قال الأزهري أهلك النساءَ الأَحمران يعنون الذهب والزعفران أي أهلكهن حبُّ الذهب والزعفران وقال الجوهري أهلك الرجال الأحمرانِ يعنون اللحم والخمر أي تطلُّب اللحم والخمر فالمحذوف دلَّت عليه القرينة . ومن النوع الثاني يوم عاصف أي عاصف الريح . وهذا النوع مألوف عند العامة والخاصة يقولون زينب طويلة سمراء وهند قصيرة رداح أي زينب طويله القامة او القوام سمراء اللون أَو السحنة وهند قصيرة القد رداح البنية وجاءَ في كلام البلغاء فيقال عدوٌّ ازرق اي ازرق العين ويوم ابيض اي أبيض الوجه وجاءَ في شعر السموأَل

تعيرنا أَنَّا قليل عديدنا فقلتُ لها إن الكرام قليل

أَي قليل العدد أَو قليل عددهم . وقد يقع الحذف ليتسع المجال لتعدد المحذوف المقدر ومنه قول أَبي خراش الهذلي (باب المراثي في حماسة حبيب) .

ولم أدرِ من ألقى عليه رداءَهُ ولكنه قد سلَّ عن ماجدٍ محضِ

أي محض النسب أو محض النجار أو محض الكرم أو محض المجد ومن هذا النوع الشاهد الذي أورده ابن قيم الجوزية في كتابه أخبار النساء (طبعة مصر سنة ١٣١٩ ص ٥٩) لامرأة معاصرة لعمر ابن أبي ربيعة القرشي وهو

تعدو الذئاب على من لا كلابَ لهُ وتتقي مربض المُستأسِدِ الحامي

أي الحامي حريمهُ أو ذمارَهُ أو حماه أو عرضَهُ أو حقيقته ودليل ذلك قول عنترة

ومشكَ سابغة هتكتُ فروجَها بالسيف عن حامي الحقيقة معلمِ

وقول الفرزدق :

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

وجاء في شعر أبي تمام حبيب الطائي :

إذا قلتَ في شيءٍ نَعَمْ فأتمَّهُ فانَّ نَعَمْ دينٌ على المرء واجِبُ

أي واجب الاداء فذكر المضاف وترك المضاف إليه أو واجب إداؤُه فذكر ما يقوم مقام الفعل وترك الفاعل لدلالة القرينة عليه مما عرفهُ الخاصة والعامة وفيه الايجاز بحذف المفرد وهو نوع من الايجاز المعدود أحد أبواب البلاغة عند علماء المعاني يعدُّهُ الأب أنستاس الكرملي مضحكاً فماذا يقال في علم من لا يعرف للبلاغة شأناً ويعيب من جاء بكلمة عليها مسحة من البلاغة ويخفى عليه أن المعنى المقصود هو اللامع العلم أو اللامع الذكاء أو اللامع المكانة

خامساً — مرّ وجهان في تخريج لامع وبقي وجه ثالث هو أن أفعل التفضيل فرع والأصل فاعل أو فعيل . فأفضل لفاضل واكرم لكريم واكبر يصح لكابر او كبير . تقول ورثوا المجد كابراً عن كابرٍ واكبر عن اكبر وكبيراً عن كبير . فكل معنىً لأفعل جاء أولا لفاعل أو فعيل وفي القاموس . الألمع والألمعي واليلمعي الذكي المتوقد فاللامع من ألمع كالكابر من اكبر إذن يقال لامع بمعنى الذكي المتوقد . وفي التاج » وحكى الأزهري عن الليث الألمعي واليلمعي الكذاب مأخوذ (على تأويل) والبناء مأخوذ أو المعنى مأخوذ ولو قال مأخوذاً لكان أوجز) من اليلمع . وقال الأزهري والذي قاله الليث باطل لأنه على تفسيرهِ ذم والعرب لا تضع الألمعي إلا في موضع المدح »

قلتُ لو جاء في استعمال المعاصرين الألمعي بمعنى الكذاب لكان للكرملي أن يقول ما قال ولكن الاستعمال اتى بألمعي في موضع المدح كما قال الأزهري فاللامع أيضاً من صفات المدح لا كما زعم الأب أنستاس فأسأل القراء من على صواب ومَن على خطاء ومَن يدلُّ قوله على جهل ما يستعمله العرب الفصحاء

٣ = اعتراضه على « عرض مقالاً له لدى ذلك العلاّمة »

كتب الكرملي « قال (امين) في مستهل كلامهِ أيضاً » . عرض مقالاً له لدى ذلك العلاّمة . « والمعروف المشهور الذائع على الألسنة عرض مقالاً له على ذلك العلاّمة »

أجيب : الفرق بين عرض لدى وعرض على ظاهر ظهور الشمس في رأد الضحى وتعنّت الكرملي رداً لقولي مصداق لقول عنترة

يكون لما هو متعدد بوجب أن يكون في المتعدد فوارق مثلاً حكم المفاعيل النصب ولكن المفعول به لا يكون مفعولاً مطلقاً ولا مفعولاً لأجلهِ أو معه ولا فيه وما هذهِ الأو في عبارتهِ أتراه حائراً في تعليل وجه ورود برشاء أو ماذا

ثالثاً — في المعاجم بَرْنَشاء وبَرَنْشاء بفتحتين فسكون فما وجه اقتصارهِ على ذكر البناء الأول دون الثاني .

رابعاً — في المعاجم بَرْنَساء وبَرَنْساء بمعنى برنشاء فكيف جاء في برنشاء برشاء ولم يجيء في برنساء برساء

خامساً — لو صحَّ مجيء برشاء من برنشاء فكيف جاء أبرش من برنشاء — وأبرش صيغة أفعل وبرشاء صيغة فعلاء وصيغة أفعل للمذكر أصل وصيغة فَعْلاء للمؤنث فرعها فكيف جاء الأصل عن الفرع والمعروف أن الفرع يجيء عن الأصل .

سادساً — جاء في المعاجم الفرع في مادة الأصل ولم يجيء الفرع مادة لنفسهِ مثلاً البلبال جاء في الصحاح في مادة بلل (ب ل ل) وجاء ابن في مادة (ب ن و) فلو كانت برشاء من برنشاء لجاءت في مادة (ب ر ن ش) لا في مادة (ب ر ش)

سابعاً — لم يرد في الصحاح ومختاره والقاموس وشرحه (التاج) والمصباح والأساس ومعيار اللغة أن برشاء جاءت فرعاً عن برنشاء فاذا كان أصحاب هذه المعاجم لا يعرفون الصلة بين برشاء وبرنشاء فإلى من يشير الكرملي في قولهِ أنهم يعرفون برشاء أتت عن برنشاء — وكيف يكون من أغلاطي عدم معرفة ذلك وأنا متابع لما ورد في تلك المعاجم

٥ = بحث عرَب وعُرَيب

قال الكرملي « لافض فوه » : « ومن آرائهِ المردودة عليه قوله والمفرد المؤنث المعنوي إذا صغر تلحقهُ (وفي كلامي لحقتهُ) التاء كشمس وشميسة وأرض وأريضة ... ولما خَفِيت هذهِ الحقيقة وحسبوه مفرداً (تصغير عرب على عريب) مؤنثاً قالوا أن تصغيره بدون تاء شذوذ وما الشذوذ إلا ثمرة نقلهم

له من طائفته إلى طائفة أخرى · ولو أنزلوهُ في طائفته لوجدوا قياسه صحيحاً فالشذوذ من عملهم لا من بناء صيغته » اه كلامهُ أو تبجحهُ ·

قلنا « قوله المفرد المعنوي (لم يذكر المؤنث) اذا صُغِّر تلحقه التاء ··· قلنا وقد لا تلحقه فهذهِ حرب فان مصغرها حُرَيب بلا هاء رواية عن العرب كما قاله الخليل الى غير هــذه الكلمه مما يطول ذكره وشرحهُ فتكتفي بهذا الوشل » اه

اجيب : اولاً – عزا قولاً الى الخليل ولم يعين موضع وروده ومن جاء بحجة وجب عليه تعيين موضعها الا اذا كان قولاً متواتراً لينظر مناظره في صورة ذلك الورود ليعلم ماذا اجاز للخليل أن يقول ان حريباً تصغير حرب · فيصح ان يكون هذا التصغير قد ذكرهُ في باب الشاذ او في باب تذكير حرب او في الرجوع في حرب الى اصل مذكر هو المصدر او جاء بحريب لا بحريبة لدفع الالتباس بين تصغير حرب وحربة فامساكه عن تعيين موضع الشاهد دليل تهربه من الجلاء ولواذهِ بالغموض وليست هذهِ الخطة للمناظرين فهي للمشاغبين — فنعمت الخطة المشاغبة وهل لها إلاَّ الاب انستاس · واذا كان هذا الشاهد عن الصحاح ففي الصحاح الحرب تؤنث يقال وقعت بينهم حرب قال الخليل تصغيرها حريب بلا هاء رواية عن العرب قال المازني لانه (كذا بالتذكير) في الاصل مصدر وقال المبرّد الحرب قد تذكر وأنشد :

وهو اذا الحرب هفا عقابهُ مرجم حرب تلتظي حرابه

فاعاد الى الحرب ضمير المذكر « في عقاب » وقال المحشي « الحرب نقيض السلم ولشهرته (الضمير راجع الى الحرب) يعنون به القتال والذي حققه السهيلي ان الحرب هو (كذا لاهي) الترامي بالسهام ثم المطاعنة بالرماح ثم المجالدة بالسيوف ثم المعانقة والمصارعة اذا تزاحموا قاله شيخنا اه ·مرتضى · وفي هذهِ الشواهد تذكير الحرب مراراً · وقد علل المصباح مجيء تصغير حرب على حريب فقال : والحرب المقاتلة والمنازلة ولفظها انثى يقال قامت الحرب على ساق اذا اشتدَّ الامر وصعب الخلاص وقد تذكر ذهاباً الى معنى القتال فيقال

حرب شديد وتصغيرها حريب والقياس بالهاء وانما سقطت كيلا يلتبس بمصغر الحربة التي هي الرمح » — ولنا من هذه الاقوال ان نقول الحرب جاءت في الاصل مصدراً والمصادر التي بغير تاء مذكرة — فلما تضمنت معنى المقاتلة جاء تأنيثها للمعنى لا للفظ واما تضمنها معنى القتال وهو مذكر فابقاها على الاصل فالتأنيث في حَرْب دخيل والتذكير اصيل ، وحيثما اجتمع في كلمة معينان اصيل ودخيل فالاصيل اولى من الدخيل ولذلك قال المبرد قد تذكر اي كثيراً تذكَّر وكذلك قال صاحب المصباح ·

ثانياً — ماذا اراد بقولهِ وقد لاتلحقهُ فان قد مقطوع بانها وردت للتكثير قال ابن هشام في المغني فصل قد المعنى الرابع لقد التكثير قاله سيبويه في قول الهذلي :

قد أترك القرن مُصفَرًّا انامله كأن اثوابه مُجَّت بفرصادِ

وقال امرؤ القيس « وقد اغتدي والطير في وكناتها » وقال « قد اشهد الغارة الشعواء » والكرملي نفسه قال في مقاله المردود عليه « وقد يجمع فُعْل على فُعْلان » وقد تقدم ان السيد عبدالله وشيخ الاسلام زكريا الانصاري قالا (ص ١٠٢ من حاشية السيد عبدالله على الشافية) « والصفة من افعل نحو احمر مما يدل على لون او عيب يجمع على حمران كثيراً » فقول الكرملي هنا قد لاتلحقه للتكثير اي ان عدم لحاق التاء (او الهاء) بتصغير المؤنث المعنوي كثير · فمن اي سفر نقل هذا القول وعن اي امام رواهُ وان كان قوله ثمرة اجتهادِهِ الخاص فالمجتهد يؤيد قولهُ بالحجة لا بالتهرب من اعطاء المقام حقه من التحقيق كما فعل الكرملي البحاثة ·

وان قال ان قد تأتي للتقليل مثل قد يجود البخيل · قلت نفى صاحب المغني في بحث قد هذا المذهب وانكر أن تكون دلالة قد في قد يصدق الكذوب وقد يجود البخيل للتقليل وقال انها للتحقيق · والتقليل لم يستفد من قد بل من قولك البخيل يجود والكذوب يصدق « أي ان المعنى دلت القرينة عليه

وفي قول الكرملي وقد لا تلحقه التاء ما من قرينة تدلُّ على التقليل . واذا كان لقد في قول الكرملي وجهان ولا دليل على أن المقصود احدهما فهنالك شاهد على جهل القائل احكام قد والمجيء بلبس القول في موضع الجلاء وهذا عيب في صحة التعبير ومراوغة في استقامة البحث والظاهر أن الكرملي يجهل أحكام قد فبارك الله له في ما يجهله

رابعاً — كان على الكرملي وقد بدا له أن قولي تصغير المفرد المؤنث الثلاثي بدون تاء شاذ ان يسألني عن المصدر الذي نقلتُ عنه هذا الحكم لا أن يندفع الى تخطئتي لأن المناظر إذا نقل حجة عن سواه فالمنقول عنه مسؤول اولاً وعليه التبعة الكبرى والناقل مسؤول عن إيثارهِ ذلك الرأي على سواه وعليه التبعة الصغرى فعلام يدع الاب أنستاس مذهب العلماء والمعروف عُرفاً كالمشروط شرطاً . وعلى المتناظرين أن يعملا بما اقرَّه العلماء ومن أغفل ذلك دلَّ اغفاله إمّا على جهل والجاهل لا يكون محققاً واما على شذوذٍ ومن شذَّ عن منهج العلماء فليس منهم . اذن للكرملي جميل التهنئة على اطّراحهِ منهج العلماء جاهلاً أو شاذاً .

ثالثاً — الحكم الذي جاء في كلام الاب انستاس يعارض ما جاء في كتب الصرفيين واللغويين موجزةً ومطولةً من تآليف علماء الملتين الاسلامية والمسيحية وها أناذا اجيء بطائفة من اقوالها .

١ — في فصل الخطاب للشيخ ناصيف اليازجي « واعلم ان المؤنث المعنوي ان كان ثلاثياً لحقته التاء في تصغيرِهِ كشمسية » وجاء في شرح هذا المتن « وشذ حُرَيب وقُوَيس وعُرَيب ودُرَيع ونُعَيل وذُوَيد »

٢ — في التمرنة للخوزي يوسف داود الموصلي (طبعة الموصل سنة ١٨٧٥ جزء ١ ص ١٥٣) والمفرد المؤنث (من ذي الثلاثة) يُعطى تاء نحو رِجل وكأس وكؤيسة . وشذ عرس وعُرَيس »

٣ — في بحث المطالب للمطران جرمانوس فرحات الماروني الحلبي أمام

علماء الموارنة الذين اليهم تنتسب اسرة ماربني التي منها الاب انستاس (طبعة بيت الدين سنة ١٨٧٦ جزء ١ ص ١٣٠) «وأما تصغير المؤنث المعنوي فان كان ثلاثياً فتظهر التاء في تصغيره عند امن اللبس نحو دويرة ونويرة وشميسة . وشذ عُرَيس تصغير عرس بكسر العين اي الزوجة .

٤ — جمانة الشيخ ناصيف اليازجي في شرح خزانته وفيها تفصيل لما أورده في فصل الخطاب

٥ — في الشافية للامام ابن الحاجب (طبعة در سعادت سنة ١٣١٠ ص ٨٨) ويزاد في المؤنث الثلاثي بغير تاء تاء كعُيَينة وأُذَينة . وعريب وعريس شاذ» وقال الچارپردي شارحها (ص ٨٨) «وان كانت التاء مقدَّرة فتظهر في الثلاثي كعيينة لئلا يجتمع فرعيتان التصغير والتقدير وعريب وعريس شاذ والقياس بالتاء لانهما مؤنثان ... وقال ابن جماعة في حاشيته على الچارپردي قال ابو حيّان نصَفَ وصفاً للمرأة وذود وحرب وقوس وعرب وفرس ودرع الحديد ونعل وناب وعِرس وعُرس وشَوْل وضُحى شاذ من الحكم المذكور» أي من الحاق التاء بآخر الكلمة

٦ — في شرح الشافية للسيد عبدالله (طبعة دار السعادة سنة ١٣١٠ ص ٥٨) «وتزاد في المؤنث الثلاثي عند التصغير حال كونه بغير تاء تاء كعُيَينة في تصغير عين وأُذَينة في تصغير اذن لان المصغر بمنزلة الموصوف مع صفته الا ترى انك اذا قلت رجيل فكأنك قلت رجل صغير . والصفات للأسماء المؤنثة التي قدر فيها التاء لاتجيء إلاَّ بالتاء نحو شمس طالعة بالحاق التاء بآخر الصفة فكذلك يقال شُمَيسة بإلحاق التاء في المصغَّر الذي هو كآخر الصفة في الثلاثي الذي هو أخَفُّ الأبنية . ثم يقول وعُرَيب في تصغير عَرَب وهي التي استوطنت المُدُن والقرى العربية وعُرَيس في تصغير عرس وهي امرأة الرجل شاذ على خلاف القياس» وكرَّر هذا القول شيخ الاسلام زكريا الأنصاري في كتابه مناهج الكافية في شرح الشافية وقال «عُرَيب وعُرَيس شاذ لانهما مؤنثان فالقياس زيادة التاء ومثلها حُرَيب في حَرْب» .

٧ — في شرح الشافية للرضي (طبعة دار السعادة ص ٨٢) ، « اعلم ان التصغير يورد في الجامد معنى الصفة الا ترى ان معنى رُجَيل رجل صغير فالاسم المصغَّر بمنزلة الموصوف مع صفته فكما انك تقول قدم صغيرة بالحاق التاء في آخر الوصف قلت قُدَيمة بالحاق التاء في آخر هذا الاسم الذي هو كآخر الوصف . والدليل على عروض معنى الوصف فيه انك لاتقول رجلون لعدم معنى الوصف وتقول في تصغير رجال رجيلون » الى ان يقول « فالمقصود انهم اجتزأوا في الثلاثي الذي هو أخَفُّ الابنية لما طرأ فيه معنى الوصف على زيادة التاء التي تلحق آخر اوصاف المؤنث ... والتاء وان كانت كلمة برأسها إلاَّ انها كحرف الكلمة المتصلة هي بها » ثم قال « واعلم انه قد شَذَّت من الثلاثي اسماء لم تلحقها التاء في التصغير فذكر الفرس والحرب والقوس والعرب والذود والضحى » (ص ٨٤) .

٨ - في الفية الامام ابن مالك ما يأتي :

واختمْ بتا التأنيث ماصغَّرتَ مِنْ مؤنَّث عار ثلاثي كسِنْ
مالم يكن بالتا يرى ذا لبس كشجر وبقر وخمسِ
وشذَّ تركٌ دون لبسٍ ونَدَرْ لحاق تا فيما ثلاثي كثر

٩ — في شرح ابن عقيل للالفية « اذا صُغِّر الثلاثي المؤنث الخالي من علامة التأنيث لحقته التاء عند أمن اللبس وشذَّ حذفها حينئذٍ فتقول في سنٍ سنينة وفي دار دويرة وفي يد يُدَيَّة . فان خيف اللبس لم تلحقهُ التاء ... ومما شذَّ فيه الحذف عند امن اللبس قولهم في ذود وحرب وقوس ونعل ذُوَيد وحُرَيب وقُوَيس ونُعَيل . فاستدرك السجاعي عليه وقال « وقوس يذكَّر ويؤنَّث » وقال الخضريُّ في حاشيته ان الالفاظ التي شذَّت جمعها الشاعر في قوله :

ذود وقوس وحرب درعها فرسٌ ناب كذا نصف عرس ضحى عَرَبُ
وكذا نَعل وشول

١٠ — في شرح الاشموني للالفية « واختم بتا التأنيث ما صَغَّرتَ من مؤنَّث

عارٍ من التاء ثلاثي كسنٍّ ودار فتقول في تصغيرهما سنينة ودُوَيرة . وشذَّ ترك التاء دون لبس في الفاظ مخصوصة لا يقاسُ عليها وهي ذود وشول وناب وحَرْب وفَرَس وقَوس ودرع للحديد وعرس وضحى ونعل وعَرَب ونصف «وبعض العرب يذكّر الدرع والحرب فلا يكونان من هذا القبيل وبعضهم ألحق التاء في عرس وقوس فقال عُرَيسة وقُوَيسة» ا ه

فهذهِ عشرة كُتُب جاءت راوية ما اتى به المرحوم والدي واما قول الكرملي فلا يوافق واحداً منها فهوَ قولٌ لا يعضده نقل ولم يقم على صحته دليل فأقل ما يقال فيه انه مردود اليه لانه كاسد في سوق القبول عند العلماء المحققين .

خامساً — نَظَّرَ الكرملي عَرَب بحرب ولم يُبالِ الفروق التي بينهما فقد جاء في حرب التذكير ولم يرد التذكير في عرب . وعدم دخول التاء على مصغر حرب لمنع الالتباس بين حُرَيبة تصغير حربة وتصغير حَرْب . وليس في الكلام عربة يلتبس مصغرها بمصغَّر عَرَب ويجيء في حَرْب حَرْبة للتعظيم ولم يرد هذا في المعاجم ولكنه جاء في الشعر الفصيح فان صاحب معجم البلدان روى في مادة «الزيق» لنافع ابن الاسود التميمي :

ونحن قتلنا يزجرد ببعجة من الرعب اذ ولّى الفرار وغارا
غداة لقيناهم ببردٍ تخالهم نموراً على تلك الجبال وبارا
قتلناهم في حربة طحنت بهم غداة الرزيق اذ اراد حِوارا

فالحرب ذات رحى تطحن واما الحربة بمعنى الرمح القصير فلا تطحن . فحَرْب من باب خَمْر تقبل التذكير والتأنيث وتدخل عليها التاء فتقول حربة وخمرة .

سادساً — اشكر للاب انستاس ردَّه اقوال اولئك العلماء عليَّ لاني اتابع مذهبهم الصحيح فإنَّهُم لي لا لَه لأنه ليس له بهم صلة ولا يقرّبه اليهم مبدأ قويم او نهج اصيل فلسان حالهِ يقول «لستُ من قيس ولا قيس مني» .

البحث الخامس

المآخذ الواردة في اقوال الأب انستاس

سبق لي في الجزء الاول من البرهان الجلي على علم الاب الكرملي ان اكتفي بتخطئة عبارة واحدة في مقال للكرملي ارسله اليَّ وقد لجأت الى ذلك حفظاً لكرامته واستبقاء لشأنهِ فلم يعرف لهذا الاجلال ماهو جدير بهِ وهاجمني في مقالهِ لانقل كربات بيضاء في اربع قضايا اتى تمحيصها على بيان جهل مطابق لما في كلام الخاصة والعامة من بلاغة التعبير فارى الواجب يدعوني ان أبين هفوات مقالهِ الثاني بغير هوادة وهذا موضع الجلاء عنها .

١ = قوله اشباه جمع او اسماء جنس = ففي العبارة خطاءان الاول جهله ان اشباه الجموع هي اسماء الاجناس . والثاني قوله اشباه جمع او اسماء جنس والعلماء قالوا اشباه الجموع واسماء الاجناس وقد تقدم بيان هذين المأخذين في صدر هذا المقال .

٢ = قوله احرف هي بين الافراد والجمع = ومقتضى كلامهِ انها ليست من الافراد ولا من الجموع وهذا قول لم يرد لعالم قبله ولا اقام عليه الدليل والتعبير الصحيح ان يقول احرف ذات بناءين .

٣ = قوله فتوهم فيها جماعة الافراد وتوهم فيها اخرون الجمع « وليس في اقوال العلماء توهم والصواب » فيصحُّ عدُّهـا في الافراد او في الجموع بدلالة القرينة .

٤ = « وهذهِ اللفظة اختلف في حقيقتها اهي جمع او شبه جمع » في قوله هذا مأخذان عليه الاول ان في كلم ثلاثة اقوال فقائل جمع وقائل اسم جنس وقائل اسم جمع فلم يذكر اسم الجمع وهذا دليل ان علمه بها غير كامل . والثاني ان الاستفهام واقع لتعيين حالها من انها جمع او اسم جنس لا في حقيقتها من حيث هي هي والمعنى المسؤول عنه يُقَدَّم قال اليازجي المسؤول عنه بالهمزة هو مايليها فيكون في نحو ازيد قائم هو المسند اليه (اي زيد) وفي اقائم زيد

هو المُسنَد (اي قائم) وفي اعندك زيد هو الظَرْف (اي عندك) (نار القرى طبعة سنة ١٨٦٣ ص ٣١٧) فعن قاطن ســأل الشاعر في قولهِ (امن شواهد النحاة فصل المبتدا) ٠

اقاطن قوم سلمى ام نووا ظَعَنا ان يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

ولو كان سؤاله عن القوم لقال « اقوم سلمى قطين او نوَوا ظعنا » وقد جاء في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب للسيد محمود شكري الالوسي (طبعة بغداد سنة ١٣١٤ ص ٣٠) ان امرأ القيس خطب فتاةً فساق لها مئة من الابل وخرج نحوها ومعه غلام فخرج الغلام يسقي الابل فاعانه امرؤ القيس فرمى بهِ الغلام في البئر وخرج حتى اتى المرأة بالابل واخبرهم انه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما ادري ازوجي هو ام لا ٠٠ ومرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر فرجع الى حيّه فاستاق مئة من الابل واقبل الى امراته فقيل لها قد جاء زوجك فقالت والله ما ادري اهو زوجي ام لا »

ففي المرأة الاولى كان في علمها ان لها زوجاً ولكن لم تكن واثقة بالقادم فهو امَّا زوجها او آخر يزعم انه زوجها فقالت ازوجي هو ام لا — لان التثبت مقطوع بان لها زوجاً والشك في القادم ٠ وفي المرأة الثانية بعد ماثبت عندها ان القادم الاول غير زوجها بات عندها شك في حياة زوجها لذلك قالت اهو زوجي ام لا لان مجيء القادم مقطوع بهِ اما بقاء زوجها حيًّا او غير حيٍّ فموضع الشك ٠

جاء في مغني اللبيب (طبعـة مصر سنة ١٣٠٢ في فصل ام) « شرط الهمزة المعادلة لام ان يليها احد الامرين المطلوب تعيين احدهما ويلي ام المعادل الآخر ليفهم السامع من اول الامر الشيء المطلوب تعيينه » اذن يجب ان يقال اجمع هي ام شبه جمع وحكم أو كحكم ام ٠

وروى ابن قيم الجوزية في كتابه اخبار النساء (طبعة مصر سنة ١٣١٩ ص ٥١) أن يسار مغني سليمان ابن عبد الملك انشد :

في ليلة البدر لا يدري اخو شغف أوَجْهها عندَهُ اضوا ام القمَرُ

وجاء في الكشكول للبهاء العاملي ان الامام علياً قال لنوف البكالي « يانوف اراقد انت ام رامق » فكان على الاب الكرملي ان يقول اجمع هي او اسم جنس ٠

٥ = قال « وللناس فيها مذاهب » وفي هذا التعبير هفوتان الاولى ان بحث الكلم من شأن علماء التصريف واللغة دون سواهم وعلماء التصريف بنوع اخص فليس هذا البحث من شؤون الناس فكان عليه ان يقول وللغويين والصرفيين فيها اقوال لا مذاهب ثانياً انه ذكر قولين وقال انهما مذاهب فكان من باب التثبت في مجيء الكلام على مقتضى الحقيقة ان يقول وللغويين والصرفيين فيها قولان ٠ ولانه يزعم ان هنالك مذاهب فعلامَ امسك عن بيانها فيفيد القراء ٠

٦ = قال « وعلى كل حالٍ فان مفردها كمأة » وفي هذا التعبير هفوتان الاولى ان الفاء تأتي في جواب الشرط او ما يتضمن معنى الشرط اما الشرط فمعروف ٠ ومنه قول الشاعر : من يك ذا بت فهذا بتي ٠ واما ما تضمن معنى الشرط فمثل كل نعمةٍ فمن الله ٠ وليس في قوله وعلى كل حالٍ شرط ولا مايتضمن معنى الشرط فلا مسوّغ لدخول الفاء ٠ وان قيل انها زائدة كما جاءت في قول الشاعر المثقب العبدي :

ان لابعد نعم فاحشة فبلا فابدأ اذا خفت الندم

وقول الآخر النمر ابن تولب (حاشية الامير على المغني طبعة مصر سنة ١٣٠٢ جزء ١ ص ١٤٢) ٠

لاتجزعي ان منفس اهلكته فاذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي

قلت ان ابن هشام قال « ان سيبويه لايثبت زيادتها واجاز الاخفش زيادتها في الخبر مطلقاً ولا يصحُّ قوله وعلى كل حال ان يكون مبتدأ ليصح ورودها في صدر الخبر » ٠ وقيد الفراء والاعلم وجماعة الجواز بكون الخبر امراً او نهياً ، من شواهد زيادة الفاء متى تلاها امر قول عبيد ابن الابرص (تزيين نهاية الارب ص ١١٤) ٠

ولا تُظهِرَن ودّ امرئٍ قبل خبره   وبعد بلاء المرء فاذم او احمدِ

وقول عدي ابن زيد (التزبين ص ١٢٠) :

وبالعدلِ فانطق انْ نطقتَ ولا تجز   وذا الذمِّ فاذممهُ وذا الحمدِ فاحمدِ

وليست جملة « فان مفردها كمأة » خبراً فالفاء زائدة ولا وجه لورودها وصحة التعبير ومفردها على كل حال كمأة .

٧ = قال مفردها كمأة وهذهِ غلطة شنيعة خارجة على استعمال العلماء ومثبتة عليه جهله احكامهم . لانه اذا عدَّ كمأة بناءً مفرداً وجب عليه حتماً ان يعد كَمْأً جمعاً لان المفرد ازاءه الجمع وهو لايسلّم بذلك . فكان عليه ان يقول واحدته لان اسم الجمع يقال فيه واحدته لا مفردهُ ودليل ذلك قول الجوهري (مادة ج ر د) والجريد الذي يجرد عنه الخوص الواحدة (لا مفرده) جريدة « والجراد معروف الواحدة (لا المفرد) جرادة » وفي مادة (س م ك) « السمك من خلق الماء الواحدة سمكةَ » .

وليس الجوهري متفرّداً بهذا الاستعمال . ففي المصباح « القطا ضرب من الحمام الواحدة قطاة » وفي القاموس « الصدف محركة غشاء الدر الواحدة بهاء » وفي معيار اللغة « التمرُ من ثمر النخيل كالزبيب من العنب الواحدة بهاء » .

٨ = « وثالثها الشيعة فهي منفردة كما هي جمع حسبما توجه معناها ولذا توصف بالافراد كما توصف بالجمع » صحة التعبير « وثالثها الشيعة وهذا الحرف يتجاذبه الافراد والجمع والقرينة تعينه مفرداً او جمعاً » .

٩ = « اسم الجمع ولا مشاحة في انه يوصف بالافراد كما يوصف بالجمع » صحه التعبير اسم الجمع يوصف بالمفرد وبالجمع

١٠ = قوله « والظاهر ان ابن ظاهر لم يفهم هذه الحقيقة » اقول فيفهم فعل مطاوع لأفهم تقول افهمتهُ ففهم وابكيته فبكي وأغضبته فغضب وأرضيتهُ فرضي فاين جاء الفعل العامل ليأتي بعده الفعل المطاوع وصحة التعبير لايُدرك هذه الحقيقة او لايعيها او لا يفطن لها .

١١ = وسابعها عرب عاربة وعرب عرباء فانت مخيّر في التذكير والتأنيث

اقول تكرار في من غث الكلام التافه والقول الجيد . « ولك الخيار في التذكير والتأنيث » وفي هذه العبارة ايجاز .

١٢ = « فهذهِ الشواهد لم تثبت لنا شيئاً » قلتُ لا حاجة لكلمة لنا فان المقصود الاثبات المجرَّد لا الاثبات لهُ على اختصاص .

١٣ = « وكنا نودُّ ان يأتينا بلفظة مجموعة جمعاً صريحاً » قلت صحة التعبير ان يأتي او يستشهد او يستدلَّ بصيغة جمع

١٤ = قوله « وصفتها الأفراد » اقول ليس الخلاف على نعت الجمع بمفرد والخلاف في نعت الجمع بفعلاء . وفعلاء بعض أبنية الافراد وثاني صيغة جمع كشجراء لشجرة فالبحث في وادٍ وما يزعم الكرملي أن البحث لأجله في وادٍ آخر . وتحرير المطلب أن يقول وصيغتها بناء مفرد مؤنث على وزن فعلاء او من ابنية المفرد المؤنث على وزن فعلاء .

١٥ = « فلو أتانا بشاهد مثل نساء سمراء » قلت كلامهُ يشهد عليه أنه يعدُّ نساء صيغة جمع لانزاع في أنها من صِيَغ الجموع على حين يقول صاحب المصباح النسوة والنساء اسمان لجماعة إناث الاناسي الواحدة امرأة » ويقول الجوهري « النسوة والنُسوة والنساء والنسوان جمع امرأة من غير لفظها كما يقال خلفة ومخاض » فنِساء كمخاض فمَن يا ترى عدَّ مخاضاً جمعاً لتكون نِساء على مثالها جمعاً . فالصيغة المنازع في صحتها لا يصحُّ أن تكون من الصيغ التي لا نزاع في صحتها

١٦ = « لكنه جاءنا بالفاظ تحتمل الافراد والجمع » صحة التعبير ولكنه استشهد بصيغ يتجاذبها الافراد والجمع .

١٧ = « فلم يفدنا الفائدة التي كنا نتوقعها من مقالته » صحة التعبير فلم تأتِ مقالته بالفائدة المنشودة .

١٨ = « لا مشاحة في ان افعل ومؤنثها » صحة التعبير لا مشاحة في أن أفعل ومؤنَّثه واما التأنيث فعلى تأويل واجتناب التأويل اصل والتأويل فرع والأَصل أولى بالاستعمال من الفرع

١٩ = « لا مشاحة في ان افعل ومؤنثها فعلاء إذا جاءت صفة لموصوف لا موصوفاً ودلت على لون أو عيب او حلية فان كلاً من أفعل وفعلاء يجمع على فُعْل بضم وسكون » في هذا التعبير مآخذ

الاول تأنيث افعل وقد سبق ثانياً اتى التطويل لغير معنى وكان عليه أن يقول لا مشاحة في أفعل فعلاء صفة دالة على لون أو عيب او حلية يجمع على فعل بضم فسكون وكذلك فعلاء افعل فتأتي ٢١ كلمة بالمعنى الذي أورده في ٣٠ وايجاز ٩ كلمات في جملة يدل على ركاكة في تطويلها

ثالثاً ان علماء الصرف واللغويين أجازوا فُعْلاً وفُعُلاً ولم يورد الكرملي فُعُلاً صراحة ولا ضِمْناً . على ان كتب النحو تورد فُعُلاً قال الخضري في شرح قول ابن مالك « فُعْل لنحو أحمر وحَمْرا » أي بضم فسكون لكن يجب كسر فائِهِ في جمع ما عينهُ ياء كبِيض في ابيض وبيضاء كما سيأتي في قوله ويكسر المضموم الخ ويكثر في الشعر ضمُّ عينه ان صحت هي ولامه ولم يضاعف كقوله « وانكرتني ذوات الأعيُن النُجُل » اه . وأما اللغويون فانهم لا يتقيدون بما قرره النحاة فيجمعون أشيب على شِيب وشُيُب وشُيَّب فأين الإشارة الى فُعُل . وأما بقية صِيَغ جمع أفعل فقد تقدم ذكرها في البحث الثاني فراجعه تجد ان اقتصار المبرِّد على بعض الصِيَغ من الاستقراء الناقص

٢٠ = « ما يكتب امين الفاضل . . . . الا بتعرَّض بالغير وبتخطئتهم »

قلتُ اين جاءت تعدية تعرض بالباء ففي الصحاح « عرَّضت فلاناً لكذا فتعرَّض هو لَهُ وهو رجل عِرِّيض كفِسِّيق أي يتعرض للناس بالشر وتعرَّضت لفلانٍ تصدَّيت لَهُ »

وفي القاموس « تعرَّض له تصدَّى ومنه تعرَّضوا لنفحات رحمة الله . وعِرِّيض كسِكِّيت يتعرض للناس بالشر » وفي المصباح « تعرَّض للمعروف وتعرَّضه يعدى بنفسه وبالحرف (اي باللام) اذا تصدَّى له وطلبه ذكره الأزهري وغيرهُ ومنه قولهم تعرض في شهادتِهِ لكذا اذا تصدَّى لذكرهِ »

فان قيل جاء في الصحاح «عرَّضتُ لفلان وبفلان اذا قلت قولاً وأنت تعنيه» اجيب أولاً عرَّض بمعنى وتعرَّض بمعنى آخر. فليس المعنى واحداً ومعنى عرَّض لفلان وبفلان ضد صرَّح لا بمعنى عاب أو ذمَّ او طعن. وتعرَّض له بمعنى قصدهُ لأن تصدَّى زيد للأمر رفع رأسه إليه وهو كناية عن قصده او الرغبة فيه واذا قيل ضمَّن الكرملي تعرَّض معنى طعن قلت إذن يجب تعدية تعرَّض بفي لا بالباء فيقال «طعن فيه بالقول وطعنتُ عليه قدحت وعبت» المصباح مادة (ط ع ن) وفي الصحاح «طعن فيه بالقول طعناً وطعناناً» ولم يعدِّ بالباء. ولا يصحُّ هذا التضمين في كلام الكرملي لأنه قال يتعرض بالغير وبتخطئتهم لانه لا يقال يطعن فيهم وفي تخطئتهم ويصحُّ لو قال يتعرض في الغير مخطِّئاً.

٢١ = قال «فقد ذكرنا لك كيف أنه خطَّأ ما جاء في ترجمة الأحنف التميمي» قلتُ قوله كيف أنه خطأ لا يصحُّ ولا وجه لصحته والصواب كيف خطَّأ فكيف هنا على قول صاحب المغني على أي حالةٍ خطأ أي نائب مناب مفعول مطلق والتقدير أي تخطئة خطأ وقال ابن مالك أنها تفسر بعلى أي حالٍ وفي هذه الصور الثلاث لا يكون بين كيف والفعل فاصل لان كيفاً أنت حالاً من فاعل خطأ أو نائب مناب مفعول مطلق من خطأ فلا يفصل بينها وبين الفعل. وهذهِ الزلة من أشنع الزلات وأدلها على جهل قواعد النحو جهلاً تاماً

٢٢ = قال من عادة حضرة الكاتب أن يتعرض لتخطئة الكتَّاب في كل ما يكتب ليحرز بعمله هذا سمعة ويفضل نفسه على سواه ولو أنصف اقضى أيامه في أعمال النظر في ما يكتب.

اقول اعاد قوله في صدر البحث الثالث فيا للعجب أليس له من غاية في رسالته الا التشنيع بالكاتب او اخذت السنون من ذاكرته فنسي انه ذكر هذا المعنى الفريد في ما سبق. ودلَّ هذا التحرش على انه يعالج حزازة في صدره لا انه

يؤدي خدمة للعلم فليعالج هذا الأب هذه الحزازة فانه لن يبرأ منها وعبارته هذه يغني عنها ان يقول «دأب هذا الكاتب تخطئة سواه لسمعة يَنشدها منوِّهاً بنفسِهِ ولو انصف لعالج اقوالَهُ» فما اوردهُ في ٣٠ كلمة يورده سواه بثلاث عشرة كلمة — وليس في كلامه ضرب من ضروب الاطناب فهو من باب التطويل الذميم فليته يحسن المساواة وهي ادنى مراتب البلاغة فيسلم قوله من الفهاهة التي ملكت عليه تعابيره ٠

٢٣ = قال «وقال في مستهل كلامِهِ أيضاً» في هذه الجملة خلل نحوي فان ايضاً مفعول مطلق وفي مستهل كلامِهِ ظرف مكان والمفعول المطلق مقدَّم على الظرف لانهُ يعيّن نوع الفعل وظرف المكان يعيّن موضع الفعل وتعيين نوع الفعل مقدم على تعيين مكان وقوعه نقول قتل زيد عمراً قتلاً في بيت الله فالقتل اثم حيثما وقع ولكن في بيوت العبادة اعظم وزراً ولذلك تقدَّم كتب النحاة المفعول المطلق على بقية المفاعيل — وما من سفر في النحو قدَّم المفعول فيه على المفعول المطلق ٠

٢٤ = «فهذه حرب مصغرها حريب بلا هاء رواية عن العرب كما قاله الخليل» اقول الى ماذا اعاد الضمير في قاله أإلى حرب او الى رواية وكلتاهما مؤنث ٠ وصحة التعبير ان يقول رواها الخليل عن العرب او يذكر عبارة الصحاح فيقول فهذه حرب قال الخليل تصغيرها حُريب بلا هاء رواية عن العرب»

٢٥ = قال «الحسناء ليست بمؤنث الأحسن بل الحسن وهذا خارج عن كلامنا — وهذهِ العبارة فيها ما يأتي :

اولاً — صحة التعبير الحسناء مؤنث الحَسَن لا الاحسن فقد اوجب لها ثم نفى والايجاب من باب تعيين الحقيقة والنفي من باب ازالة اللبس وتعيين الحقيقة مقدَّم على إزالة اللبس ٠

ثانياً — ما دليله على ان الحسناء مؤنث الحَسَن وبماذا ينظر فَعلاء لِفَعَل ٠ والصواب الحسناء مؤنث الحِسين كالجملاء مؤنث الجميل والشنعاء مؤنث الشنيع ٠

ثالثاً — مدار البحث على فعلاء صفة لصيغة جمع سواء كانت لأفعل او فعيل او التي معها فُعْلى كأيسر ويسراء ويسرى او ماجاءت مفرداً وجمعاً كبرشاء وبغثاء فلماذا يريد أن يخرج فعلاء فعيل من صلب البحث وشمائل حسناء مما دخل في البحث واضطر الكرملي إلى صرف الكلام اليها ·

فهذه خمس وعشرون هفوة اوردها الكرملي في مقالِهِ الذي جاء في اربع صفحات عدا عشرات الهفوات في صلب البحث — اذن — لو أنصف لعدل عن تخطئة الاحياء كالكاتب امين ظاهر خير الله والاموات كالمرحوم العالم اللغوي اسعد خليل داغر الذي خطّأه بعد وفاتهِ في مقالهِ المنشور في مجلة المقتطف باحثاً صيغة اكتشف · وان اعجب فالعجب من نشر المقتطف له تلك التخطئة والمقام لا يدعو اليها وحفظ حرمة الميت واجب على الصحف الراقية ولا سيما المقتطف ·

تعليل لمجيء فَعْلاء صفة لصيَغ الجموع

في الصحاح « ثوب أخلاق اذا كانت الخُلُوقة فيه كله كما قالوا برمة أعشار وثوب اسمال وارض سباسب · وقال : السَمَل الخلق من الثياب يقال ثوب اسمال كما قالوا رمح أقصاد وبرمة أعشار » ولم يعلِّل مجيء النعت صيغة جمع ومنعوته بناء مفرد · وفي التاج رمح أقصاد اي متكسر قال الاخفش هذا احد ما جاء على بناء الجمع · وفي (خ ل ق) وقد يقال ثوب اخلاق يصفون بهِ الواحد اذا كانت الخلوقة فيه كله كما قالوا برمة أعشار وارض سباسب كما في الصحاح وكذا ثوب اكباش وحبل ارمام وهذا النحو كثير وكذا ملاءة اخلاق وفي التهذيب يقال ثوب اخلاق يُجمع بما حوله · وقال الفراء انما قيل ثوب اخلاق لان الخلوقة تتفشّى فيه فتكثر فيصير كل قطعة منه خَلَقاً »

قلت الجوهري لم يعلِّل مجيء نعت المفرد صيغة جمع وفي التهذيب تعليل هو أن الثوب يجمع بما حولهُ اي بناء المفرد جاء صيغة جمع فكأنه قال اثواب ولذلك صح نعته بالجمع · وعلل الفراء بان كل قطعة منه خَلَق اي ان اصل التعبير ثوبٌ أخلاقٌ قطعهُ · فثوب مرفوع او مجرور على ما يكون عليه حكمهُ

في مثل هذا ثوبٌ اخلاقٌ او مشيت بثوبٍ اخلاق واخلاق صفته وقطعه فاعل اخلاق والضمير فيه عائد الى ثوب ويقال اشتريت ثوباً اخلاقاً قطعَهُ على ذلك النحو عينه · فهذا على مثال قول الشاعر :

فديتك اعدائي كثير وشقتي بعيدٌ واشياعي لديك قليلُ

اي اعدائي كثير عددهم او حضورهم وشقتي بعيد مداها واشياعي قليل حضورهم او عددهم · فالمبتدا اجتزأ ببعض الخبر وترك للقرينة او الاستعمال الباقي الذي فيه الضمير العائد الى المبتدا او الى الموصوف ·

فاذن من باب حمل الضدّ على ضدّهِ ان يقال شِيَمٌ حسناء صفتها وهضابٌ ملساء عبلاؤها وشمائل زهراء سمتها ونساء سمراء سحنتها والسُّحنة وزان فَعْلة والصفاة (اصلها صَفَوَة) وزان فعَلة ايضاً وجمع صفاة صَفْواء فيجب ان تكون سَحْناء جمع سَحَنَة كشجراء جمع شَجَرة وثمراء جمع ثَمَرة · والمعاجم لم تذكر ذلك ففي الصحاح « السحنة بالتحريك الهيئة وقد يُسَكَّن يقال هؤلاء قوم حسن سحنتهم وكذلك السَّحْناء » وفي القاموس « السحنة والسحناء بفتحها ويحرّك لين البشرة ، والنعمة والهيئة واللون » ولم يستدرك التاج عليه الفرق بين الصيغتين ·

وحمل الضد على الضدّ بالمقابلة كثير في كلام العرب فانهم عللوا جمع عجفاء على عِجاف حملاً على سمينة وسمانٍ · وفي التاج قوله « انشد ثعلب :

فكن اكيس الكَيْسَى اذا كنتَ فيهم وان كنتَ في الحمقى فكن مثل أحمقا

انما كسره هنا على كَيْسَى لمكان الحمقى اجرى الضد مكان ضدّهِ » والشواهد في هذا الباب كثيرة · وهذا القول مما فتحه الله عليَّ ولم يقع لي أن اظفر به في كتاب او أسمعه من عالم ·

والخلاصة :

يقال أداة غراء — والتخريج المؤيد صحة ذلك النعت له وجوه عديدة الأول غراء جمع غراء كوالد جمع والد في قول جرير اعياك والدك الادنون

وكثير في جمع كثير في قوله القائل اعدائي كثير ·

الثاني الأدلة بمعنى البدنة مثل كتاب بمعنى صحيفة في القول المروي في الاقتراح للسيوطي عن ابي عمرو وكالمنفطر في نعت خرعوبة في قول امرئ القيس وقال الجاربردي في شرح الشافية ان الحمل على المعنى مهيع معبد (ص ١٢٦) ·

ومن الحمل على اللفظ والمعنى معاً قول امرئ القيس (ديوانه طبعة مصر سنة ١٩٣٠ للسندوبي ص ٥٦)

لها منخر كوجار الضباع فمنه تريح اذا تنبهر
وعين لها حدرة بدرة وشقت مآقيهما من أخر

فالفرس لها عينان لا عين واحدة · فذكر الواحدة وأراد الاثنتين فقال حدرة بدرة على اللفظ وأعاد الضمير في مآقيهما بالتثنية على المعنى · وهذا شاهد آخر على إعمال المعنى يؤيد قول الجاربردي أن المعنى مهيع معبد

الثالث الادلة صيغة جمع تكسير فهي مؤنث ينعت بالمفرد المؤنث كما قال ابو اسحاق الزجاج «ولذلك جاء في كلام المستهل ابن الكميت لابيه» كيف نخرت ببني أمية وانت تشهد عليها (كذا مكان الشاهد ولا تخطئة) والشاهد اورده الشيخ عبد القادر البغدادي في كتابه خزانة الادب (جزء ١ ص ٨٧)

وقد جاء الضمير العائد الى الناس على ثلاثة وجوه الأول ضمير جمع المذكر العاقل قال المتنبي :

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد ابن عبد الله بعرانا

الثاني ضمير المفرد المذكر ومنه قول أبي فراس الحمداني

وقد صار هذا الناس إلا أقله ذئاباً على أجسادهن ثياب

والثالث ضمير المفرد المؤنث ، فقد روي لمزدك الفارسي أنه قال لكسرى انوشروان «اوتستطيع أن نقتل الناس كلها» عمدة الأديب للشيخ سليم الجندي ص ١٠ طبعة سنة ١٩٣٥ وليست العبرة بكلمة مزدك أنها لفارسي بل العبرة أن روايتها عن عرب أقحاح

الرابع يقال الادلّة الغراء اي الغراء حججها او شهاداتها على مثال رمح اقصاد اي اقصاد اجزاؤه وثوب اسمال اي اسمال اجزاؤه واشياع قليل اي قليل عددهم او حضورهم ·

الخامس يقال ان اتصال الدليل بالدليل جعل الجمع بمثابة المفرد فنعتَ الجمع بالمفرد كما جاء في تخريج صاحب اللسان قول رؤبة واطراف بنان معنّما ·

ويقال هضاب ملساء بالذهاب الى ان ملساء جمع ملساء «وان الهضاب بمعنى بقعة قال الجوهري » الانجيل كتاب عيسى عليه السلام يؤنث ويذكّر فمن أنّث اراد الصحيفة ومن ذكّر اراد الكتاب «وقال ايضاً العراق بلاد يذكّر ويؤنث فالتأنيث بمعنى بقعة والتذكير بمعنى قطر » وان هضاباً صيغة جمع فهي مؤنثة والأصل الهضاب الشماء هامتها أو ذروتها « وان الهضاب يتّصل كل هضب منها بالآخر فيكون المجموع كالشيء الواحد وهِضاب جمع هضب مثل جردٍ وجِراد وجمع هَضبة مثل سخْلة وسخال فلك على هذا ان تقول الهضاب الاشم كالإفال المزنم والهضاب الشماء لان المفرد مؤنث » وان هضاباً ككناز ويقال ـكناز حسناء والجمع الذي اتى بناؤه على صورة المفرد يأتي نعته بالافراد ففي هضاب ملساء ستة وجوه تجيز صحتها ·

فذهاب الأب الكرملي الى تخطئة المرحوم والدي في قولِهِ ادلة غُرّاء وتخطئتي في « هضاب ملساء » عن جهل في وجوه التخريج وقلة اطلاع على اقوال الفصحاء واحكام الائمة · واذا اضفت الى ذلك مافي عبارتِهِ من الخلل والركاكة والخروج عن مناهج العلماء ثبت ان الاب الكرملي لايصحُّ له ان يفتي في قضايا اللغة بل عليه ان يستفتي وان كلمة الامام ابي علي الفارسي لابن جني في مجلس التقائهما الاول يجب ان تقال للأب الكرملي · وليعلم أنه اذا كان في باسهِ عمروِ ابن العاص فان موقفه في صفين كان مع الامام عليّ ·

واحق كلمة تقال ختاماً للرد على الاب انستاس ان الفقهاء اتوا بوجوب إعمال الكلام ما بدا لهُ وجه صحة وقالوا هذه قضية لا مشاحة في صحتها وبنوا

عليها احكاماً في العبادات والحلال والحرام والارث والمعاملات فيصحُّ بها زواج وطلاق ووصية ومطالبة بمالٍ واسقاط دين فالأولى ان تكون هذه القضية صحيحة في التعابير المنثورة والمنظومة وقد اثبتُّ ان لنعت الجمع بصيغة فَعْلاء وجوهاً من الصحة فعلامَ منعُ الناس عن مذهب من مذاهب الكلام تقبل به اذواقهم ويأتي في كلامهم عن سليقة عربية توارثها الابناء عن الآباء ·

مقال الفريق امين باشا المعلوف

أيقال كُريَّات بيضاء

قلتُ يقال على انه نادر جداً . والمسألة هي أني لقيتُ يوماً السيد مصطفى جواد في ادارة المقتطف فقُلتُ له انتَ والأب انستاس تقولان انه لايجوز قولنا بيضاء وحمراء والصواب بيض وحمر . قال نعم فإنه لايجوز واتفق مجيء السيد عبد الرحيم بن محمود فقال نعم يجوز . فقلت للسيد مصطفى ماهي ادلتك على ذلك . فقال : ان افعل وفعلاء اذا دلاَّ على لون او عيب فانه لايقال في جمعها إلاَّ فُعْل . ثم أخذ يورد الآيات القرآنية دلالة على ذلك منها « صُمٌّ بكمٌ عميٌ » الآية ومنها من الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها « وغرابيب سود » الآية . وأورد آياتٍ اخرى . فقُلتُ : الم يأتِ في القرآن الكريم ما يُثْبِت خلاف ذلك . قال : لا . فقال السيد عبد الرحيم : هذا صحيح . وانما جاء في كلام العرب قولهم فعلاء نعت للجميع . وانما الآن لايحضرني امثلة على ذلك . ثم انصرف الاثنان وانا مقتنع ان ماورد في القرآن الكريم هو الصواب دون غيره . وأمَّا الآن فبعد الادلة التي اوردها السيد امين ضاهر (الصواب ظاهر) خيرالله فاني اقول انه يجوز قولنا كُريَّات بيضاء و كُرَيَّات حمراء على انه نادر جداً والافصح ان يقال بيض وحمر . ومعاذالله ان أزيِّف ادلة السيد امين وهو اللغوي القدير . وقد كان والدهُ رحمهُ الله إماماً في اللغة وهو مشهور بيننا في لبنان . ولمَّا كان الشيء بالشيء يذكر فاني كنتُ اخذتُ على اعضاء مجمع اللغة الملكي قولهم صمَّاء وقلت الصواب صُمٌّ ونشرتُ ذلك في المقطَّم وهو منشور في مجلة المعهد الطبي العربي الجزء ٢ المجلد ١٠ فلما نشرت مقالتي المشار اليها بلغني ان المجمع قرَّر فيما قرَّره الموافقة على نقدي فقالوا الغُدَد الصمّ لا الغدد الصمَّاء كما قالوا قبلاً . وينُشَر ذلك في جزء المجلة الذي يصدر في شهر اكتوبر . ولو فرضنا انه يجوز قولنا صمَّاء وبيضاء وحمراء

فالافصح ان يقال صمٌّ وبيض وحُمرٌ . فقد قضينا العمر في « هل يجوز او لا يجوز » فالحياة قصيرة جداً فالاصلح قضاءها (كذا والصواب قضاؤها) في ما يكون اكثر فائدة لنا . واما الشرط الثاني للسيد امين وهو قوله ان يكون الردُّ نقيًا من المطاعن فهو لايشملني على ما اظن .

مصر الجديدة **امين المعلوف**

الجواب

ابدأ اولاً بالثناء على ادب هذا الشهم الجليل فان عبارتهُ دالة على مكانته في صدق القول والشمم والاخلاص للعلم واهلهِ فاقول هكذا يكون المناظر المنصِف .

ثانيًا قال « ايقال كوبات بيضاء قلتُ يقال على انه نادر جداً » فأُجيب : ان البحث وارد في هل جاء هذا وامثاله او لم يجيء لا في ندور المجيء او كثرة ورودهِ فالبحث لم يتعرَّض لذلك والخروج من بحث صحة ورودهِ الى بحث ورودهِ نادراً او كثيراً لم يقع منه ولا من غيرهِ فهذهِ قضية ثانية لم اتصدَّ لها صراحة ولا ضمنًا .

و كيف يكون نادر الورود . والكتب التي تتداولها أيدي البادين والشادين في الادب ويأخذ عنها البلغاء مناهج الكتابة تورد هذا النهج كثيراً ففي الجزء الاول من مجاني الادب الكثير الاستعمال في صفوف البادين ما يأتي نقلاً عن ابن بطوطة (ص ١٣٢) «ومسجد البصرة مفروش بالحَصْباء الحَمْرَاء» والحصباء في المعاجم صغار الحَصَى والمفرد حَصَبة من باب شَجْراء وشَجَرة وثمراء وثمرة .

وفي مجمع البحرين لليازجي الاب وهو المورد الذي تؤمه ادباء النصارى لتستقي من زلالهِ البلاغة ما يأتي : (ص ١٣٢) طُبع سنة ١٨٨٠ بمطبعة اليسوعيين والواقف على طبعه الشيخ ابراهيم الابن « فأقمنا ثلاثًا نجتني قطوف الفنائهِ المَيلاء » و (ص ٣٣١) « وأوجه غرَّاء » و (ص ٣٣٦) « أين بقية القِطَع الحمراء . والشظايا الصفراء والخرق الخضراء » و (ص ٣٧٥) « خرجنا من أراضيها الخضراء والبيضاء »

وجاء لفارس الشدياق « المُدُن الغنَّاء » ومـا من خلاف في ان مكانة الشيخين اليازجيين ناصيف وابراهيم في اللغة رفيعة جداً والأخذ عنهما أخذ عن إمامين كبيرين . وفارس الشدياق صاحب الجاسوس على القاموس أتى بافضل نقد للقاموس ولم يكتب لغوي نقداً لمعجم ما كما كتب باتساع المآخذ وصحة النقول وسلامة العبارة من اللوم . فكتاب الجاسوس من مفاخر اللغة العربية . ومَن كانت له تلك المنزلة يكن إماماً ثقة . وقد آثر فعلاء على فُعُل في ترجمة الكتاب المقدَّس وفي كتبه الخاصة .

والعلاَّمة الجليل السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان الكاثوليك وهو مفخرة ملتـه اورد في النسخة الموصليـة للكتاب المقدس وصارت ثيابه بيضاء ولو لم يجدها صحيحة لما جاء بها .

ثالثاً — قال بندور المجيء بهذا الضَرْب من الكلام . ولا يصحُّ ان يؤتى بحكم إلاَّ بعد اقامة الدليل فاين دليلهُ على الندور . فان يَبِن قوله على قلَّة شواهدي . قلتُ : ان النحاة يأتون بالشاهد او الشاهدين لتأييد القاعدة العامة في مذهبهم افيكون الاكتفاء بالقليل دليل الندور . ثم ان شواهد اللغة يكون الكلام على بعضها طويلاً ودقيقاً لاتقبـل عليه نفوس الذين يشترطون في المقالات اللغوية قرب شواهدها من تناول افهامهم لها وهؤلاء هم السواد الاعظم من قراء المجلاَّت ومن البديهي ان يراعيَ اصحاب المجلاَّت رغبتهم . فلو كانت شواهدي طويلة مملَّة لأبت مجلة المقتطف نشرها كما ابت نشر القسم الوارد في مقال الاب الكرملي متضمناً تخطئتي .

رابعاً ذكر حكاية ما دار بينه وبين السيد مصطفى جواد وما احتجَّ به السيد مصطفى وماذا قاله السيد عبد الرحيم ابن محمود وانه جاهر بأن فعلاء جاءت نعتاً للجميع ولكنْ ذاكرته خانته فلم يأتِ بشاهد - اقول هذا مايصحُّ حجة لمن يأخذ عن الغير لا لمن يعطي الغير حجةً ولما كان الاب الكرملي هو صاحب الرأي الأوَّل فالسيد مصطفى عنه اخذ وبه اقتدى فكأن الطبيب

امين باشا أخذ عن مصدر واحدٍ لا من مصدرين • ولولا احجام السيد عبد الرحيم عن الادلاء بالحجة لكان الطبيب امين باشا لم يجزم بمنع نعت الجمع بفعلاء — ثم ان الاحتجاج بتسويغ نعت الجمع بصيغة فعلاء له أسٌ وهو حجة ايضاً وذلك الأُسّ قول الزجّاج وقد تقدّم فاذا خذلت السيد عبد الرحيم ذاكرته انخذله قول الزجاج وهو وارد في المصباح المنير المعدود من المعاجم الكثيرة الانتشار في ايدي اللغويين •

خامساً كثير من الحروف اللغوية اورد اصحاب المعاجم الشواهد على ورودها من كلام البلغاء لا من القرآن مع انهم حينما يجدون الشاهد في القرآن او الحديث لايعدلون به شاهداً من كلام بليغ فاذا كان من الواجب الاقتصار على ما في القرآن فكم يبقى من اللغة وان كانت القاعدة النحوية لاتصحّ إلاّ اذا جاء مصداقها في القرآن فكم قاعدة نحوية يُستغنَى عنها وانما القرآن جاء لهداية الناس في شؤون عبادتهم والجلاء عن الحلال والحرام لا في سبيل جمع مواد اللغة واساليب التعابير الصحيحة فإنَّ كلَّ شأنٍ ليس له صلة بمرضاة الله ومعصيته جاء في القرآن عرضاً لا مقصوداً بنفسِهِ ففي كلام العرب صيَغ عديدة للجموع لم يوردها القرآن فهل يصحّ أن يُستغنَى عن تلك الجموع اكتفاء بما جاء في القرآن الشريف او يكون هذا الاستغناء من إفقار اللغة وتشويه محاسنها •

سادساً أيريد الطبيبُ الاقتصار على الافصح في هذهِ القضيَّة خاصة او في هذهِ القضية وامثالها فان كان في هذه القضية خاصة فما السرّ في ذلك وان كان فيها وفي امثالها فكم قاعدة في الصرف والنحو يجب ان يستغنى عنها ففي الصرف مثل لَحَتَ عينه ولَحِتَ وأمدُد ومُدَّ واستجادَ واستجوَد ومدين ومَدْيون وخَشْيَة وخشاة ومَجُوعة ومجاعة • وفي النحو مثل كلاهما صحيح وكلاهما صحيحانِ وما جاءني احدٌ غيرُ زيد بالرفع وغيرَ زيد بالنصب وقول الشاعر:

لا تجزعي ان مُنْفِساً أهلكتهُ فاذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي

فان فيه رواية اخرى هي :

لا تجزعي ان مُنْفِس اهلكتهُ : وكالخلاف في إعراب المشرفي المصمم في قول القائل :

ولو سُئلت عنا جنوب لخبَّرت عَشيَّة سالت عقرباء بها الدمُ

عشية لا تغني الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفيُّ المصمِمُ

وقول الآخر :

نطاردهم نستنقذ الجُرْدَ كالقنا ويستنقذون السمهريَّ المقوَّما

عشية لا تغني الرماح مكانها ولا النبلُ إلا المشرفيَّ المصمَّا

ويمتدُّ ذلك في اللغة الى اختيار أحد القولين الكلِم الطيب او الكلم الموراة والى ان يختار التذكير أو التأنيث في الأنعام والى الاقتصار على أُمة مستيقظين وهذا الاقتصار ينتهي حتماً إلى مالا يسلِم به حَملَة القرآن الشريف فان فيه تذكير وتأنيث الانعام وفيه « ربَّنا واجعلنا مُسْلِمين لك ومن ذريتنا أُمة مُسْلِمَة لك » وفيه أيضاً « ولتكن منكم أُمَّة يدعون الى الخير » فأي التعبيرين يجب الاقتصار عليه — وإذا كان الطبيب ممن يرون الاقتصار على الافصح مما يجب اتخاذه مبدأ متبوعاً فكيف يصحُّ عنده أن يجيءَ قولهُ على الوجه الذي جاء في قول رؤبة « وأطراف بنان معْنما » والوجه الافصح عند أئمة اللغة ومأموميهم « واطراف بنانٍ معنمة » ليكون ضمير الصفة العائد الى الموصوف مطابقاً لهُ في أنه ضمير جماعة لغير العاقل . فكيف يكون في كلام الطبيب دعوة صريحة الى مبدأ ومقاطعة سواه وفي الوارد من كلامِهِ دعوة ضمنية الى محاربة ذلك المبدأ . إذن الأب الكرملي وهو في بغداد لم يأخذ رأي الطبيب أمين باشا وهو في القاهرة او مصر الجديدة حينما دافع عن عبارة « بيض وحمر ولا يقال غيرها » وأن الطبيب أنشأ عبارته على الأسلوب الأفصح وهو غيرهما فوقع في ترتيب الحروف خطاء مطبعي باسقاط الميم من غيرهما — اذن الكرملي لم يدافع عن المعلوف

بايعاز منه أو بعد أخذ رأيه فدفاعه من الفضول الذي ليس له مسوّغ وانما هو ثمرة موجدة وعدوان واندفاع لا بصيرة معهُ للغضّ من مكانة الكاتب أمين فبئست الثمرة وبئست الشجرة وهل تأتي الشجرة الرديئة الا بثمرة رديئة – وفي الانجيل الشريف « ومن ثمارهم تعرفونهم ».

سابعاً – ان للذوق في اللغة شأناً فلا يصحّ إغفالُه فهذه أمية بنت ضرار القائلة « لاتعرف الكَلِمُ العوراءُ مجلسَهُ » لها أن تقول « لاتعرف الكلم العوران مجلسهُ » فآثرت الكلم العوراء . وهذا سعد الغنوي القائل « وما الكَلِمُ العُوران لي بقبولِ » له أن يقول وما الكَلِمُ العوراء لي بقبول – فآثر الكلم العوران – والذوق عاملٌ غير مجهول عمله في الاختيار قال لي مرةً المرحوم داوود قربان الشويري أحد شيوخ العربية في الجامعة الاميركية البيروتية « غير خافٍ عني ان السجايا الغرّ أصل من السجايا الغرّاء ولكنّ ذوقي يدعوني الى اختيار غرّاء دون غرٍّ وهذا الاختيار اجدهُ عند مَن حادثتهم بهذهِ القضية – فماذا يقال في الذوق . وهو من باب إيثار بني طيّ بقى بفتحتين على بَقِيَ بفتح فكسر وإيثار المسيحيين ملاك على ملَك وإيثار المسلمين ملَك على ملاك – بل جاء النبيء والنبيُّ بمعنى واحد فهل سُمع نبيءُ الاسلام و كَلِمة و كِلْمة بمعنى واحد فهل اتت بكلام الحجاز بين كِلْمة

ثامناً – للشاعر وللناثر الساجع موقف يوجب أن تجيء به فعلاء دون فُعْل مراعاة لنسج الكلام فهل كان في طاقة المتنبي أن يقول في قصيدته « أمِنَ ازديارَكِ في الدُّجى الرُّقباءُ »

لبس الثلوج بها على مسالكي . فكأنها ببياضها سودُ او سودانُ

او ان يقول في قصيدته انما التهنئات وبسأتينك الجيادُ وما تحـ ـمل من سمهرية سُمْرٍ او سُمْرانِ

او هل في قول القائل الأدلة الغرُّ في سموّ شأن مريم العذراء من عذوبة القول ما في قوله « الأدلة الغرّاء في سمو شأن مريم العذراء »

تاسعاً – ان لطوائف الصِيَغ ما يدعوهُ علماء الميزان الأعراض الخاصة

والاعراض العامة . والتأنيث مما يُعدُّ من الاعراض العامة في الجمع المكسر واسماء الجموع واسماء الأجناس فهل يصحُّ أن ننفي عن الانسان الضحك وهو في الانسان وغيره أو اللون وهو فيهِ وفي الحجر والمسك واللحم والفضة والذهب والحجارة الكريمة — وليأذن لي الطبيب أن أخاطبه بما توجب عليه طبابته أن يعرفهُ وأن لا يتجاهله فأقول الحمّى ضروب متعدِدة ولكل منها اعراض عامة أو عرض عام فهل يصحُّ أن يخلي احدى الحُمَّاوات من ذلك العرض وهل يصح لطبيب أن يجزم بتعيين علة المحموم ان كان عرَضها العام غير ظاهرٍ في العليل — إني أَكِلُ الى ضمير الطبيب امين باشا المعلوف أن يُبرِز كلمته في هذا الشأن صريحة لا كما ابرز الاب الكرملي كلمته في الشيعة غير صريحة .

فاذا كان للعرض العام شأن لا يجوز تجاهلهُ فان للتأنيث في صيغ الجموع شأناً ليس في طاقة النحويين واللغويين تجاهلهُ ولكل عرض خاصاً كان اوعاماً اثره في صاحبهِ فلو انكر عالم او جماعة من العلماء انه يقال الادلة الغراء فان صيغة أفعِلة لفعيل كادلة لدليل لا يسلبها هذا الانكار عرضها العام ولكنهُ يسلب أولئك العلماء صفة التحقيق فتقال الادلة الغراء ومن أنكر ذلك فهو عالم غير محقق

تاسعاً — العرَض الخاص في النوع من مميزات الشيء لا من مقوّماتهِ فيجوز أن لا يؤبَهُ له في شأن ويجوز أن يكون موضع الاهتمام في شأن آخر فهو كالحال تارة يُستغنى عنه وتارة لا غنى عنه ففي مثل رأيت زيداً خطيباً فظهرت لي ملكته الخطابية لا غنى عن ذكر الحال لأن رأيتُ زيداً فظهرت لي ملكته الخطابية تفقد الجملة تعليل ظهور تلك الملكة وفي رأيت زيداً فصحَّ عندي أنه طويل يستغنى عن الحال لأن المشاهدة لا تحتاج إلى الجلوس أو الوقوف — والحال عرَض عام للفاعل والمفعول بهِ الصريح وغير الصريح الذي جيء بهِ بحرف الجر اذن يكون للعرض العام في بعض المواضع شأن لا يستغنى عنه ففي الغدد الصماء والغدد الصمّ المجيء بصماء خير من المجيء بالصمِ وإليك الدليل .

الصمم أصلاً علَّة للانسان المصاب بسمعهِ فنقلت هذه العلة من الانسان

الى الغدة من باب التشبيه فالصم في الانسان من الحقيقة وفي الغدة من المجاز والمجاز فرع الحقيقة فشانه دون شأن الحقيقة حينما يكون البحث في الحقائق فاذا شهد شاهد على مُدَّعىً عليه في مجلس شرعي بأَنَّهُ لصٌّ وشهد آخر بان ذمته واسعة أو يده طويلة أو يأخذ من حيث يتسنَّى له الأخذ فالتعبير الأوَّل هو الأبلغ عند القضاة — اذن صيغة الصماء ليست لها مكانة صيغة الصمِّ لانها جاءت عن طريق المجاز — فهي فرع عن أصلٍ اذن يقال قومٌ صُمٌّ من باب نعت الأصيل بالاصيل وغدد صماء من باب نعت الدخيل بالدخيل

ومما لا ريب فيه أن بعض الدخيل أسوغ لفظاً واكثر استعمالاً من الاصيل فان جمع بِئْر على أَبآر كحِرز واحْراز وسِلك وأسلاك مما لا خلاف في أصالته لكن العامة والخاصة على اتفاق في جمع بِئر على آبار (أي جمع فِعل على أعفال) فالدخيل هنا أفصح من الاصيل وجمع يتيم على يَتامَى افصح من جمع يتيم على يتائم كضمير على ضمائر وجمع رأي على آراء من باب جمع بئر على آبار أي من الدخيل وهو الوارد في كلام الخاصة والعامة وأما رأي على أرآء وهو الاصيل في قياس الجمع فما ورد في كتب اللغة ولا وجود له في الاستعمال

عاشراً — اسأل الطبيب اكتب «فالأصلح قضاءها» او كما اظنُّ «فالأصلح قضاؤها» فاذا كان الوجه الأول فما علة نصب «قضاءها» وإن كان الثاني ثبت ان غيرها أصلاً غيرهما كما ان قضاءها أصلاً قضاؤها والخطأ المطبعي لا يكون حجة على صاحب المقال ففي مقال الاب الكرملي (سطر ٣ ص ٤٢٢ الجزء ٩ و١٠ من المجلد ١٣ لمجلة المجمع العلمي العربي» ما يأتي:

وخامسها اسم الجمع ولا مشاحة في أنه يوصف بالأفراد كا يوصف بالجمع (بسقوط الميم من كما) افيكون هذا خطأ محسوباً على الاب الكرملي.

حادي عشر — قال الطبيب امين باشا المعلوف «اما الشرط الثاني للسيد امين وهو قوله أن يكون الردُّ نقياً من المطاعن فهو لا يشملني على ما أظن» قُلتُ صدق ظنُّهُ وانما هو شرط منصرف الى الاب الكرملي الذي لم يُراعِهِ

فلم يحفظ لي كرامة المناظر في قولهِ « فليحفظ ذلك امين ظاهر » وقوله « ترَ في كلامهِ ما يسدُّ افواه المتحذلقين « يريد بالجمع واحداً هو الكاتب امين » وقوله لترد عنك هجمات الصائلين في البيداء بعيدين عن العدى » وقوله « ومن آرائه المردودة عليه » وأحسب ان هذهِ العبارات المهذّبة اللطيفة إحملت قلم النشر في مجلة المقتطف على اطراح الفصول التي جاءت هذه العبارات الجميلة اكليلها البهي . وان اعتب فعلى رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وعلى الاعضاء العاملين معهُ لانهم استبقوا هذه البلاغات في مقال الاب انستاس ولم يروا ان في نشرها غضاضة على قائلها لا على من قُذِف بسهامها ولكن (لو حذفوها) اين كان الدليل على ان اصحاب مجلة المقتطف يصونون كرامتهامن تلك البلاغات! واما مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق فتفتح لها ابواب القبول ليصح لي ان اقول

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ لعزَّة من أعراضنا ما استحلَّت

وفي الحقيقة ان تلك الشتائم اقلُّ مما يُظَنُّ ان خليج الاب الكرملي يجوبهِ من لآلئِ النعوت الحسان . فقد كُنتُ احسب انه يمطرني بسهامِهِ لا انه يحبوني لآلئه فشكراً له وللمجمع العلمي العربي الذي لولا كرمه الحاتمي لما تسنَّى لي ان اقيم الدليل بل الادلة على ماعند الاب الكرملي من ادب النفس ومن ادب الدرس وسعة العلم (في فن الشتم) وفي التعامي عن الحقائق العلمية وجهل اساليب التخريج اللغوي .

فان حليم القوم يزجر نفسه عن الكَلِمِ العوراء تزخر في الصدرِ
ويعرض عن قول اليم وان تكن مواقِعُهُ في الصدر كالبيض والسمرِ
خلال الفتى مسك فيعبق نفحهُ زكياً اذا مامسَّهُ مضرمُ الجمرِ
فشكراً لحبرِ كرمليٍّ مقالهُ سمام فان السم شهد لدى الحبرِ
له الهُجْر نهيٌ يستطيب قراتهُ ولي أدبٌ يأبي المميل الى الهُجْرِ

دمشق في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٣٥ امين ظاهر خير الله

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

اصلاح خطاء

صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٦	٧	فُعلاء	فعلاء
٢٣	١٥	قولُهُ	قولَهُ
٢٦	١٨	لديهم	لديهِ
٣٨	٢٠	قائل	دليل
٤٨	٨	الصرفين	الصرفيين
٤٨	١٣	عرباً	عرب
٦٦	١٩	أقذ قذ	أقذ قذ
٧٧	١١	للإمتناع	للامتناع
١٠٣	٧	العلماء	العلماء
١٠٤	٢٠	ودليل	وليل
١٢٠	٢٠٢	وابكيته فبكي	وأبليته فبلي

وقد بقيت اغلاط يستطيع القارئ اللبيب معرفتها .

مؤلفات لغوية

للمؤلف ولوالده

١ = المباحث المحصفات في احوال الصفات لوالد المؤلف وهو اوسع مؤلف في بحث احوال الصفات

٢ = رسالتا مَفعلة وجيّد رسالتان لامثيل لهما في تمحيص الحقائق اللغوية ثمنهما ٢٥ غرشاً سورياً لوالد المؤلف

٣ = المنهاج السوي في التخريج اللغوي لوالد المؤلف وشرحه للمؤلف لانظير له في مباحث التخريج اللغوي ثمنه ٤٠ غرشاً سورياً

٤ = اللؤلؤ المنضور في دفع نقود للمؤلف فيه من مباحث المباني والتخريج مالم يرد في كتب النحويين والصرفيين واللغويين ثمنه ٥٠ غرشاً سورياً

٥ = الرأي الحاسم في الكلام الصحيح الذي خلت منه المعاجم فيه طائفة كبيرة من الكلم الصحيح الوارد في الشعر الفصيح ولا وجود له في المعاجم للمؤلف ثمنه ٢٠ قرشاً سورياً

٦ = الجزء الاول من البرهان الجلي على علم الاب الكرملي فيه مباحث عديدة في دقائق اللغة لاوجود لها في المعاجم و كتب النحو والتصريف ، يُقدَّم بدون مقابل لمن يشتري الجزء الثاني من البرهان الجلي (هذا الكتاب) الذي ثمنه ٥٠ قرشاً سورياً

DATE DUE

